

إِنْعَامُ السَّائِرِينَ
بِشَرَحِ
كِتَابِ الْأَعْنَصَامِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

تَأَلَّفَ
فَصِيلَةُ الشَّيْخِ الْعِلْمَاءِ
عُبَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبُخَارِيُّ
الْمُدَرِّسُ بِالْجَامِعَةِ الْأَسَدِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ سَابِقًا

دار النشر والنشر
للنشر والنشر



مصورات
أيي عبد الرحمن السالني الفلسطيني

إِعْجَامُ رُتَبِ النَّبَايَا

بِشَرْحِ
كِتَابِ الْأَعْنَصَامِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

الْعَامَرُ وَالْبَحَارُ

بِشْرَحِ
كِتَابِ الْأَعْنَصَامِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

تَأَلَّفَ
فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ
عُجْبِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبُخَارِيِّ
الْمُدَرِّسُ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ سَابِقًا

دارُ المَنَازِلِ وَالنَّبَوِيِّ
لِلنَّشْرِ وَالطَّبَاعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ^(٣).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر
الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) [النساء: ١].

(٣) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ثم أما بعد:

فإنه مما أنعم الله عليّ من نعمه التي لا تحصى: أن منّ عليّ بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري الموسوم بـ:

«إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري»

وبعد مضي سنين عديدة طرح عليّ بعض أصحابي وخواصي فكرة، وهي شرح صحيح البخاري تأمّناً، وأنّي لي بذلك، وقد قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ فيما بلغنا عنه حين قال له بعض أصحابه: لو شرحت صحيح البخاري؟ قال: «لا هجرة بعد الفتح»، فإذا كان هذا رجلٌ جهّذ، وعالم كبير، يرى في نفسه أنه يعجز عن شرح هذا الكتاب فكيف بمثلي أن تسول له نفسه ذلك؛ وذلك أني كلما تأملت شرح ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ لهذا الصحيح وجدت أنه لا مزيد عليه.

فحقّ له رَحِمَهُ اللهُ أن يسميه العلماء منذ زمنه حتى اليوم بـ (الحافظ)، فإن هذا اللقب لا ينصرف عند الإطلاق إلا إليه رَحِمَهُ اللهُ؛ وذلك لِمَا بذله من جهد عظيم في بيان ما احتواه هذا الصحيح.

فغزمت بعد أن رأيت أنه ليس بإمكانني شرح صحيح البخاري تأمّناً أن أشرح بعض كتبه الأخرى، فهداني الله ﷻ إلى كتاب (الاعتصام).



فَعَزَمْتُ عَلَى شَرْحِهِ وَاسْتَعْنْتُ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وَبَذَلْتُ مَا فِي وَسْعِي
بِشَرْحِ أَحَادِيثِهِ، عَلَى وَفْقِ مَا فَهَمْتُ مِنَ النُّصُوصِ، وَمِنْ كَلَامِ أئِمَّةِ الْعِلْمِ
وَالْإِيمَانِ وَالِدِينِ.

وَهَآنَذَا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - أَقْدَمُهُ لِلْقُرَاءِ، سَائِلًا رَبِّي - جَلَّ وَعَلَا - أَنْ يَقْبَلَهُ
مَنِّي، وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ.

وَسَمِيتُ هَذَا الشَّرْحَ بِ:

«إِنْعَامُ الْبَارِي بِشَرْحِ
كِتَابِ الْاِعْتِصَامِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»

منهج التأليف

كل من يعرف مكانة هذا الصحيح ويقدر لمؤلفه قدره، وهو أن أهل السنة مجمعون على قبول ما احتواه من حديث رسول الله ﷺ في الجملة، ووصفوه وصحيح مسلم بأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

فكتابُ هذه مكانته حريٌّ بمن يشرح منه ما تيسر له أن يسلك المنهج الذي يرى يقيناً أو في غالب ظنه أنه يبرز ما احتواه ما عزم على شرحه من كتب هذا الصحيح، إبرازاً يليق به من شرح جملة، وبيان فوائده.

وكتابنا هذا الذي عزمنا مستعينين بربنا على شرحه قد حوى ثمانية وتسعين حديثاً مسندة عن النبي ﷺ، وأثراً واحداً عن رجل من خيار أهل العلم في زمانه وهو ابن عون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكل هذه الأحاديث نصُّ صريح بمنطوقها في الحَضِّ على التمسك بسنة النبي ﷺ، وكذلك هي بمفهومها تحذيرٌ مما خالفها من أقوال وأعمال، وأن ذلك كله بدعةٌ وضلال.

ولهذه الأمور وغيرها سلكت في شرحي كتاب الاعتصام هذا، المنهج

الآتي:

أولاً: عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من السور.

ثانيًا: شرح التراجم، وبيان مطابقة كل ترجمة للكتاب.

ثالثًا: كتابة الأحاديث كل حديثٍ على حدة بسنده كما ساقه البخاري رَحِمَهُ اللهُ، وجعلت لكل حديثٍ رقمين:

أحدهما: عددي، وهو رقم الحديث في الصحيح.

والآخر: بالحروف، وهو رقمه في كتاب الاعتصام، ومميزًا كل حديث بخط أسود غليظ.

رابعًا: التخريج، خرّجت كل حديث على حدة مقتصرًا في الغالب على الصحيحين.

خامسًا: الكلام على الحديث، ويتضمن واحدًا من الأمور الآتية أو أكثر:

الأول: شاهد الترجمة.

الثاني: شرح الحديث.

الثالث: فقه الحديث.

وأنبه هاهنا إلى أنني لم أستقل في شرح الحديث بفهمي الخاص، بل نقلت كثيرًا عن أهل العلم الذين أراهم أنهم من الراسخين من محدثين ومفسرين وفقهاء وغيرهم.

فنقلت من المحدثين عن:

١ - أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

٢- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي.

ومن المفسرين عن:

١- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر

الطبري.

٢- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي.

٣- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي.

ومن الفقهاء:

أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة

المقدسي.

ولي في هذا الصنيع غرضان:

أحدهما: ربط خواص الناس وعوامهم بمن سبق من أهل العلم في

كل فن.

الثاني: التحذير من التعويل على الكتب الفكرية؛ فإن كل ما فيها أو

جلّه هو من زخرف القول، الذي من اعتمد عليه أضاع نفسه وغيره ممن

يأخذ عنه.

ولم أتوسع في شرح التراجم والأحاديث إلا بقدر الحاجة، وإذا

اقتضى الأمر التوسع فإني أحيل إلى موضعه من كتابي السابقين على هذا:

الأول: «إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري»،
وإليه الإشارة بقولي: (انظر التفسير)، أو: (مستوفى في التفسير).

الثاني: «إمداد المسلم بشرح مختصر المنذري لصحيح مسلم» يسر الله
إتمامه، وإليه الإشارة بقولي: «انظر الكتاب الآخر»، أو نحو ذلك.

سادسًا: شرحت ما أرى أنه مُشكل من غريب الحديث، وجعلت ذلك
في الحاشية.

سابعًا: ختمت الكتاب بخمسة فهارس:

الأول: فهرس الآيات القرآنية التي ذكرها البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

الثاني: فهرس أحاديث الكتاب.

الثالث: فهرس الآثار.

الرابع: فهرس المراجع.

الخامس: فهرس الموضوعات.

وفي ختام هذه المقدمة أحمد الله تَعَالَى على ما يسّر وأعان على إتمام
هذا العمل، وأسأله تَعَالَى أن يتقبله ويعم بنفعه أهل الإسلام.

أسأله -جل وعلا- أن يجزي كل من كتب لنا وأعانا حتى نجز هذا
المؤلف الذي لا أدعي أنني أوفيت هذا الكتاب حقه، ولكن حسبي أني بذلك
بذلت جهدي واستفرغت وسعي.

وثانيًا: أدعو كل من وجد خطأ أن يكتب لي به، أو أن يكتب للناسر حتى يمكن تصحيحه - إن شاء الله تعالى -.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولا هم البخاري - رحمه الله تعالى -، أمين:

«كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»

* شرح الترجمة:

الاعتصام في اللغة: من «العصم: الإمساك، والاعتصام: الاستمسك...»

قال: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾^(١).

والاعتصام: التمسك بالشيء، قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ﴾^(٣)، واستعصم: استمسك كأنه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة^(٤).

والعِصْمَةُ: المَنَعَةُ، والعاصمُ: المانعُ الحامي، والاعتِصَامُ: الامْتِسَاكُ بالشيء افتعال منه^(٥).

والاعتصام في الشرع: هو التمسك بالكتاب والسنة والالتجاء إليهما

(١) [يونس: ٢٧].

(٢) [آل عمران: ١٠٣].

(٣) [آل عمران: ١٠١].

(٤) «مفردات الراغب» مادة «عصم».

(٥) «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة «عصم».

دون غيرهما من أقوال البشر؛ طلباً للسلامة من الأهواء والفتن ظاهرها وباطنها.

والكتاب: هو القرآن الكريم.

والسنة: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف خلقي أو خلقي، وشرح ذلك في كتب المصطلح.

وفي الكتاب الكريم: ﴿وَأَعْتَمِسُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَأَعْتَمِسُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ قيل ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾؛ أي: بعهد الله، كما قال في الآية بعدها: ﴿صُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّكْرُ أَنْ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾^(١)؛ أي بعهد وذمة، وقيل: ﴿بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن....

إلى أن قال: وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أَمَرُهُم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والاتلاف^(٢).

ش/ قلت: وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك

(١) [آل عمران: ١١٢].

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٩).

فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»^(١).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ ^(٢) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٣).

قال العلامة الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: «لَمَّا تَوَعَّدَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ عَطَفَ بِرَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَحَذَرَ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ لئَلَّا يَمْكُرُوا بِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾.

وذلك لحسدكم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾. وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة رَحِمَهُمُ اللَّهُ، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/

١٨٧٤) رقم (٢٤٠٨).

(٢) [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيقانهم، وأن ذلك من أبعد الأشياء، فقال: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾؛ أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربكم كل وقت، وهي الآيات البينات التي توجب القطع بموجبها والعزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصاً والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصلوات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم يبق في نفوس القائلين مقالاً، ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالاً.

ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شرٍّ، واستعان به على كل خير ﴿فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله^(١).

ش/ وقد ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الاعتصام من صحيحه هذا ثمانية وتسعين حديثاً، اثنان وتسعون منها مفرقة على ثمانية وعشرين باباً وسيأتي شرحها - إن شاء الله - تباعاً على وفق ما ذكره الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.



(١) «تفسير الكريم الرحمن» (ص ١٤١-١٤٢).

الحديث الأول

٧٢٦٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. لَا تَتَّخِذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي لِأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ، فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ». سَمِعَ سُفْيَانُ مِنْ مِسْعَرٍ، وَمِسْعَرٌ قَيْسًا، وَقَيْسٌ طَارِقًا.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع منها:

الأول: في الإيمان^(١) من رواية شيخه الحسن بن الصباح بلفظ: «أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ قال عمر:

(١) باب: زيادة الإيمان ونقصانه (١/ ١٨) رقم (٤٥).

قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة».

الثاني: في المغازي^(١) من طريق شيخه محمد بن يوسف، عن طارق بن شهاب: «أن أناساً من اليهود قالوا: لو نزلت هذه الآية فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: أية آية؟ فقالوا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فقال عمر: إني لأعلم أي مكان أنزلت، أنزلت ورسول الله ﷺ واقف بعرفة».

الثالث: في التفسير^(٢) من طريق شيخه محمد بن بشار: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: «إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت: يوم عرفة وأنا والله بعرفة - قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾».

وأخرجه مسلم في التفسير^(٣) من طريق مشايخه أبي خيثمة زهير بن حرب، ومحمد بن المثنى، بلفظ: «أن اليهود قالوا لعمر: إنكم تقرأون آية لو أنزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأي

(١) باب: حجة الوداع (٧٧/٥) رقم (٤٤٠٧).

(٢) باب: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (٤٠/٦) رقم (٤٦٠٦).

(٣) قال: باب (٢٣١٢/٤) رقم (٣٠١٧).

يوم أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت، أنزلت بعرفة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، قال سفيان: أشك كان يوم الجمعة أم لا، يعني: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

وأيضاً من طريق شيخه أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب بلفظ^(١): «قالت اليهود لعمر: لو علينا معشر يهود نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ نعلم اليوم الذي أنزلت فيه لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: فقال عمر: فقد علمت اليوم الذي أنزلت فيه، والساعة، وأين رسول الله ﷺ حين نزلت، نزلت ليلة جمع، ونحن مع رسول الله ﷺ بعرفات».

وأيضاً من طريق شيخه عبد بن حميد بلفظ^(٢): «جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾؛ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم الجمعة».

(١) المصدر السابق (٤/٢٣١٣) رقم (٣٠١٧).

(٢) المصدر السابق.

* الكلام على الحديث:

قال مقيده: وفي هذا الحديث بجميع رواياته فوائد:

الفائدة الأولى: أنه لا دين مرضي عند الله غير دين الإسلام، وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

ومن أدلة السنة: قوله ﷺ: «الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي»^(٣).

وفي المتفق عليه: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي»^(٤).

وعن أبي بن كعب ؓ: أن رسول الله ﷺ قال له: «إن الله أمرني أن أقرأ

(١) [آل عمران: ١٩].

(٢) [آل عمران: ٨٥].

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل، باب: فضائل عيسى ﷺ (١٨٣٧/٤) رقم (٢٣٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ

أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (١٦٧/٤) رقم (٣٤٤٢)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب:

فضائل عيسى ﷺ (١٨٣٧/٤) رقم (٢٣٦٥).

عليك فقراً عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(١)؛ فقراً فيها: إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية من يعمل خيراً فلن يكفره، وقرأ عليه...»^(٢) الحديث، أخرجه الترمذي، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أحمد: «إن الله -تبارك وتعالى- أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال فقراً: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فذكر الحديث، وفيه: وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره»^(٣).

ش/ قال عبيد: فهل يسوغ لمسلم حازم في أمره ناصح لأئمة القول بأن اليهودية والنصرانية ديانات سماوية؟!

ألست تدرك أيها القارئ من هذه الأحاديث الصحيحة وما في معناها أن هذه الدعوى من المنكر وقول الزور، ويزيد هذا وضوحاً حديث: «والذي

(١) [البينة: ١].

(٢) سنن الترمذي في المناقب، باب: فضائل أبي بن كعب رضي الله عنه (٧١١/٥) رقم (٣٨٩٨)، قال الألباني: حسن، في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» رقم (٣٨٩٨).

(٣) مسند أحمد، حديث زر بن حبيش، عن أبي بن كعب رضي الله عنه (١٢٩/٣٥) رقم (٢١٢٠١)، قال محققه: إسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة -وهو ابن أبي النجود الأسدي الكوفي-، فقد روى له البخاري ومسلم مقروناً، وأصحاب السنن، وهو صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(١).

وأجمع أئمة العلم والإيمان والدين على ما تضمنته آية الباب وما في معناها من أي التنزيل الكريم.

وهذه الأحاديث وما في معناها على أن اليهود والنصارى كفار، وأنه لا دين يدان لله به سوى الإسلام، بل في الكتاب الكريم ما يدل على ما ذكرناه صراحة.

وهاك بعض الآيات:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).

«ولما حول تعالى على ذكر المتقدمين، وأمر بالرجوع إليهم في بيان هذه المسألة، بينها أتم تبين في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾؛ فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته (١/١٣٤) رقم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) [الأنبياء: ٢٥].

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٥٢١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾^(١) الآية.

«يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة.

﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا، ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾ يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفقه لتصديق رسله، والقبول منها، والإيمان بالله، والعمل بطاعته، ففاز وأفلح، ونجا من عذاب الله.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذبوا رسله، واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين»^(٢). اهـ

(١) [النحل: ٣٦].

(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» (١٧ / ٢٠١).

ش/ قال عبيد: وأنا أتوجه إلى كل حازم لبيب حاذق في معرفة دلالات الألفاظ وما تحويه من معاني بهذه الأسئلة:

السؤال الأول: هل اليهود والنصارى المعاصرون لنا على عبادة الله وحده أو كل طائفة منهما تؤله غير الله؟!

السؤال الثاني: هل تعتقد أن موسى عليه السلام بُعث باليهودية وأن عيسى عليه السلام بُعث بالنصرانية؟!

فإن قلت: نعم، طلبنا منك الدليل القطعي الذي يجب التسليم له، وهيهات ذلك بينك وبينه خرط القتاد، وجب عليك التسليم أن الله تعالى ما بعث هذين النبيين ولا من قبلهما إلا بدين الإسلام وإن اختلفت شرائعهم في الفروع كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١)؛ قال ابن عباس: سبيل وستة^(٢).

فإياك إياك أن تستجيب لدعوى التقريب، وهي دعوى المزج والخلط بين دين الله الذي لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا به وهو الإسلام، وهو صريح ما قدمناه لك من الآيات والأحاديث وما لم نذكره في هذا الباب مما هو في معناها كثير، والديانات الباطلة من يهودية ونصرانية وغيرها، فإن هذه

(١) [المائدة: ٤٨].

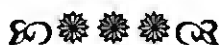
(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس» (١/ ١٠)، وكتاب تفسير القرآن، باب: سورة المائدة (٦/ ٥٠).

الدعوى وما نشأ عنها من الدعوة إلى وحدة الأديان خرجت من تحت عباءة جماعة الإخوان المسلمين.

وللشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ كتاب نفيس في هذه المسألة فراجعه إن شئت^(١).

الفائدة الثانية: منقبة من مناقب أمير المؤمنين ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتلك في جوابه لليهود: «إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة، في يوم الجمعة».

الفائدة الثالثة: الدليل الصريح على أنه ليس لأهل الإسلام عيد سوى عيد الفطر وعيد الأضحى.



(١) «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان».

الحديث الثاني

٧٢٦٩- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ الْغَدَّ حِينَ بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَاسْتَوَى عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَشْهَدَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ؛ فَقَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَكُمْ، فَخُذُوا بِهِ تَهْتَدُوا وَإِنَّمَا هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ».

* التخریج:

أخرجه ابن حبان^(١) ولفظه: قال الزهري: وأخبرني أنس بن مالك ﷺ أنه سمع عمر بن الخطاب من الغد حين بويع أبو بكر في مسجد رسول الله ﷺ، واستوى أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ قام عمر فتشهد قبل أبي بكر، ثم قال: «أما بعد، فإني قد قلت لكم أمس مقالة لم تكن كما قلت، وإني والله ما

(١) صحيح ابن حبان، في التاريخ، باب: وفاته ﷺ ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ أراد في اليوم الذي توفي فيه الخروج إلى أمته (١٤/ ٥٩٠)، وصححه الألباني في «التعليقات على صحيح ابن حبان» (٩/ ٣٢٦) رقم (٦٥٨٦).

وجدتها في كتاب أنزله الله، ولا في عهد عهده إلي رسول الله ﷺ، ولكنني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا -يقول حتى يكون آخرنا-، فاختار الله -جل وعلا- لرسوله ﷺ الذي عنده على الذي عندكم، وهذا كتاب الله هدى الله به رسوله ﷺ، فخذوا به تهتدوا بما هدى الله به رسوله ﷺ، قال محققه: إسناده صحيح.

وفي رواية: قال الزهري: فأخبرني أنس بن مالك ﷺ أنه سمع خطبة عمر بن الخطاب ﷺ الأخيرة حين جلس على منبر رسول الله ﷺ، وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ قال: فتشهد عمر وأبو بكر صامت لا يتكلم، ثم قال: «أما بعد: فإني قلت أمس مقالة وإنما لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت في كتاب أنزله الله ولا في عهد عهده إلي رسول الله ﷺ، ولكنني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا -يريد بذلك أن يكون آخرهم-، فإن يك محمد ﷺ قد مات، فإن الله جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به، فاعتصموا به تهتدوا لما هدى الله محمدًا ﷺ، ثم إن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين، وإنه أولى الناس بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر»^(١).

(١) المصدر السابق.

* الكلام على الحديث:

ش/ وفي هذا الحديث برواياته الثلاث أربع مناقب عظيمة جليلة
لأمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب ؓ:

الأولى: تعزية المسلمين في أعظم مصاب، وكيف لا يكون أعظم
مصاب وهو رحيل رسول الله ﷺ عنهم، وكيف لا يكون أعظم مصاب
وبموته ﷺ انقطع عنهم الوحي.

الثانية: ورعه وزهده ﷺ، وإيضاحه أنه نسب مقولته التي تضمنتها
خطبته غداة بؤيع إمام هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ وصديقها أبو بكر ﷺ إلى
نفسه، ولم يعزها إلى كتاب ولا سنة، بل مما ألهمه الله إياه فأصاب بها الحق.
الثالثة: حضه المسلمين على التمسك بسنة النبي ﷺ، ألا تراه ﷺ قال:
«وهذا الكتاب الذي هدئ الله به رسولكم، فخذوا به تهتدوا وإنما هدئ الله به
رسوله».

وقد دل الكتاب الكريم على هذا دلالة قطعية ليس فيها مجال لظن
كاذب ولا خيال باطل.

والآيات في هذا أكثر من أن تحصر، ومن تلکم الآيات قوله تعالى:
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله... إلى أن قال: ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول...»

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، ثم قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: باتباعكم للرسول ﷺ يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته.

ثم قال أمراً لكل أحد من خاص وعام: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾؛ أي: خالفوا عن أمره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل

ورسول الله إلى جميع الثقيلين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء - بل المرسلون، بل أولو العزم منهم - في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته»^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

الرابعة: جمع الله المسلمين بعد هذه الخطبة على بيعة أبي بكر رضي الله عنه كما هو صريح رواية ابن حبان الثانية.

وهذه المناقب الأربع كلها دعوة إلى السنة والتمسك بها؛ لما فيها من جمع كلمة المسلمين على إمامهم وسد باب الفرقة.



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٢).

(٢) [النور: ٥٤].

الحديث الثالث

٧٢٧٠- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ
عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمَنِي إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ
الْكِتَابَ».

* التخريج:

أخرجه المصنف بهذا اللفظ في العلم^(١)، وأخرجه في أصحاب النبي
ﷺ بلفظ^(٢): ضمني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: «اللهم علمه الحكمة»
حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، وقال: «علمه الكتاب»، حدثنا موسى،
حدثنا وهيب، عن خالد مثله.

والحكمة: الإصابة في غير النبوة.

وللترمذي^(٣) من رواية شيخه محمد بن حاتم: «دعا لي رسول الله ﷺ

(١) باب: قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب» (٢٦/١) رقم (٧٥).

(٢) باب: ذكر ابن عباس رضي الله عنهما (٢٧/٥) رقم (٣٧٥٦).

(٣) في المناقب، باب: مناقب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (٦٧٩/٥) رقم (٣٨٢٣)، وصححه
الألباني في «صحيح سنن الترمذي» برقم (٣٨٢٣).

أن يؤتيني الحكمة مرتين».

ولابن ماجه^(١) من رواية شيخه محمد بن المثنى وأبي بكر بن خلاد الباهلي: «ضمني رسول الله ﷺ إليه وقال: اللهم علمه الحكمة، وتأويل الكتاب».

ولأحمد^(٢) من طريق شيخه هشيم: «مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة».

* الكلام على الحديث:

ش/ قال مقيده: وحاصل ما تضمنته هذه الروايات أن رسول الله ﷺ دعا ربه لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه بدعوتين: وهما تأويل الكتاب - يعني: تفسيره-، والحكمة، وقد فسر البخاري رحمته الله فيما نقلناه آنفاً معنى الحكمة.

ونظائر ما دعا به النبي ﷺ به ربه لابن عمه ابن عباس رضي الله عنه أحاديث كثيرة:

أحدها: عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين:

(١) في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: فضل ابن عباس رضي الله عنه (٥٨/١) رقم (١٦٦)، وصححه الألباني.

(٢) مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنه (٣/٣٤٠) رقم (١٨٤٠)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عكرمة فمن رجال البخاري.

رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»^(١).

الثاني: عن قيس، قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»^(٢).

وفي هذه الأحاديث مجتمعة وما في معناها دليل على فضل ابن عباس رضي الله عنه وإمامته، وأنه مسدد وملهم للصواب، وهذا يجعله فيمن يُقتدى به.

ويؤيد ما قلناه عن عبيد بن عمير، قال: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: «فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾^(٣)؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس:

(١) البخاري في فضائل القرآن، باب: اغتباط صاحب القرآن (١٩١/٦) رقم (٥٠٢٥)،

ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من

تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها (٥٥٨/١) رقم (٨١٥).

(٢) أخرجه البخاري في العلم في باب الاغتباط في العلم والحكمة (٢٥/١) رقم (٧٣)،

ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من

تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها (٥٥٩/١) رقم (٨١٦).

(٣) [البقرة: ٢٦٦].

لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله ﷻ، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»^(١).

وعن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد»^(٢).

ش/ قال عبيد: ولهذا كان تفسيره ﷺ من رواية سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد معدوداً في أفضل تفاسير القرآن الكريم.

وفي الكتاب الكريم خير شاهد؛ قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣).



(١) أخرجه البخاري في التفسير ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ (٣١/٦) رقم (٤٥٣٨).

(٢) أخرجه الحاكم في معرفة الصحابة ﷺ، ذكر عبد الله بن عباس ﷺ (٦١٣/٣) رقم (٦٢٨٩).

(٣) [البقرة: ٢٦٩].

الحديث الرابع

٧٢٧١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَبَّاحٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ عَوْفًا، أَنَّ أَبَا الْمِنْهَالِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَرَزَةَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُغْنِيكُمْ - أَوْ نَعَشَكُمْ - بِالإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «وَقَعَ هَاهُنَا: (يُغْنِيكُمْ)، وَإِنَّمَا هُوَ (نَعَشَكُمْ) يُنْظَرُ فِي أَصْلِ كِتَابِ الإِعْتَصَامِ».

* الكلام على الحديث:

«قوله: (ينظر في أصل كتاب الاعتصام)، فيه إشارة إلى أنه صَنَّفَ كتاب الاعتصام مفردًا وكتب منه هنا ما يليق بشرطه في هذا الكتاب كما صنع في كتاب «الأدب المفرد»، فلما رأى هذه اللفظة مغايرة لما عنده أنه الصواب أحال على مراجعة ذلك الأصل، وكأنه كان في هذه الحالة غائبًا عنه فأمر بمراجعته وأن يصلح منه.

وقد وقع نحو هذا في تفسير: ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(١) ونبهت عليه في تفسير

(١) «فتح الباري» (٨ / ٧١١-٧١٢).

سورة (ألم نشرح)، ونقل ابن التين عن الداودي أن ذكر حديث أبي برزة هذا هنا إنما يستفاد منه تثبيت خبر الواحد، وهو غفلة منه فإن حكم تثبيت خبر الواحد انقضى، وعقب بالاعتصام بالكتاب والسنة، ومناسبة حديث أبي برزة للاعتصام بالكتاب من قوله (إن الله نعشكم) بالكتاب ظاهرة جدًا، والله أعلم^(١).

ش / حكاة الحافظ هنا، وتقدم معنى هذا الحديث في شرح الحديث الأول.



(١) «فتح الباري» (١٣ / ٢٤٦).

الحديث الخامس

٧٢٧٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُبَايِعُهُ: «وَأَقْرُ لَكَ بِذَلِكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فِيمَا اسْتَطَعْتُ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في الأحكام^(١) بلفظ: «شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك، قال: كتب إني أقرُّ بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت، وإن بيني قد أقرُّوا بمثل ذلك».

وبلفظ: «لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر: إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت، وإن بيني قد أقرُّوا بذلك»^(٢).

(١) باب: كيف يبایع الناس (٧٧/٩) رقم (٧٢٠٣).

(٢) المصدر السابق (٧٨/٩) رقم (٧٢٠٥).

وأخرجه مسلم^(١) من رواية يحيى بن أيوب عن عبد الله بن دينار، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: «كنا نبائع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، يقول لنا: فيما استطعت».

* الكلام على الحديث:

ش/ قلت: وحاصل ما تضمنه الحديث بمجموع رواياته أمران:

الأول: مسارعة ابن عمر رضي الله عنهما إلى مبايعة عبد الملك بن مروان رضي الله عنه، فلم يتوان ويتباطأ عن ذلك، وفي هذا دليل على حرص ابن عمر رضي الله عنهما على المسارعة إلى ما أجمع عليه المسلمون.

وفيه أسوة حسنة لكل من كانت السنة حاكمة عليه إلى أن يسارع إلى مبايعة من ولّاه الله أمر المسلمين منهم برّاً كان أو فاجرًا.

قال عليه السلام: «ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»^(٢).

الثاني: السنة في مبايعة ولي الأمر وتتضمن:

أولاً: السمع والطاعة.

(١) في الإمارة، باب: البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع (٣/ ١٤٩٠) رقم (١٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارهم (٣/ ١٤٨٢) رقم (١٨٥٥)، من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

والثاني: التقييد بالاستطاعة.

وقد جاء بيان هذين في أحاديث:

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١).

٢- حديث: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»^(٢)، وللحديث قصة.

فيتحصل من مجموع الأحاديث في هذا الباب: أن طاعة ولي الأمر ليست مطلقة كما هو متبادر إلى الفهم من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) الآية، بل هي مقيدة بهذين القيدتين.

ش/ قال الشارح: ومطابقة هذه الأحاديث الخمسة مجتمعة لكتاب

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب: السمع والطاعة للإمام (٤/٤٩) رقم (٢٩٥٥)، ومسلم في الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٣/١٤٦٩) رقم (١٨٣٩).

(٢) البخاري في الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٩/٦٣) رقم (٧١٤٥)، ومسلم في الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٣/١٤٦٩) رقم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) [النساء: ٥٩].

الاعتصام ظاهرة لمن تأملها، وإيضاح ذلك أنها كلها مثلاً لسيرة السلف
الصالح من الصحابة رضي الله عنهم على المسارعة إلى التمسك بالسنة، وفي ذلك
أسوة حسنة لمن بعدهم من أهل الإيمان.



[الباب الأول]

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»

* شرح الترجمة:

شاهد الترجمة منه: الإشارة إلى أن هدي رسول الله ﷺ هو خير هدي
وأكمّله وأيسره.



الحديث السادس

٧٢٧٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ
ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيْتُ بِمِفَاتِيحِ
خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَأَنْتُمْ تَلْعَثُونَهَا^(١)، أَوْ تَرَعَثُونَهَا^(٢)، أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا.

* التخریج:

أخرجه المصنف في الجهاد والسير^(٣) بلفظ: «بعثت بجوامع الكلم،
ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في
يدي» قال أبو هريرة رضي الله عنه: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تتنثلونها^(٤).

(١) أي: تأكلونها، من اللغث وهو طعام يُغْلَث. «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة «لغث».

(٢) يعني: الدنيا؛ أي ترضعونها، من رعث الجدي إذا رَضَعه. «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة «رعث».

(٣) باب: قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (٤/ ٥٤) رقم (٢٩٧٧).

(٤) تتنثلونها: يعني الأموال وما فتح عليهم من زهرة الدنيا. «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة «نثل».

وفي التعبير^(١): «أعطيت مفاتيح الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم البارحة إذ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي» قال أبو هريرة رضي الله عنه: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تتقلونها.

وفي التعبير^(٢) أيضًا بلفظ آخر: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي». وقال عقبه: «وبلغني أن جوامع الكلم: أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين، أو نحو ذلك».

قوله: «نصرت بالرعب»: في المتفق عليه واللفظ للبخاري من حديث جابر رضي الله عنه: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر...»^(٣) الحديث.

* الكلام على الحديث:

قال الحافظ رحمته الله: «قوله: «نصرت بالرعب» زاد أبو أمامة «يقذف في قلوب أعدائي»^(٤) أخرجه أحمد.

(١) باب: رؤيا الليل (٣٣/٩) رقم (٦٩٩٨).

(٢) باب: المفاتيح في اليد (٣٦/٩) رقم (٧٠١٣).

(٣) أخرجه البخاري في التيمم، قال باب (٧٤/١) رقم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، قال باب (٣٧٠/١) رقم (٥٢١).

(٤) مسند أحمد، مسند حديث أبي أمامة رضي الله عنه (٤٥١/٣٦) رقم (٢٢١٣٧). قال محققه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

قوله: «مسيرة شهر» مفهومه أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في أكثر منها، أما ما دونها فلا، لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب: «ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر»^(١) فالظاهر اختصاصه به مطلقاً، وإنما جعل الغاية شهراً؛ لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلة لأمته من بعده؟ فيه احتمال^(٢). اهـ

وللمصنف^(٣) ومسلم^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «نصرت بالصبا».

ش / ولا معارضة بين الحديثين؛ فالجمع بينهما: أن الله تعالى جعل كلاً من الأمرين سبباً لنصرة رسوله ﷺ.

قلت: وفي حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربتها، وإن أمتي سيبلى ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»^(٥).

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (٦٣٩/١١) رقم (٧٠٦٨)، قال محققه: صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٢) «فتح الباري» (١/٤٣٧).

(٣) كتاب الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ «نصرت بالصبا» (٣٣/٢) رقم (١٠٣٥).

(٤) كتاب الاستسقاء، باب: في ريح الصبا والدبور (٦١٧/٢) رقم (٩٠٠).

(٥) مسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٢٢١٥/٤) رقم (٢٨٨٩).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال العلماء: المراد بالكنزين: الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق الشام.

فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»^(١).

ش / قال مقبده: فاتفق الحديثان على بشارة عظيمة وهي اتساع رقعة الإسلام، وهذا مشاهد محسوس في زماننا - والله الحمد والمنة -، ويزيد هذه البشارة وضوحاً ما لا يحصى من آي الكتاب العزيز.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣).

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٨ / ١٣).

(٢) [النور: ٥٥].

(٣) [الصافات: ١٧١-١٧٣].

فينتحصل بضميمة حديث الباب وحديث ثوبان رضي الله عنه وما في معناهما إلى هذه الآيات وما في معناها: أن العاقبة الحميدة والنصر على الأعداء لأهل التمسك بالكتاب والسنة، وهذا هو وجه مطابقة الحديث للترجمة.

ويزيد ذلك وضوحاً: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١).

فازدد قوة وشدة في التمسك بالسنة، نائياً بنفسك عن بُنَيَاتِ الطريق والغرائب والشواذ والمفاريد التي تعج بها الساحة هذا اليوم، وكلها ليست من السنة في شيء.



(١) مسلم في الإمارة، باب: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (٣/١٥٢٣) رقم (١٩٢٠).

الحديث السابع

٧٢٧٤ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَوْ مِنْ - أَوْ آمَنَ - عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

* التخريج:

أخرجه المصنف من وجه آخر في فضائل القرآن^(١) بلفظ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة».

وأخرجه مسلم^(٢) من رواية شيخه قتيبة بن سعيد: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت

(١) باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (١٨٢/٦) رقم (٤٩٨١).

(٢) في الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته (١/١٣٤) رقم (١٥٢).

وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

* الكلام على الحديث:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفتح»: «قوله: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي» هذا دالٌّ على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصر على المعاندة.

«من الآيات»؛ أي: المعجزات الخوارق .

قوله: «ما مثله آمن عليه البشر» (ما) موصولة وقعت مفعولاً ثانياً لـ (أعطي)، و(مثله) مبتدأ، و(آمن) خبره، والمِثْل يطلق ويراد به عين الشيء وما يساويه، والمعنى: أن كل نبيٍّ أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها»^(١). اهـ

قوله: «وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ»:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «أي: إن معجزتي التي تحدت بها الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدت بها قومه، وكانت معجزة كل

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٩ / ٦).

نبيّ تقع مناسبة لحال قومه»^(١).

ش/ قال مقيدة: ومن أمثلة ذلك أن قوم عيسى بن مريم ﷺ برعوا في الطب فاتى الله نبيهم عيسى ﷺ أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾^(٣) الآية.

قال الحافظ رحمه الله: «قوله: «إنما كان الذي أوتيته» أن القرآن أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها؛ لاشتماله على الدعوة والحجة، ودوام الانتفاع

(١) المصدر السابق.

(٢) [آل عمران: ٤٩].

(٣) [المائدة: ١١٠].

به إلى آخر الدهر»^(١).

قوله: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»:

يوضحه من الأحاديث حديث حكيم بن معاوية عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله ﷻ، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيم»^(٢).

فشاهد الترجمة من مجموع هذه الأحاديث: أن المعول عليه في التدين لله ﷻ هو الوحي، وسواء كان هذا الوحي آية منزلة أو حديثاً صحيحاً عن النبي ﷺ فكلاهما وحي من الله إلى رسوله، قال ﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه» أخرجه أبو داود^(٣)، وصححه الألباني.



(١) «فتح الباري» (١٣ / ٢٤٨).

(٢) مسند أحمد، مسند بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ (٣ / ٥) رقم (٢٠٠٣٧)، قال محققه: إسناده حسن، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٦٩٨).

(٣) في السنة، باب: في لزوم السنة (٤ / ٢٠٠) رقم (٤٦٠٤)، «صحيح وضعيف أبي داود» رقم (٤٦٠٤).

[الباب الثاني]

بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، قَالَ: أُمَّةٌ
نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَا، وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا.

* شرح الترجمة:

الاعتداء والاتباع بمعنى، ويشير المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى مَا جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ
الكَرِيمِ مِنْ وَجُوبِ الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

(١) [الحشر: ٧].

(٢) [النجم: ٣-٤].

(٣) [النور: ٦٣].

فجميع هذه الآيات وما في معناها نص صريح ودليل قاطع على أن تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ شرط في قبول العمل.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾:

قلت: الآية: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١).

وذكر الآية هنا من باب عطف الخاص على العام، والمعنى: أنه مما قصه الله ﷻ من صفات عباده التي ختم بها سورة الفرقان أن هؤلاء سألوا الله أن يجعلهم أئمة للمتقين، ولا يكون الرجل إماماً يقتدى به إلا بسلوكه السنة.

وما أحسن ما قاله الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها...»^(٢).

وقال البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يحل لرجل أن يقول فلان صاحب سنة حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، فلا يقال له صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها»^(٣).

ش/ قلت: وبهذا تعلم أن بدعة واحدة يُصِرُّ عليها من قامت عليه الحجة الرسالية ليس بصاحب سنة.

(١) [الفرقان: ٧٤].

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، اعتقاد أحمد بن حنبل (١/ ١٧٦)، رقم (٣١٧).

(٣) «شرح السنة» (ص ١٣١).

وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: «ثَلَاثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي: هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوَهَا وَيَسْأَلُوا عَنْهَا، وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ، وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ».

ش / قلت: وصله الحافظ^(١) من طريقين:

أحدهما: عن شيخه عبد الرحيم بن عبد الكريم مشافهة عن يونس بن أبي إسحاق عن علي بن محمود أن السلفي أنبأهم أنا أبو بكر الطريثي أنا الحافظ أبو القاسم هبة الله الطبري أنا علي بن أحمد المقرئ ثنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ثنا أبو العباس البرتي ثنا القعنبي سمعت حماد بن زيد يقول قال ابن عون ولفظه: «ثلاثة أحبهن لنفسي ولأصحابي... فذكر القرآن والسنة، والثالثة: رجل أقبل على نفسه ولها عن الناس إلا من خير».

والثاني: عن شيخه أحمد بن أبي بكر في كتابه عن أبي نصر محمد بن محمد بن محمد بن مميل أن جده أنبأه أنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر أنا زاهر بن طاهر أنا سعيد البحيري أنا أبو بكر الشيباني هو محمد بن عبد الله الجوزقي ثنا أبو العباس الدغولي ثنا محمد بن نصر المروزي ثنا يحيى بن يحيى ثنا سليم بن أخضر سمعت ابن عون يقول غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث: «ثلاث أحبهن لنفسي ولأصحابي: أن ينظر الرجل هذا القرآن فيتدبره ويعمل بما

(١) «تغليق التعليق» (٥ / ٣١٩).

فيه، وينظر هذا الأثر عن رسول الله ﷺ فيتبعه ويعمل بما فيه، ويدع هؤلاء الناس إلا من خير».

ش/ قال عبيد: وليس بين هذه الروايات اختلاف في المعنى؛ فأنعم بهذه الوصايا والنصائح من حصّ على التمسك بالسنة والدعوة إليها.

وابن عون هو: «عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري، ثقة، ثبت، فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، من السادسة مات سنة خمسين ومائة على الصحيح/ع»^(١).



(١) «تقريب التهذيب» (ص ٣١٧).

الحديث الثامن

٧٢٧٥- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: «جَلَسْتُ إِلَى شَيْبَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، قَالَ: جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ فِي مَجْلِسِكَ هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَلَّا أَدْعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ، قَالَ: لِمَ؟ قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبُكَ، قَالَ: هُمَا الْمَرْءَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا».

* التخریج:

أخرجه المصنف في الحج^(١) من وجه آخر بلفظ: «جلست مع شيبه على الكرسي في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر رضي الله عنه، فقال: لقد هممت ألا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته، قلت: إن صاحبك لم يفعل، قال: هما المرءان أقتدي بهما».

ولأحمد^(٢) من رواية شيخه وكيع: «جلست إلى شيبه بن عثمان، فقال:

(١) باب: في كسوة الكعبة (١٤٩/٢) رقم (١٥٩٤).

(٢) مسند شيبه بن عثمان الحجيبي رضي الله عنه (١٠٢/٢٤) رقم (١٥٣٨٢).

جلس عمر بن الخطاب في مجلسك هذا فقال: لقد هممت ألا أدع في الكعبة صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين الناس، قال: قلت: ليس ذلك لك، قد سبقك صاحبك لم يفعل ذلك، فقال: هما المرءان يُقتدى بهما».

ولابن ماجه^(١) في المناسك من رواية شيخه أبي بكر بن أبي شيبة: «بعث رجل معي بدراهم هدية إلى البيت، قال: فدخلت البيت وشيبة جالس على كرسي، فناولته إياها، فقال: ألك هذه؟ قلت: لا، ولو كانت لي لم آتكَ بها، قال: أما لئن قلت ذلك، لقد جلس عمر بن الخطاب مجلسك الذي جلست فيه، فقال: لا أخرج حتى أقسم مال الكعبة بين فقراء المسلمين. قلت: ما أنت فاعل، قال: لأفعلن، قال: ولم ذاك؟ قلت: لأن النبي ﷺ قد رأى مكانه، وأبو بكر وهما أخرج منك إلى المال، فلم يحركاه، فقام كما هو، فخرج».

* الكلام على الحديث:

«قوله: «فيها»؛ أي: الكعبة.

قوله: «صفراء ولا بيضاء»؛ أي: ذهبًا ولا فضة.

قال القرطبي: غلط من ظن أن المراد بذلك حلية الكعبة، وإنما أراد الكنز الذي بها وهو ما كان يهدى إليها فيدخر ما يزيد عن الحاجة، وأما الحلبي فمحبسة عليها كالقناديل فلا يجوز صرفها في غيرها.

(١) باب: مال الكعبة (٢/١٠٤٠) رقم (٣١١٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح

وضعيف ابن ماجه» برقم (٣١١٦).

وقال ابن الجوزي: كانوا في الجاهلية يهدون إلى الكعبة المال تعظيمًا لها فيجتمع فيها.

قوله: «إلا قسمته»؛ أي: المال، وفي رواية عمر بن شبة في كتاب مكة عن قبيصة شيخ البخاري فيه: «إلا قسمتها»^(١).

ش/ قال مقيده: فتحصل من هذه الروايات مجتمعة:

أولاً: أن ما أراد عمر رضي الله عنه قسمته على فقراء مكة هو ما يُهدى إلى الكعبة.
وثانيًا: جواز مناصحة الحاكم إذا أخطأ، واعلم أن هذا يجب أن يكون مشافهة كما فعل شعبة بن عثمان رضي الله عنه مع أمير المؤمنين ابن الخطاب رضي الله عنه.
ويؤيد ما قلناه قوله عليه السلام: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبدعه علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به؛ فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه»^(٢).

فإياك أن تغتر بما يصنعه أذعياء الدعوة من التشهير بأخطاء الحكام على المنابر، وفي الندوات وفي وسائل الإعلام وغير ذلك، فإنه ليس من السنة في شيء بل هو من صنيع الخوارج القعدية.

(١) «فتح الباري» (٣/ ٤٥٦).

(٢) «ظلال الجنة في تخريج السنة» لابن أبي عاصم، باب: كيف نصيحة الرعية للولاة (٢/ ٢٧٣) رقم (١٠٩٦)، صححه الألباني رحمته الله.

ثالثًا: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقَّاف عند السُّنة، ألا تراه عدل صراحة عما كان عازمًا عليه من قسمة مال الكعبة على فقراء المسلمين حين قال له شيبه بن عثمان ما قال، فقال رضي الله عنه: «هما المرءان يقتدى بهما»؛ فهذا هو شاهد الترجمة من الحديث.



الحديث التاسع

٧٢٧٦- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَأَلْتُ الْأَعْمَشَ، فَقَالَ: عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ فَفَرَّءُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في الرقاق^(١) من رواية شيخه محمد بن كثير، قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة...» الحديث.

وأخرجه مسلم في الإيمان^(٢) من رواية شيخه أبي بكر بن أبي شيبة

(١) باب: رفع الأمانة (٨/ ١٠٤) رقم (٦٤٩٧).

(٢) باب: رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب (١/ ١٢٦) رقم (١٤٣).

وأبي كريب بلفظ: عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة...» الحديث.

ولابن ماجه في الفتن ^(١) من رواية شيخه علي بن محمد بلفظ: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر؛ حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال - قال الطنفاصي: يعني وسط قلوب الرجال - ونزل القرآن فعلمنا من القرآن، وعلمنا من السنة».

* الكلام على الحديث:

«قوله: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال» أما الجذر فهو بفتح الجيم وكسرهما لغتان، وبالدال المعجمة فيهما وهو الأصل.

قال القاضي عياض رحمته الله: مذهب الأصمعي في هذا الحديث فتح الجيم، وأبو عمرو يكسرها، وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله تعالى به عباده، والعهد الذي أخذه عليهم.

قال الإمام أبو الحسن الواحدي رحمته الله في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الفرائض التي افترضها الله تعالى على العباد.

(١) باب: ذهاب القرآن والعلم (١٣٤٦/٢) رقم (٤٠٥٣)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح وضعيف ابن ماجه» برقم (٤٠٥٣).

وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة.

وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به وما نُهوا عنه.

وقال مقاتل: الأمانة: الطاعة.

قال الواحدي: وهذا قول أكثر المفسرين، قال: فالأمانة في قول جميعهم الطاعة والفرائض التي تتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب، والله أعلم.

وقال صاحب التحرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ وهي عين الإيمان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنى ما يرد عليه منها وجدَّ في إقامتها، والله أعلم^(١).

«قوله: «ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة» كذا في هذه الرواية بإعادة (ثم)، وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجباً كان أو مندوباً»^(٢).

ش/ قلت: وفي الحديث فائدة وهي أنه لا يتم للمرء العمل بالقرآن حتى يعلم من السنة ما هو بيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه.

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ١٦٨).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٣٩).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فالسنة تفسر القرآن وتبينه، وتدلل عليه وتعبر عنه»^(١).

وبهذا يستبين لك جلياً معنى قوله: «فقرءوا القرآن، وعلموا من السنة، وهو الشاهد من الحديث للترجمة».



(١) «مجموع الفتاوى» (٣ / ١٣٨).

الحديث العاشر

٧٢٧٧- حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، سَمِعْتُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ، يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في الأدب^(١) من رواية شيخه أبي الوليد بلفظ: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ» مختصراً.
وللطيالسي^(٢) من رواية شيخه شعبة: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين، وإن ما بعيد ما ليس آتياً، قال عمرو: هذا الحرف: (وإنما بعيد ما ليس آتياً) حدثني مرة عن عبد الله أو رجل عن عبد الله».

(١) باب: في الهدي الصالح (٢٥ / ٨) رقم (٦٠٩٨).

(٢) باب: ما أسند عبد الله بن مسعود ﷺ (٢٨٥ / ١) رقم (٣٦٥).

ولمسلم^(١) من حديث جابر رضي الله عنه: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

ولأبي داود^(٢) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

* الكلام على الحديث:

ش/ قال مقيده: فتحصل من حديث الباب وما انضاف إليه أمور هي شاهد الترجمة، وجدير بكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يهتم بها ويجعلها نصب عينيه حتى يكون معتصماً بالسنة:

الأول: الحض على لزوم هدي محمد ﷺ وأنه لا هدي أكمل منه، وفي نواقض الإسلام: «من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر»^(٣).

(١) في الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) رقم (٨٦٧).

(٢) كتاب السنة، باب: لزوم السنة (٢٠٠/٤) رقم (٤٦٠٧)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح وضعيف أبي داود» برقم (٤٦٠٧).

(٣) «نواقض الإسلام» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله.

الثاني: الوصية بتقوى الله، وهي التحرز بطاعة الله عن معصيته، وفسرها طلق بن حبيب رحمته الله بقوله: «أن تعمل بطاعة الله على نور من نور الله رجاء ثواب الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله خوف عقاب الله»^(١).

الثالث: تأكيد الوصية بلزوم سنته صلوات الله عليه وسنة الخلفاء الراشدين، ألا تراه عليه السلام قال: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسکوا بها وعضوا علیها بالنواجذ».

الرابع: التحذير من البدع، وهذا التحذير عام شامل لصغار البدع وكبارها.

وما أحسن ما قاله البربهاري^(٢) رحمته الله: «واحذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاعتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها فخالف الصراط المستقيم».

الخامس: وهذا في حديث الباب خاصة الاستعداد ليوم المعاد، وهو يوم يقف فيه الخلائق بين يدي الله للجزاء والحساب، وتوفى كل نفس ما عملت.

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة، باب: إعلام النبي صلوات الله عليه أمته أمر الفتن الجارية، وأمره لهم بلزوم البيوت، وفضل القعود، ولزوم العقلاء بيوتهم، وتخوفهم على قلوبهم من اتباع الهوى، وصيانتهم لأستهم وأديانهم (٢/ ٥٩٨) رقم (٧٦٦).

(٢) «شرح السنة» (ص ٦٨).

ألا تراه ﷺ قال: «وإن ما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين» وهذه آية الأنعام، وفي معناها من أي التنزيل الكريم آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).



(١) [العنكبوت: ٥].

الحديث الحادي عشر

٧٢٧٨، ٧٢٧٩ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ
عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:
«لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع منها:

أولاً: الصلح^(١) من طريق شيخه آدم وهو ابن أبي إياس بلفظ: قالوا:
جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، فقام خصمه فقال:
صدق، اقض بيننا بكتاب الله، فقال الأعرابي: إن ابني كان عسيفاً على هذا
فزني بامرأته، فقالوا لي: على ابنك الرجم، ففديت ابني منه بمائة من الغنم
ووليدة، ثم سألت أهل العلم فقالوا: إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام.
فقال النبي ﷺ: «لأقضي بينكما بكتاب الله، أما الوليدة والغنم فردُّ
عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، وأما أنت يا أنيس - لرجل - فاغد

(١) باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فأنصلح مردود (٣/ ١٨٤) رقم (٢٦٩٥).

على امرأة هذا، فارجمها»، فغدا عليها أنيس فرجمها.

الثاني: في الشروط^(١) من طريق شيخه قتيبة بن سعيد بلفظ: أنهما قالا: «إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر -وهو أفقه منه-: نعم فاقض بيننا بكتاب الله، وأذن لي، فقال رسول الله ﷺ: قل، قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا، فزني بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم.

فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم ردًّا، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، اغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها»، قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت.

الثالث: في الأيمان والنذور^(٢) من طريق شيخه إسماعيل: «أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: اقض بيننا بكتاب الله، وقال الآخر -وهو أفقهما-: أجل يا رسول الله، فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن أتكلم، قال: تكلم. قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا -قال مالك: والعسيف

(١) باب: الشروط التي لا تحل في الحدود (٣/١٩١) رقم (٢٧٢٤).

(٢) باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ (٨/١٢٩) رقم (٦٦٣٣).

الأجير - زنى بامرأته، فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وجارية لي، ثم إنني سألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته.

فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فرد عليك» وجلد ابنه مائة وغربه عامًا، وأمر أنيس الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر، فإن اعترفت رجمها، فاعترفت فرجمها.

الرابع: في الحدود^(١) من طريق شيخه علي بن عبد الله بلفظ: قالوا: «كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فقال: أنشدك الله إلا قضيت بيننا بكتاب الله، فقام خصمه - وكان أفقه منه - فقال: اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي؟ قال: قل. قال: إن ابني كان عسيقًا على هذا فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، ثم سألت رجالًا من أهل العلم فأخبروني: أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وعلى امرأته الرجم.

فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله - جل ذكره -، المائة شاة والخادم رد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» فغدا عليها فاعترفت فرجمها.

قلت لسفيان: لم يقل: فأخبروني أن على ابني الرجم؟ فقال: الشك

فيها من الزهري، وربما قتلها، وربما سكت.

وأخرجه مسلم من طريق شيخه قتيبة بن سعيد ومحمد بن ربح في الحدود^(١).

وأخرجه أبو داود من طريق شيخه عبد الله بن مسلمة القعنبي في الحدود^(٢).

* الكلام على الحديث:

في هذا الحديث من الفقه فوائد:

الأولى: وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة وتحريم التحاكم إلى غيرهما، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣).

فالرد إلى الله: هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله ﷺ: هو الرد إلى شخصه في حياته وإلى سنته بعد مماته، وعلى هذا أجمع المسلمون.

الثانية: أن حد الزاني البكر: جلد مائة وتغريب عام، وأن حد المحصن: الرجم.

(١) باب: من اعترف على نفسه بالزنا (٣/١٣٢٤) رقم (١٦٩٧).

(٢) باب: المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة (٤/١٥٣) رقم (٤٤٤٥)، وصححه الألباني رحمه الله.

(٣) [النساء: ٥٩].

واعلم أن الرجم كما ثبت بالسنة المستفيضة غير حديث الباب ثبت كذلك بالكتاب الكريم:

عن سعيد بن المسيب، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، ولولا أن يقال: زاد عمر في كتاب الله؛ لكتبها بيدي»^(١).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن امرأة من جهينة أتت نبي الله صلى الله عليه وسلم وهي حُبْلَى من الزنا، فقالت: يا نبي الله، أصبت حُداً فأقمه عليّ، فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال: أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها، ففعل، فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشكت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟»^(٢).

وكذلك هو ثابت بإجماع المسلمين: «واتفقوا أنه إذا زنى كما ذكرنا، وكان قد تزوج قبل ذلك، وهو خصي، وهو بالغ، مسلم، حر، عاقل، حرة، مسلمة، بالغة، عاقلة، نكاحاً صحيحاً، ووطئها، وهو في عقله قبل أن يزني ولم يتب، ولا طال الأمر، أن عليه الرجم بالحجارة حتى يموت»^(٣).

(١) «ناسخ القرآن ومنسوخه»، باب: أقسام المنسوخ (ص ١٦٣).

(٢) مسلم في الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنا (٣/ ١٣٢٤) رقم (١٦٩٦).

(٣) «مراتب الإجماع» (ص ١٢٩).

فتحصل من هذا: أن حد الزاني المحصن الرجم ثابت بالكتاب كما في الآية التي أشار إليها عمر رضي الله عنه، وبالسنة المستفيضة، والإجماع كما حكاه ابن حزم، وفي هذا الرد على من أنكره من الخوارج وأتباع المدرسة الفلسفية العقلية المعاصرة.

الفائدة الثالثة: التنبيه إلى أن أهل العلم الراسخين فيه هم أهل حل المشكلات والمعضلات من النوازل لاسيما أكابرهم، ألا ترى أن ذلك الرجل لما تبين أن صنيعه خطأ قصد إلى رسول الله ﷺ، وفي هذا سنة يجب أن تتبع وهي أن يُعتمد في النوازل إلى أفقه أهل الزمان.

الفائدة الرابعة: في قوله: «فاقض بيننا بكتاب الله»، وفي قوله ﷺ: «لأقضين بينكما بكتاب الله»، وهذا هو شاهد الترجمة من الحديث، وإيضاحه أن القضاء بالكتاب والسنة اعتصام بهما.



الحديث الثاني عشر

٧٢٨٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

* التخریج:

أخرجه أحمد من طريق شيخه يونس وسريج بلفظ: «كل أمتي يدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»^(١).

* الكلام على الحديث:

والشاهد من هذا الحديث للترجمة في جمل خمس وتفصيلها كما يأتي:

- الجملة الأولى: قوله: «كل أمتي يدخلون الجنة»؛ يعني: يوم القيامة

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٣٤٣/١٤) رقم (٨٧٢٩)، قال محققه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن فليحاً -وهو ابن سليمان- ينحط عن رتبة الصحيح.

كما صرح به في رواية أحمد، وهذا العام مخصوص بقوله بعد:

- وهي الجملة الثانية: «إلا من أبى» والمعنى: أن رسول الله ﷺ أخبر بدخول أمته كلهم الجنة وخصّ من أبى؛ يعني: امتنع من الاستجابة لله ولرسوله، وفي الكتاب العزيز: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾^(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ثم قال مخاطبًا لكفار قريش، والمراد سائر الناس: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: بأعمالكم، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والثوري: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: شديدًا، أي: فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول، فيصيبكم ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾^(٢)، وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتُم؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران. ويروى عن ابن عباس ومجاهد^(٣).

- الجملة الثالثة: قوله: «ومن يابى يا رسول الله؟»، وهذا السؤال من أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فكانهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ استغربوا الإباء عن الاستجابة له رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ وذلك

(١) [المزمل: ١٥-١٦].

(٢) [النازعات: ٢٥].

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٨ / ٢٥٦).

لما استقر في قلوبهم وخالطتها بشاشته من الإيمان به، وما جاء به، وأن ذلك كله حق، فكأنهم لذلك استبعدوا الإباء عن الاستجابة له.

- الجملة الرابعة والخامسة: في قوله: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»، وهذا جوابه ﷺ على سؤال أصحابه ﷺ.

وفيه بيان أن الناس من حيث طاعته والاستجابة له وعدم ذلك صنفان لا ثالث لهما:

أحدهما: أهل طاعته وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق أخباره، وأن الكل حق على حقيقته يجب أن يصاب عن الظنون الكاذبة، والخيالات الباطلة، والأقيسة الفاسدة، وضرب الأمثال تمحلاً وتلاعياً بالسنة واتباعاً للهوى.

الثاني: أهل معصيته، وهم الذين لم يكونوا منقادين لما جاء به، وهذا من أحاديث الوعيد؛ لأن من المعاصي ما هو كفر مخرج من الملة، ومنها ما هو فسق ينافي كمال الإيمان الواجب، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع. فالشاهد من الحديث للترجمة: وجوب طاعة النبي ﷺ؛ وأن ذلك سبب للنجاة والفلاح والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، والحذر من معصيته، وأنها سبب الهلاك والخسران، والله أعلم.

الحديث الثالث عشر

٧٢٨١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادَةَ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، حَدَّثَنَا - أَوْ سَمِعْتُ - جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: جَاءَت مَلَائِكَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَادُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَآكَلَ مِنَ الْمَادُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَادُبَةِ، فَقَالُوا: أَوْلَوْهَا لَهُ يَفْقَهَهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَقَ بَيْنَ النَّاسِ تَابِعَهُ قُتَيْبَةُ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ جَابِرٍ، خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ.

* الكلام على الحديث:

ش / «قوله: «فقال بعضهم إنه نائم» إلى قوله: «يقظان»:

قال الرامهرمزي: هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحة خواطره، يقال: رجل يقظ إذا كان ذكي القلب.

وفي حديث ابن مسعود: «فقالوا بينهم ما رأينا عبدًا قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلًا»^(١).

وفي رواية سعيد بن أبي هلال: «فقال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلًا، فقال: اسمع سمع أذنك، واعقل عقل قلبك؛ إنما مثلك...»^(٢).

ونحوه في حديث ربيعة الجرشي عند الطبراني^(٣)، زاد أحمد في حديث ابن مسعود: «فقالوا: اضربوا له مثلًا ونؤول أو نضرب وأولوا وفيه ليعقل قلبك».

قوله: «مثله كمثله رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة»: في حديث ابن مسعود

(١) سنن الترمذي في الأمثال، باب: ما جاء في مثل الله لعباده (١٤٥/٥) رقم (٢٨٦١)، وقال الألباني رحمه الله: حسن صحيح، رقم (٢٨٦١).

(٢) سنن الترمذي في الأمثال، باب: ما جاء في مثل الله لعباده (١٤٥/٥) رقم (٢٨٦٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث مرسل؛ سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله، وقال الألباني: ضعيف الإسناد، رقم (٢٨٦٠).

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» في التفسير، باب: تفسير سورة يونس (٣٦٩/٢) رقم (٣٢٩٩) وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) «معجم الطبراني الكبير» ربيعة بن الغاز الجرشي ويقال ابن عمرو وهو جد هشام بن الغاز (٦٥/٥) رقم (٤٥٩٧).

«مثل سيد بنى قصرًا»، وفي رواية أحمد: «بنيانًا حصينًا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه»^(١)، وفي رواية أحمد: «عذب عذابًا شديدًا»^(٢).

والمأدبة: بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة وحكي الفتح، وقال ابن التين عن أبي عبد الملك: الضم والفتح لغتان فصيحتان، وقال الرامهرمزي نحوه في حديث القرآن: مأدبة الله.

قال: وقال لي أبو موسى الحامض: من قاله بالضم أراد الوليمة، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي أدب به عباده.

قلت: فعلى هذا يتعين الضم.

قوله: «وبعث داعيًا» في رواية سعيد: «ثم بعث رسولًا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه».

قوله: «فقال بعضهم: أولوها له يفقهها» قيل: يؤخذ منه حجة لأهل التعبير أن التعبير إذا وقع في المنام اعتمد عليه.

قال ابن بطال: قوله «أولوها له»: يدل على أن الرؤيا على ما عبرت في

النوم. انتهى.

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٣٣٢/٦) رقم (٣٧٨٨)، قال محققه: إسناده ضعيف، عمرو البكالي - وكنيته أبو عثمان - لم يثبت سماعه لهذا الحديث من ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) المصدر السابق.

وفيه نظر؛ لاحتمال الاختصاص بهذه القصة؛ لكون الرائي النبي ﷺ والمرئي الملائكة فلا يطرد ذلك في حق غيرهم.

قوله: «فقال بعضهم: إنه نائم» هكذا وقع ثالث مرة.

قوله: «فقالوا: الدار الجنة»؛ أي: الممثل بها، زاد في رواية سعيد بن أبي هلال: «فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول الله»، وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «أما السيد فهو رب العالمين، وأما البنيان فهو الإسلام، والطعام الجنة، ومحمد الداعي، فمن اتبعه كان في الجنة».

قوله: «فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله»؛ أي: لأنه رسول صاحب المأدبة، فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، وهو كناية عن دخول الجنة.

ووقع بيان ذلك في رواية سعيد ولفظه: «وأنت يا محمد رسول الله، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».

قوله: «ومحمد فرق بين الناس» كذا لأبي ذر بتشديد الراء فعلاً ماضياً وغيره بسكون الراء والتنوين وكلاهما متجه^(١).

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٢٥٥).

ش / قال مقيد - عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانه - :

يعني : أن المعنى صحيح سواءً بالتشديد أو بالتخفيف .

ويوضح هذا المعنى ويبين علاقته بالترجمة كلام نفيس للإمام العلم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : قال : « فطاعة الرسول ﷺ عليها مدار السعادة وجوداً وعدمًا ، وهي الفارقة بين أهل الجنة والنار ، ومحمد ﷺ فرق بين الناس ، والله قد دل الخلق على طاعته لما بينه لهم ، وأهل السنة جازمون بالنجاة لمن كان من أهل السنة »^(١) .

والتعليق على هذا القول الجميل النفيس الجليل الماتع في مواضع :

- الموضع الأول :

قوله : « عليها مدار السعادة وجوداً وعدمًا » : والمعنى أن سلوك سبيل رسول الله ﷺ بفعل أو امره ، واجتناب نواهيه ، وتصديق أخباره هو سبيل إلى السعادة ، سعادة العبد في دنياه وآخرته ، ومن لم يكن كذلك فليس له نصيب في النجاة بل هو هالك من الهالكين .

- الموضع الثاني :

في قوله رَحِمَهُ اللهُ : « والله قد دل الخلق على طاعته بما بينه لهم » : يشير رَحِمَهُ اللهُ إلى آيات كثيرة تضمنت وجوب طاعة النبي ﷺ ، وأن الله قد سد كل

(١) « منهاج السنة النبوية » (٣ / ٥٠٦) .

طريق يزعم الناس أنها توصل الناس إلى محابه ومراضيه وسعادة الدنيا والآخرة سوى طريق واحدة هي طريق محمد ﷺ، ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤).

وينضاف إلى ما قدمناه ثلاثة أمور:

الأمر الأول: وجوب العمل بالسنة كما يجب العمل بالقرآن؛ إذ كلاهما وحى الله إلى رسوله ﷺ، ومن الصريح في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»^(٥) الحديث.

(١) [النساء: ٨٠].

(٢) [آل عمران: ٣١].

(٣) [الأحزاب: ٢١].

(٤) [النجم: ٣-٤].

(٥) مسند أحمد، حديث المقدم بن معديكرب (٢٨/٤١٠) رقم (١٧١٧٣)، قال محققه:

ويؤكد هذا: ما أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه؛ فهو ردٌّ»^(١).

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ»^(٢).

قال أهل العلم: الرد معناه: المردود، وما كان مردوداً فكأنه غير موجود، والرد إذا أضيف إلى العبادة اقتضى فسادها وعدم الاعتداد بها، وإذا أضيف إلى المعاملة فإنه يقتضي إلغائها وعدم نفوذها.

وقالوا أيضاً: العمل إن فقد الإخلاص لله كان شركاً أو رياءً، وإن فقد المتابعة لرسول الله ﷺ كان بدعة، ومتى جمع العمل الإخلاص لله والمتابعة

إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرشي، فمن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة.

وأخرجه أبو داود في السنة، باب: في لزوم السنة (٢٠٠/٤) رقم (٤٦٠٤) ولفظه: «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه»، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف أبي داود» برقم (٤٦٠٤).

(١) البخاري في الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (١٨٤/٣) رقم (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/١٣٤٣) رقم (١٧١٨).

(٢) مسلم في الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/١٣٤٣) رقم (١٧١٨).

وأخرجه البخاري تعليقاً في الاعتصام، باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود (١٠٧/٩).

لرسول الله ﷺ كان عمل أهل السنة.

أقول: لأنه جمع الشرطين اللذين لا بد منهما لقبول العمل وهما:
تجريد الإخلاص لله، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

الأمر الثاني: مكانة السنة عند أهل السنة ويشاركهم بعض الطوائف من
المبتدعة، وهي أن السنة تفسر القرآن، وتدل على ما يدل عليه القرآن، ومن
تفسيرها للقرآن تقييد مطلقه وتخصيص عمومه، وتدل على ما يدل عليه
القرآن، والمعنى: أن ما صح عن النبي ﷺ بالشروط المعتمدة لدى أهل
المعرفة بحديثه ﷺ فإنه يجب قبوله، وسواء ما دل عليه الحديث الصحيح
مما جاء في القرآن أو كان لم يأت به القرآن.

فمثال الأول: النهي عن الجمع بين الأختين في عصمة واحدة فهذا
تضافر عليه الكتاب والسنة.

ومثال الثاني: النهي عن الجمع في النكاح بين المرأة وخالتها وبين
المرأة وعمتها.

ومثال آخر: جلد الزاني البكر مائة، جاء في القرآن وفي السنة،
وتغريبه عامًا انفردت به السنة، فلم يفرق أهل العلم بين هذا وهذا، أعني:
المحققين.

الأمر الثالث: أنه لا يسوغ ولا يجوز، بل يحرم أن ينصب رجلًا معتبرًا
أنه هو القدوة الحسنة، أو أن فيه القدوة الحسنة في ذاته، فهذا ليس إلا

لرسول الله ﷺ؛ لأنه المبلغ عن ربه ﷻ إلى الأمة ما أَرَادَهُ منهم، وما لحق ﷺ بالرفيق الأعلى حتى بَلَغَ البلاغ المبين.

واعلم أن الإجماع وهو اتفاق جميع العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ - يعني: أمة الإجابة الذين انقادوا لله ولرسوله ﷺ على أمر شرعي بعد وفاته في عصرٍ من العصور - حجةٌ بنفسه يجبُ التسليم له وقبوله، وأما ما عدا النص والإجماع من أقوال أفراد الأمة فليست بمعصومة لكن من اجتهد قاصداً الحق ينطبق عليه قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(١).

فمن خالف هذا ونصب للناس رجلاً يوالي ويعادي فيه فهو: ﴿مِنَ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢).

* من فقه الحديث:

وفي هذا الحديث فوائد:

منها: وهو شاهد الترجمة أنه لا عصمة من الفتن ولا نجاة من المحن صغارها وكبارها إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة.

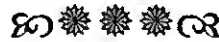
(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٠٨/٩) رقم (٧٣٥٢)، ومسلم في الأفضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٣/١٣٤٢) رقم (١٧١٦).

(٢) [الروم: ٣٢].

الثانية: فيها خصيصة من خصائص النبي ﷺ وهي أنه تنام عينه ولا ينام قلبه.

الثالثة: أن رؤيا الأنبياء حق.

الرابعة: التنبيه إلى وجوب رد المخالفات للتفريق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والسنة والبدعة، ولولا ذلك لالتبس الحق بالباطل.



الحديث الرابع عشر

٧٢٨٢- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا».

* التخریج:

وللبزار^(١) من طريق شيخه محمد بن عمرو بن حنان عن همام، ولفظه عن حذيفة رضي الله عنه: «أنه مر على أناس في المسجد فقال: يا معشر القراء، اسلكوا الطريق فوالله لئن سلكنموها لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً».

ولابن أبي شيبة^(٢) من طريق شيخه أبي معاوية عن همام ولفظه عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان يدخل المسجد فيقف على الحلق، فيقول: يا معشر القراء، اسلكوا الطريق؛ فلئن سلكنموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم

(١) مسند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (٧ / ٣٥٨) رقم (٢٩٥٦).

(٢) كتاب الزهد، زهد الصحابة رضي الله عنهم كلام حذيفة رضي الله عنه (١٣ / ٣٧٩) رقم (٣٥٩٤٧).

يميناً أو شمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً».

* الكلام على الحديث:

ش / «قوله: «يا معشر القراء» بضم القاف وتشديد الراء مهموز جمع قارئ، والمراد بهم: العلماء بالقرآن والسنة العباد.

قوله: «استقيموا»؛ أي: اسلكوا طريق الاستقامة، وهي كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً.

وقوله: «فقد سبقتم» هو بفتح أوله كما جزم به ابن التين، وحكى غيره ضمه، والأول المعتمد.

زاد محمد بن يحيى الذهلي عن أبي نعيم شيخ البخاري فيه: «فإن استقمتم فقد سبقتم» أخرجه أبو نعيم في المستخرج.

وقوله: «سبقاً بعيداً»؛ أي: ظاهراً ووصفه بالبعد؛ لأنه غاية شأن السابقين، والمراد: أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام فإذا تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير؛ لأن من جاء بعده إن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام، وإلا فهو أبعد منه حساً وحكماً.

قوله: «فإن أخذتم يميناً وشمالاً»؛ أي: خالفتم الأمر المذكور.

وكلام حذيفة منتزع من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١).

والذي له حكم الرفع من حديث حذيفة هذا الإشارة إلى فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين مضوا على الاستقامة فاستشهدوا بين يدي النبي ﷺ أو عاشوا بعده على طريقته، فاستشهدوا أو ماتوا على فرشهم^(١). اهـ من «الفتح».

ش/ قال مقيدته - عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانه -:
وبهذا الكلام السديد الذي ليس عليه - فيما أرى - مزيد ظهرت مطابقة وصية حذيفة ﷺ للترجمة.

وفي التنزيل الكريم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعدَّ لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم».

قال الشعبي: السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية.

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٢٥٧).

(٢) [التوبة: ١٠٠].

وقال أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين،
والحسن، وقتادة: هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ.

فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين
والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ فإيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو
سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني
الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ؓ، فإن الطائفة
المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويسبُّونهم، عيادًا
بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين
هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبُّون من رضي الله عنهم؟

وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبَّه الله
ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون
لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون؛ ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده
المؤمنون^(١).



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤ / ٢٠٣).

الحديث الخامس عشر

٧٢٨٣- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْتَّجَاءُ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَانْجَوا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ».

* التخریج:

أخرجه المصنف مختصرًا في الرقاق^(١) من طريق شيخه محمد بن العلاء، وأخرجه مسلم^(٢) بمثل رواية الباب من طريق شيخه عبد الله بن براد الأشعري.

(١) باب: الانتهاء عن المعاصي (١٠١ / ٨) رقم (٦٤٨٢).

(٢) في الفضائل، باب: شفقتي ﷺ على أمتي ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (١٧٨٨ / ٤)

* الكلام على الحديث:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «وإني أنا النذير العريان» قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم؛ ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربئة القوم وهو طليعتهم ورقبهم.

قالوا: وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظرًا؛ فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو.

وقيل: معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانًا.

قوله: «فالنجاء» ممدود؛ أي: انجوا النجاء، أو: اطلبوا النجاء.

قال القاضي^(١): المعروف في النجاء إذا أفرد المد، وحكى أبو زيد فيه القصر أيضًا، فإذا ما كرروه فقالوا: النجاء النجاء، ففيه المد والقصر معًا.

قوله ﷺ: «فأدلجوا»^(٢) فانطلقوا على مهلتهم» أما (أدلجوا) فبإسكان الدال، ومعناه: ساروا من أول الليل، يقال: (أدلجت) بإسكان الدال إدلاجًا

(١) «إكمال المعلم» (٧/ ١٢٧).

(٢) الدلجة: هو سير الليل، يقال: أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، وأدلج - بالتشديد - إذا سار من آخره، والاسم منهما الدلجة، والدلجة بالضم والفتح، وقد تكرر ذكرهما في الحديث. ومنهم من يجعل الإدلاج لليل كله. «النهاية في غريب الأثر» مادة «دلج».

كأكرمت إكرامًا، والاسم (الدلجة) بفتح الدال، فإن خرجت من آخر الليل قلت (أدّلت) بتشديد الدال أدّلت ادلاجًا بالتشديد أيضًا، والاسم الدلجة بضم الدال، قال ابن قتيبة وغيره: ومنهم من يجيز الوجهين في كل واحد منهما.

وأما قوله: «على مهلتهم» هكذا هو في جميع نسخ مسلم بضم الميم وإسكان الهاء، وبتاء بعد اللام، وفي الجمع بين الصحيحين (مهلهم) بحذف التاء وفتح الميم والهاء، وهما صحيحان^(١).

وقوله: «فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»:

قال الطيبي: «شبه ﷺ نفسه بالرجل وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصباح، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل في إنذاره»^(٢). حكاه الحافظ رحمه الله.

ش / قال مقيله: فبان بهذا الحديث أن الناس من حيث إجابة النبي ﷺ وعدمها قسمان:

أحدهما: أهل طاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فأولئك لهم العاقبة الحميدة، والنجاة في الدنيا والآخرة.

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٤٨ / ١٥).

(٢) «فتح الباري» (٣١٧ / ١١).

والثاني: أهل الاستكبار والإباء والاستكاف عن إجابته ﷺ، وهؤلاء هم أهل الهلاك والخسران، وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

فاختر لنفسك أيها العاقل اللبيب أرشد المسلكين، وخير الطريقين، وصحبة خير النصفين.

واعلم أن المرء مع من أحب؛ قال ﷺ: «الرجل على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخالل»^(١) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني -رحم الله الجميع-.



(١) سنن أبي داود، في الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس (٢٥٩/٤) رقم (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في «صحيح وضعيف أبي داود» برقم (٤٨٣٣).

وأخرجه الترمذي في الزهد، قال: باب (٥٨٩/٤) رقم (٢٣٧٨)، وحسنه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» برقم (٢٣٧٨).

الحديث السادس عشر

٧٢٨٤، ٧٢٨٥- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ وَنَفْسُهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟» فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ عَنِ اللَّيْثِ: عَنَّا، وَهُوَ أَصَحُّ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع منها:

أولاً: في الزكاة^(١) من طريق شيخه أبي اليمان الحكم بن نافع.

(١) باب: وجوب الزكاة (٢/ ١٠٥) رقم (١٣٩٩).

ثانيًا: أخرجه في الجهاد والسير^(١) مختصرًا من طريق شيخه أبي اليمان أيضًا.

ثالثًا: في استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم^(٢) من طريق شيخه يحيى بن بكير.

وأخرجه مسلم في الإيمان^(٣) من طريق شيخه قتيبة بن سعيد.

* الكلام على الحديث:

قوله: «وكفر من كفر من العرب»:

ش/ هذه من عظام المصائب التي ابتلي بها المسلمون عامة والصديق ﷺ خاصة، وكان كفر أولئك العرب أصنافًا، فمنهم من منع الزكاة مُحتجًا بأنها كانت إتاوة (ضريبة) تؤدى لمحمد ﷺ فقط، ومنهم من ادعى النبوة مثل: مسيلمة من بني حنيفة، والأسود العنسي من اليمن.

قوله: «قال عمر بن الخطاب ﷺ لأبي بكر ﷺ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله؟»:

(١) باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله (٤٨/٤) رقم (٢٩٤٦).

(٢) باب: قتل من أبى قبول الفرائض، وما نسبوا إلى الردة (١٥/٩) رقم (٦٩٢٤).

(٣) باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٥١/١) رقم (٢٠).

ش/ هذا سؤال استغراب واستنكار من ابن الخطاب ؓ على الصديق ؓ، إذ عزم على قتال أولئك المرتدين مع قولهم (لا إله إلا الله).

قوله: «فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»:

ش/ هذا هو ما استدل به ابن الخطاب ؓ على عصمة دم ومال من قال (لا إله إلا الله).

وفيه دليل على شدة تحريه ؓ الحق، وهذا هو مبلغ علمه ؓ، ومن انتهى إلى ما سمعه من النصوص وأخذ به فلا لوم عليه حتى يتبين له بالدليل أن الحق خلافه.

قوله: «فقال أبو بكر ؓ: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»:

ش/ قلت: فكلتا الشعيرتين (الصلاة والزكاة) فريضة بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، فلا وجه للتفريق بينهما لهذه الأدلة، إذ الإجماع منعقد على أن من جحد واحدة منهما كان كافراً فحقه أن يستتاب وإلا قُتل ردةً، فحجة الصديق ؓ حجة قوية لا مجال لردّها.

قوله: «فقال عمر بن الخطاب ؓ: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله ﷻ قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»:

ش/ قلت: وهذا دليل على فقهه عليه السلام ووقوفه عند الحجة التي يجب التسليم لها، وإيضاحه في قوله: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عجله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»؛ فأجمع المسلمون على ما ارتأه الصديق وعمر عليهما السلام على قتال هؤلاء فلم يخالفوهم، وانظر الكتاب الآخر^(١).

* من فقه الحديث:

أولاً: وجوب الوقوف عند الدليل من كتاب أو سنة.

ثانياً: وجوب قتال مانع الزكاة: فإن كان المنع جحوداً بعد العلم بوجوبها كان كافراً مرتدّاً، وإن كان بُخلًا مع الإقرار بوجوبها كان فاسقاً، ويأخذها الإمام منه قهراً وشيء من ماله عقوبة، وإن قاتل دونها قُتل.

وشاهد هذا الحديث للترجمة يظهر في ثلاثة أمور:

الأول: عزم الصديق عليه السلام على قتال مانعي الزكاة.

الثاني: شدة عمر عليه السلام في تحري الحق، وتسليمه لما ظهر من حجة الصديق عليه السلام حين استبانت له، وهذا من الأدلة على أنه عليه السلام وقَّاف عند حدود الله.

الثالث: إجماع الصحابة عليهم السلام ومن معهم على ما عزم عليه الصديق

عليه السلام من قتال المرتدين، ومنهم مانعو الزكاة جموداً.

(١) كتاب الإيمان، باب: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

فلا يشك من آتاه الله الفهم والبصيرة والكياسة أن هذه الأمور الثلاثة
من الاعتصام بالسنة.



الحديث السابع عشر

٧٢٨٦- حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فَتَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذِنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ، قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في التفسير^(١) من طريق شيخه أبي اليمان.

(١) باب: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٦/ ٦٠) رقم (٤٦٤٢).

ش / والشاهد منه قوله: «فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله».

وهذا من الاعتصام بالسنة بلا شك ولا ريب، وفيه أسوة حسنة لكل مسلم حاكماً كان أو محكوماً، وللمزيد انظر التفسير.



الحديث الثامن عشر

٧٢٨٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ وَالنَّاسُ قِيَامٌ، وَهِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ قَالَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ نَعَمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَرَهُ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ -أَوِ الْمُسْلِمُ لَا أُدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ- فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ، فَأَجَبْنَاهُ وَأَمَنَّا، فَيَقَالُ: نَمْ صَالِحًا عَلِمْنَا أَنَّكَ مُوقِنٌ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ -أَوِ الْمُرْتَابُ لَا أُدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ- فَيَقُولُ: لَا أُدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع من صحيحه؛ منها:

أولاً: في العلم^(١) من طريق شيخه موسى بن إسماعيل.

(١) باب: من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس (١/٢٨) رقم (٨٦).

ثانيًا: في الوضوء^(١) من طريق شيخه إسماعيل.

ثالثًا: في الجمعة^(٢) من طريق شيخه محمود.

رابعًا: في الكسوف^(٣) من طريق شيخه عبد الله بن يوسف.

وأخرجه مسلم^(٤) من طريق شيخه محمد بن العلاء الهمداني عن فاطمة، عن أسماء رضي الله عنها، قالت: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فدخلت على عائشة وهي تصلي، فقلت: ما شأن الناس يصلون؟ فأشارت برأسها إلى السماء، فقلت: آية، قالت: نعم، فأطال رسول الله ﷺ القيام جدًا حتى تجلاني الغشي، فأخذت قربة من ماء إلى جنبي فجعلت أصب على رأسي أو على وجهي من الماء، قالت: فانصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس.

فخطب رسول الله ﷺ الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيت في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، وإنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريبًا، أو مثل فتنة المسيح الدجال

(١) باب: من لم يتوضأ إلا من الغشي المثقل (٤٨/١) رقم (١٨٤).

(٢) باب: من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد (١٠/٢) رقم (٩٢٢).

(٣) باب: صلاة النساء مع الرجال في الكسوف (٣٧/٢) رقم (١٠٥٣).

(٤) كتاب الكسوف، باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار

(٢/٢٢٤) رقم (٩٠٥).

- لا أدري أي ذلك قالت أسماء- فيؤتى أحدكم، فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن، أو الموقن - لا أدري أي ذلك قالت أسماء- فيقول: هو محمد، هو رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وأطعنا، ثلاث مرار، فيقال له: نعم، قد كنا نعلم أنك لتؤمن به، فتم صالحاً، وأما المنافق أو المرتاب - لا أدري أي ذلك قالت أسماء- فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلْتُ.

* الكلام على الحديث:

ش/ قال مقيده -عفا الله عنه وغفر له ولوالديه وللمن كتب له وأعانه-: فيتحصل من هذين الحديثين مجتمعين فوائد كلها شاهد الترجمة، ومن تلك الفوائد:

الأولى: سنة الاجتماع لصلاة الكسوف.

وهل صلاة الكسوف سنة أو واجبة؟ والثاني هو أرجح القولين عندنا.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وقال بعض أهل العلم: إنها واجبة؛ لقول النبي ﷺ: «إذا رأيتم ذلك فصلوا»^(١). قال ابن القيم في كتاب «الصلاة»:

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في أبواب العمل في الصلاة، باب: إذا انفلتت الدابة في الصلاة (٢/ ٦٥) رقم (١٢١٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وأخرجه مسلم في الكسوف، باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٢/ ٦٢٣) رقم (٩٠٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهو قول قوي^(١)، أي: القول بالوجوب، وصدق رَحْمَةُ اللَّهِ؛ لأن النبي ﷺ أمر بها وخرج فزعاً، وقال: إنها تخويف، وخطب خطبة عظيمة، وعرضت عليه الجنة والنار، وكل هذه القرائن العظيمة تشعر بوجوبها؛ لأنها قرائن عظيمة.

ولو قلنا: إنها ليست بواجبة، وإن الناس مع وجود الكسوف إذا تركوها مع هذا الأمر من النبي -عليه الصلاة والسلام- والتأكيد فلا إثم عليهم لكان في هذا شيء من النظر، كيف يكون تخويفاً ثم لا نبالي وكأنه أمر عادي؟ أين الخوف؟!

التخويف يستدعي خوفاً، والخوف يستدعي امتثالاً لأمر النبي -عليه الصلاة والسلام-^(٢).

ش/ قال مقبده: ونحن نرجح وجوب صلاة الكسوف لقوة دليله.

وهل ذلك من فروض الكفايات أو الأعيان؟

والذي تطمئن إليه النفس الأول، والله أعلم.

الثانية: ينبغي للإمام بعد الفراغ من صلاة الكسوف أن يخطب خطبة عظيمة يذكر فيها المسلمين ويعظهم، ويرغبهم، ويرهبهم، يرغبهم في صالح الأعمال، ويرهبهم من المعاصي.

(١) انظر كتاب «الصلاة وحكم تاركها» (ص ٤٠).

(٢) «الشرح الممتع على زاد المستقنع» (٥ / ١٨١).

الثالثة: وجوب الإيمان بفتنة القبر، وأن بعدها نعيمًا أو عذابًا، وقد استوفينا شرح هذا الحديث وانظر الكتاب الآخر^(١).

الرابعة: ذكر الحكمة من كسوف الشمس والقمر، وأنهما من آيات الله، وفي هذا ردٌّ على من يفسر ذلك بالنظريات الطبيعية.

وبهذه الفوائد يظهر جليًّا شاهد الترجمة من الحديث.



(١) كتاب الجنائز، باب: في عذاب القبر والتعوذ منه.

الحديث التاسع عشر

٧٢٨٨- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

* التخریج:

أخرجه مسلم في الحج^(١) من رواية شيخه زهير بن حرب بلفظ: «دروني ما تركتكم، وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» وللحديث قصة.

* الكلام على الحديث:

قوله: «دعوني ما تركتكم»:

وفي رواية زهير بن حرب: «دروني ما تركتكم».

(١) باب: فرض الحج مرة في العمر (٩٧٥/٢) رقم (١٣٣٧).

ش/ والمعنى: خذوا الأمر على ظاهر ما أخبركم به، ودَعُوا الاستفصال.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن نسيًا، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(١)».

قال الحافظ: «أخرجه البزار وقال: سنده صالح^(٢)، وصححه الحاكم^(٣)»^(٤).

قوله: «إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»: وللترمذي^(٥) من رواية شيخه هناد: «اتركوني ما تركتكم فإذا حدثتكم فخذوا عني؛ فإنما هلك من كان من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

ش/ قلت: وهذه الرواية مختصرة، ورواية الباب وما انضاف إليها أتم؛ فيتختم المصير إليها.

(١) [مريم: ٦٤].

(٢) أخرجه البزار (٢٦/١٠) رقم (٤٠٨٧).

(٣) مستدرک الحاكم، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة (٤٠٦/٢) رقم (٣٤١٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وانظر «السلسلة الصحيحة» (٢٥٥/٥) رقم (٢٢٥٦).

(٤) «فتح الباري» (٢٦٦/١٣).

(٥) كتاب العلم، باب: في الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ (٤٧/٥) رقم (٢٦٧٩)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» برقم (٢٦٧٩).

ولأحمد^(١) من رواية شيخه يحيى: «فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبياءهم واختلافهم عليهم».

وله^(٢) من رواية شيخه محمد بن جعفر: «فإنما أهلك أهل الكتاب قبلكم - أو من كان قبلكم - بكثرة اختلافهم على أنبيائهم وكثرة سؤالهم». قوله: «فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»:

وفي رواية زهير بن حرب: «فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

وللنسائي^(٣) من رواية محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي: «فإذا أمرتكم بالشيء فخذوا به ما استطعتم».

ولأحمد^(٤) من رواية شيخه عبد الرزاق: «فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر

(١) مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٣٢٠ / ١٥) رقم (٩٥٢٢)، قال محققه: حديث صحيح، وهذا إسناده جيد.

(٢) مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٥٤٧ / ١٥) رقم (٩٨٨٧)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) كتاب مناسك الحج، باب: وجوب الحج (١١٠ / ٥) رقم (٢٦١٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن النسائي» برقم (٢٦١٩).

(٤) مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٤٩٠ / ١٣) رقم (٨١٤٤)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فائتمروا ما استطعتم».

وله ^(١) من رواية شيخه وكيع: «فإذا أمرتكم بأمر فاتبعوه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه».

وفي رواية محمد بن جعفر: «فانظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فدعوه أو ذروه» ^(٢).

ش / قلت: وهذه كلها بمعنى واحد.

ومصدق هذا الحديث من الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ^(٣).

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ^(٤).

وقال عليه السلام لعمران بن حصين رضي الله عنه: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه البخاري ^(٥)، وأبو داود ^(٦).

(١) مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٤٨٤ / ١٥) رقم (٩٧٨٠)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) [البقرة: ٢٨٦].

(٤) [التغابن: ١٦].

(٥) في أبواب تقصير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب (٤٨ / ٢) رقم (١١١٧).

(٦) في أبواب تفريع أبواب الركوع والسجود، باب: في صلاة القاعد (٢٥٠ / ١) رقم (٩٥٢)،

وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم (٨٧٨).

فبان بهذا كله أن أوامر الشرع مبنية على التيسير.

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ^(١):

ومن قواعد الشريعة التيسير في كل أمر نَابَهُ تَعْسِيرُ

* من فقه الحديث:

في هذا الحديث فوائد عدة:

الأولى: حرص النبي ﷺ على كل ما يرفع عن أمته الحرج والمشقة.

الثانية: أن فعل الأوامر مقيد بالاستطاعة والعفو عن المكلف فيما عجز عن فعله.

الثالثة: وجوب اجتناب النواهي مطلقاً.

ش/ وبهذه الفوائد مجتمعة تظهر مطابقة الحديث للترجمة وهي الوقوف عند ما جاء في الكتاب والسنة فعلاً للأوامر، وتركاً للنواهي، وتصديقاً للأخبار.



(١) في «منظومة القواعد الفقهية».

[الباب الثالث]

بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلُفِ مَا لَا يَعْينُهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]

* شرح الترجمة:

والسياق تاماً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿^(١)﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أُولَى الْآيَتِينَ: «هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا ﴿عَنْ أَشْيَاءَ﴾ ﴿مِمَّا لَا فَائِدَةَ لَهُمْ فِي السُّؤَالِ وَالتَّنْقِيبِ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا إِنْ أَظْهَرَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْأُمُورَ رَبِّمَا سَاءَتْهُمْ وَشَقَّ عَلَيْهِمْ سَمَاعُهَا...»

إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ﴾ أَي: وَإِنْ تَسَأَلُوا عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَهَيْتُمْ عَنْ السُّؤَالِ عَنْهَا حِينَ يَنْزِلُ الْوَحْيُ عَلَى الرُّسُولِ تُبَيِّنَ لَكُمْ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ.

ثم قال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾؛ أي: عما كان منكم قبل ذلك، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَإِنْ كَسَلْتُمْ عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾؛ أي: لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها، فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضيق، وقد ورد في الحديث: «أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته»^(١).

ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن بيانها حينئذ تبينت لكم لاحتياجكم إليها.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾؛ أي: ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه، فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها^(٢) اهـ باختصار.

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية الثانية: «وهذه المسائل التي نهيتم عنها ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: جنسها وشبهها، سؤال تعنت لا استرشاد.

فلما بينت لهم وجاءتهم ﴿أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ في الحديث الصحيح:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في الاعتصام، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه (٩٥/٩) رقم (٧٢٨٩)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك (٤/١٨٣١) رقم (٢٣٥٨).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٠٣-٢٠٧).

«ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»^(١) «^(٢).

ش/ قال عبيد: فإن بما نقلناه عن هذين الإمامين الجليلين مناسبة الآيتين للباب.



(١) مضي برقم (١٩).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٢٤٥).

الحديث العشرون

٧٢٨٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُزَيْدَ الْمُقْرِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا: مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

* التخريج:

أخرجه مسلم في الفضائل^(١) من رواية شيخه يحيى بن يحيى بلفظ: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً: من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين، فحرم عليهم من أجل مسأله».

* الكلام على الحديث:

ش / «قال الطيبي: فيه من المبالغة أنه جعله عظيمًا، ثم فسره بقوله: «جرماً» ليدل على أنه نفسه جرم».

قال: وقوله: «في المسلمين»؛ أي: في حقهم.

(١) باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك (٤/ ١٨٣١) رقم (٢٣٥٨).

قوله: «عن شيء» في رواية سفيان: أمر.

قوله: «لم يحرم» وله في رواية إبراهيم بن سعد: «لم يحرم على المسلمين»، وله في رواية معمر: «رجل سأل عن شيء ونقر عنه»^(١)، وهو بفتح النون وتشديد القاف بعدها راء؛ أي: بالغ في البحث عنه والاستقصاء.

قوله: «فحرّم» بضم أوله وتشديد الراء، وأخرج البزار من وجه آخر عن سعد بن أبي وقاص قال: «كان الناس يتساءلون عن الشيء من الأمر فيسألون النبي ﷺ وهو حلال فلا يزالون يسألونه عنه حتى يحرم عليهم»^(٢).

قال ابن بطال عن المهلب: ظاهر الحديث يتمسك به القدرية في أن الله يفعل شيئاً من أجل شيء، وليس كذلك، بل هو على كل شيء قدير، فهو فاعل السبب والمسبب كل ذلك بتقديره، ولكن الحديث محمول على التحذير مما ذكر فعظم جرم من فعل ذلك لكثرة الكارهين لفعله.

وقال غيره: أهل السنة لا ينكرون إمكان التعليل، وإنما ينكرون وجوبه فلا يمتنع أن يكون المقدر الشيء الفلاني تتعلق به الحرمة إن سئل عنه، فقد سبق القضاء بذلك لا أن السؤال علة للتحريم.

وقال ابن التين: قيل الجرم اللاحق به إلحاق المسلمين المضرة لسؤاله

(١) أخرجه مسلم في الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك (٤/١٨٣١) رقم (٢٣٥٨).

(٢) مسند البزار، مسند سعد بن أبي وقاص ﷺ (٤/١٢) رقم (١٢٢٩).

وهي منعهم التصرف فيما كان حلالاً قبل مسألته»^(١).

وقال القاضي رَحِمَهُ اللهُ: «المراد بالجرم هنا الحدث على المسلمين لا أنه من الجرائم والآثام المعاقب عليها، إذ كان السؤال أولاً مباحاً، ولولا ذلك لما قال رَحِمَهُ اللهُ: (سلوني)»^(٢)»^(٣).

وتعقبه النووي رَحِمَهُ اللهُ فقال: «الذي قاله القاضي ضعيف بل باطل، والصواب الذي قاله الخطابي وصاحب التحرير وجماهير العلماء في شرح هذا الحديث: أن المراد بالجرم هنا الإثم والذنب، قالوا: ويقال منه: جرم بالفتح واجترم وتجرم إذا أثم.

قال الخطابي وغيره: هذا الحديث فيمن سأل تكلفاً أو تعتاً فيما لا حاجة به إليه، فأما من سأل لضرورة بأن وقعت له مسألة فسأل عنها فلا إثم عليه ولا عتب، لقوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^(٤).

قال صاحب التحرير وغيره: فيه دليل على أن من عمل ما فيه إضرار بغيره كان آثماً»^(٥).

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٢٦٨).

(٢) وسيأتي في الحديث الثاني والعشرون.

(٣) «إكمال المعلم» (٧ / ٣٢٩).

(٤) [النحل: ٤٣].

(٥) «شرح النووي على مسلم» (١٥ / ١١٠).

«قال بعض الأئمة: والتحقيق في ذلك: أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين:

أحدهما: أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوها؛ فهذا مطلوب لا مكروه، بل ربما كان فرضاً على من تعين عليه من المجتهدين.

ثانيهما: أن يدقق النظر في وجوه الفروق فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجمع، أو بالعكس بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردي مثلاً؛ فهذا الذي ذمه السلف وعليه ينطبق حديث ابن مسعود رفعه: «هلك المتنطعون»^(١) أخرجه مسلم؛ فأروا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته»^(٢) إلخ.

ش/ قال مقيدة: وبهذه النقول تظهر مناسبة الحديث للترجمة، وهي أن السؤال عما لا تدعو الحاجة إليه من التكلف والتنطع.



(١) أخرجه مسلم في العلم، باب: هلك المتنطعون (٤/ ٢٠٥٥) رقم (٢٦٧٠).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٢٦٧).

الحديث الحادي والعشرون

٧٢٩٠- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ عُقْبَةَ، سَمِعْتُ أَبَا النَّضْرِ، يُحَدِّثُ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا لَيْلِي حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً، فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَنْتَحِنُ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا زَالَ بِكُمْ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ، حَتَّى خَشِيتُمْ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ بِهِ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الأذان^(١) من طريق شيخه عبد الأعلى بن حماد بلفظ: «أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة - قال: حسبت أنه قال من حصير - في رمضان، فصلّى فيها ليلي، فصلّى بصلاته ناس من أصحابه، فلما علم بهم جعل

(١) باب: صلاة الليل (١/١٤٧) رقم (٧٣١).

يقعد، فخرج إليهم فقال: قد عرفت الذي رأيت من صنعكم، فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة».

والثاني: في الأدب^(١) من طريق شيخه المكي ومحمد بن زياد، ولفظه: «احتجر رسول الله ﷺ حجرة مخصفة، أو حصيراً، فخرج رسول الله ﷺ يصلي فيها، فتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته، ثم جاءوا ليلة فحضروا، وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما زال بكم صنعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة».

وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها^(٢) من طريق شيخه محمد بن المثنى.

* الكلام على الحديث:

ش/ وإن قلت: ما شاهد الترجمة من هذا الحديث؟

فالجواب: أن الوقوف عند أمر النبي ﷺ فعلاً وتركاً اعتصام بالسنة، وعدم ذلك هو من التكلف والغلو في الدين.

(١) باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله (٢٨/٨) رقم (٦١١٣).

(٢) باب: استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد (١/١٣٩) رقم (٧٨١).

قال ﷺ: «وإياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(١) أخرجه النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وللمزيد انظر الكتاب الآخر^(٢).



(١) سنن النسائي الصغير في الحج، باب: التقاط الحصى (٢٦٨/٥) رقم (٣٠٥٧)،
وصححه الألباني رقم (٣٠٥٧).
(٢) كتاب الصلاة، باب: صلاة النافلة في المسجد.

الحديث الثاني والعشرون

٧٢٩١ - حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ غَضِبَ وَقَالَ: «سَلُونِي»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ فَقَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ»، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا يَوَجِّهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَنَعُوذُ بِهِ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في العلم^(١) من رواية شيخه محمد بن العلاء.
وأخرجه مسلم في الفضائل^(٢) من رواية شيخه عبد الله بن براء الأشعري.

(١) باب: الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره (١/ ٣٠) رقم (٩٢).
(٢) باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك (٤/ ١٨٣٤) رقم (٢٣٦٠).

ش/ قال مقيدة: وفي الحديث بجميع رواياته فائدتان:

الأولى: كراهية السؤال عما لا تدعو الحاجة إليه، وهذا هو شاهد الترجمة.

الثانية: منقبة من مناقب عمر رضي الله عنه وهذه في قوله: «فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله ﷺ من الغضب قال: إنا نتوب إلى الله ﷻ». .

وللشيخين من حديث أنس رضي الله عنه: «فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً»^(١).

ولهما عنه رضي الله عنه: «ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، نعوذ بالله من سوء الفتن»^(٢).

* أحاديث أخرى في الباب:

أحدها: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس، فصلّى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب: من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث (٣٠ / ١) رقم (٩٣)، ومسلم في الفضائل، باب: توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك (٤ / ١٨٣٢) رقم (٢٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب: التعوذ من الفتن (٧٧ / ٨) رقم (٦٣٦٢)، ومسلم في الفضائل، باب: توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك (٤ / ١٨٣٤) رقم (٢٣٥٩).

عظاماً، ثم قال: «من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل، فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، ما دمت في مقامي هذا. فأكثر الناس في البكاء، وأكثر أن يقول: سلوني، فقام عبد الله بن حذافة السهمي، فقال: من أبي؟ قال: أبوك حذافة، ثم أكثر أن يقول: سلوني، فبرك عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، فسكت»^(١) الحديث.

الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تفضل ناقتي: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ سَأَلُكُمْ﴾^(٢) حتى فرغ من الآية كلها»^(٣).



(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب: وقت الظهر عند الزوال (١١٣/١) رقم (٥٤٠)، ومسلم في الفضائل، باب: توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك (١٨٣٢/٤) رقم (٢٣٥٩).

(٢) [المائدة: ١٠١].

(٣) البخاري في التفسير ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ سَأَلُكُمْ﴾ (٥٤/٦) رقم (٤٦٢٢).

الحديث الثالث والعشرون

٧٢٩٢- حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ: «اَكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ.

وَكُتِبَ إِلَيْهِ إِنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ: عُقُوقِ الْأُمّهَاتِ، وَوَادِ التَّنَابِ، وَمَنْعِ وَهَاتِ».

* التخریج:

أخرج المصنف في الرقاق^(١) من رواية شيخه علي بن مسلم دون قوله: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

(١) باب: ما يكره من قيل وقال (٨/ ١٠٠) رقم (٦٤٧٣).

وأخرجه هو^(١) ومسلم^(٢) بلفظ: أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم».

وأخرجاه^(٣) بلفظ: «إن الله ﷻ حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

* الكلام على الحديث:

من فقه الحديث:

وفي الحديث بجميع رواياته:

أولاً: الدلالة على وجوب الإخلاص لله ﷻ في كل ما يتعبد به المرء لربه.

(١) البخاري في الأذان، باب: الذكر بعد الصلاة (١/١٦٨) رقم (٨٤٤).

(٢) في المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفة (١/٤١٤) رقم (٥٩٣).

(٣) البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: ما ينهى عن إضاعة الأموال (٣/١٢٠) رقم (٢٤٠٨)، ومسلم في الأفضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه (٣/١٣٤١) رقم (٥٩٣).

ثانياً: تواضع معاوية رضي الله عنه وحرصه على أخذ الفقه في الدين على رجلٍ من رعيته، وهو المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

ثالثاً: وجوب الكف عما حرمه الله تعالى.

وجميع هذه الفوائد هي شاهد للترجمة من الحديث، وليست إحداها فقط.

وقد استوفينا شرح هذا الحديث في الكتاب الآخر^(١).



(١) كتاب الصلاة، الباب الرابع عشر بعد المائة، باب: ما يقال بعد التسليم من الصلاة.

الحديث الرابع والعشرون

٧٢٩٣- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: «نُهِنَا عَنِ التَّكْلِيفِ».

* الكلام على الحديث:

ش/ التكلف: من الكلفة وهي إجهاد المرء نفسه بما لا طاقة له به، أو تنقيبه عما ليس له به حاجة، وهو من الغلو في الدين.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «وذكر الحميدي أنه جاء في رواية أخرى عن ثابت عن أنس أن عمر قرأ: ﴿وَفَكِهَةٌ وَأَبَا﴾^(١)، فقال: ما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا، أو قال: ما أمرنا بهذا.

قلت: هو عند الإسماعيلي من رواية هشام عن ثابت وأخرجه من طريق يونس بن عبيد عن ثابت بلفظ: أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله: ﴿وَفَكِهَةٌ وَأَبَا﴾ ما الأب؟ فقال عمر: نهينا عن التعمق والتكلف.

(١) [عبس: ٣١].

وهذا أولى أن يكمل به الحديث الذي أخرجه البخاري^(١). اهـ إلخ ما ذكر .

ش/ قلت: يعني حديث الباب، وبهذا يعلم أن للحديث قصة.
ومصدق ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في آيات كثيرة من الكتاب العزيز:
إحداها: آية المائدة: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾^(٢) الآية والتي بعدها، وقد تقدمت الآيتان مع تفسيرهما أول الباب.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَتَأْتِينَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٣).

قال ابن جرير رحمته الله: «يقول -تعالى- ذكره-: ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم برسلنا، وأتبعنا بعيسى بن مريم، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾؛ يعني: الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته ﴿رَأْفَةً﴾ وهو أشد الرحمة ﴿وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ يقول: أحدثوها ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ما افترضنا تلك

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) [المائدة: ١٠١].

(٣) [الحديد: ٢٧].

الرهبانية عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ يقول: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

واختلف أهل التأويل في الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها.

وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ القولين ثم قال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بعض الطوائف التي ابتدعتها، وذلك أن الله -جل ثناؤه- أخبر أنه أتى الذين آمنوا منهم أجرهم؛ قال: فدلَّ بذلك على أن منهم من قد رعاها حق رعايتها، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحق الأجر الذي قال -جل ثناؤه-: ﴿فَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾.

إلا أن الذين لم يرعوها حق رعايتها ممكن أن يكون كانوا على عهد الذين ابتدعوها، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها، فجائز في كلام العرب أن يقال: لم يرعها القوم على العموم. والمراد منهم البعض الحاضر»^(١).

ش/ قال مقبده -عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانه-:

ونحن على ما اختاره هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لقوة دليله، والله أعلم.



(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢٣/ ٢٠٢-٢٠٧).

الحديث الخامس والعشرون

٧٢٩٤- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح وَحَدَّثَنِي
مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى
الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عِظَامًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ
يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا تُمْتُ
فِي مَقَامِي هَذَا»، قَالَ أَنَسٌ: فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ، وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ:
«سَلُونِي». فَقَالَ أَنَسٌ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْنَ مَدْخِلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
«النَّارُ»، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ»،
قَالَ: ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي سَلُونِي»، فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: رَضِينَا
بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ
قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ
وَالنَّارُ أَنْفَافِي عُرِضَ هَذَا الْحَائِطُ وَأَنَا أَصْلِي، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

أولاً: في العلم^(١) من رواية شيخه أبي اليمان مختصراً.
 وثانياً: في مواقيت الصلاة^(٢) بلفظ أتم من لفظ العلم من رواية شيخه
 أبي اليمان أيضاً.
 وأخرجه مسلم في الفضائل^(٣) من رواية شيخه حرمله بن عبد الله
 التجيبي.

✽ الكلام على الحديث:

من فقه الحديث:

في هذا الحديث فوائد عدة:

الأولى: ينبغي على العالم أن يتعاهد الناس بالوعظ والتذكير؛ لما في
 ذلك من تقوية العزم على فعل الأوامر واجتناب النواهي، وإن شئت فقل:
 على فعل الطاعات والكف عن المعاصي.

الثانية: في قول أنس رضي الله عنه: «فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أموراً
 عظماً» فيه التهييج على الاستعداد للقاء الله عجل الله فرجه يوم القيامة بمحابه ومراضيه،
 ومجانبة مساخطه ومغاضبه.

(١) باب: من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث (١/ ٣٠) رقم (٩٣).

(٢) باب: وقت الظهر عند الزوال (١/ ١١٣) رقم (٥٤٠).

(٣) باب: توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع
 ونحو ذلك (٤/ ١٨٣٢) رقم (٢٣٥٩).

الثالثة: شاهد الترجمة وهو ظاهر، وقد مضى الحديث ضمن شواهد الحديث الثاني والعشرين.

الرابعة: وجوب الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن، وقد بسط شرح هذه المسألة في غير هذا الموضع، منها: «التقرير الأحمد بشرح أصول السنة للإمام أحمد»^(١).



(١) (ص ١٥١-١٥٦).

الحديث السادس والعشرون

٧٢٩٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فُلَانٌ»، وَنَزَلَتْ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ ^(١) الْآيَةَ.

ش / وهذا الحديث قد مضى معناه فيما قبله.



(١) [المائدة: ١٠١].

الحديث السابع والعشرون

٧٢٩٦- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ صَبَّاحٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ».

* التخریج:

أخرجه مسلم في الإيمان^(١) من طريق شيخه عبد الله بن عامر الحضرمي: «قال الله ﷻ: إن أمتك لا يزالون يقولون: ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله».

وأخرجه^(٢) أيضًا من طريق شيخه إسحاق بن إبراهيم وأبي بكر بن أبي شيبه غير أن إسحاق لم يذكر قال: «قال الله إن أمتك».

* الكلام على الحديث:

وفي معناه أحاديث أخرى:

الأول: عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس

(١) باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١/١٢١) رقم (١٣٦).

(٢) المصدر السابق نفسه.

يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمنت بالله»^(١) أخرجه مسلم.

الثاني: وله عنه عليه السلام من وجه آخر قال عليه السلام: «لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟ قال وهو آخذ بيد رجل، فقال: صدق الله ورسوله، قد سألتني اثنان وهذا الثالث، أو قال: سألتني واحد وهذا الثاني»^(٢).

الثالث: وله من رواية شيخه عبد الله بن الحضرمي: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصي بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا، صدق خليلي صلى الله عليه وسلم»^(٣).

الرابع: وله أيضاً من رواية شيخه زهير بن حرب: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله ولينته»^(٤).

(١) مسلم في الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١/ ١١٩) رقم (١٣٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٠) رقم (١٣٥).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٢١) رقم (١٣٥).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٢٠) رقم (١٣٤).

الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان»^(١).

ش / قال مقيدته: اتفقت هذه الأحاديث على أمرين:

أحدهما: عَلم من أعلام نبوته ﷺ وهو تسلط الشيطان كما يشاء الله ﻻ يذل على من يشاء من خلقه، فيوسوس لهم في الإيمان بما لو اعتقده أحدٌ عن علمٍ لكان كافراً.

الثاني: في علاج هذه الوسوسة والتخلص منها، ألا تراه قال في رواية: «فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله ولينته»، وفي رواية: «فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمَنَت بالله»، وهذا الذي أرشد إليه النبي ﷺ تخلصاً من وسوسة الشيطان في الإيمان هو اعتصام بالسنة.

فمن وفق إليه كان من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه زجر، أنهم ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أي: أصابهم طيف، وقرأ آخرون: (طائف)، وقد جاء فيه حديث، وهما قراءتان مشهورتان،

(١) المصدر السابق (١/١١٩) رقم (١٣٢).

(٢) [الأعراف: ٢٠١].

فقل: بمعنى واحد. وقيل: بينهما فرق، ومنهم من فسر ذلك بالغضب، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه، ومنهم من فسره بالهم بالذنب، ومنهم من فسره بإصابة الذنب.

وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾؛ أي: عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعدته ووعدته، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب.

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾؛ أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه^(١).

ش/ قال مقيده: والآية عامة في كل مس يصيب المسلم من الشيطان، والوسوسة في الإيمان فرد من أفراد عمومها.



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٣٤).

الحديث الثامن والعشرون

٧٢٩٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ عَلْقَمَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ، لَا يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ، فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الْوَحْيُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ^(١).

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

أحدها: في العلم ^(٢) من رواية شيخه قيس بن حفص بلفظ: «بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر

(١) [الإسراء: ٨٥].

(٢) باب: قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِشِرَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١/٣٧) رقم (١٢٥).

من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه شيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسأله، فقام رجل منهم، فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقامت، فلما انجلت عنه، قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال الأعمش: هكذا في قراءتنا.

الثاني: وفي التفسير^(١) من رواية شيخه عمر بن حفص بن غياث بلفظ: «بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رأيكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم شيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامي فلما نزل الوحي، قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾».

الثالث: في التوحيد^(٢) من رواية شيخه يحيى بلفظ: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب، فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه عن

(١) باب: قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (٨٧/٦) رقم (٤٧٢١).

(٢) باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُفْمُنَا لِإِبَادَةِ أَلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] (٩/١٣٥) رقم

الروح، فسألوه، فقام متوكئاً على العسيب وأنا خلفه فظننت أنه يوحى إليه، فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فقال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوه».

وأخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار^(١) بلفظ: «بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب، إذ مر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقالوا: ما رابكم إليه لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فقام إليه بعضهم فسأله عن الروح، قال: فأسكت النبي ﷺ فلم يرد عليه شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، قال: فقامت مكاني، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾».

وأخرجه الواحدي^(٢)، ولفظه: «إني مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب، فمر بنا ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون، فأتاه نفر منهم فقالوا: يا أبا القاسم، ما تقول في الروح؟ فسكت ثم ماج، فأمسكت بيدي على جبهته، فعرفت أنه ينزل عليه، فأنزل الله عليه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾».

(١) باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية (٤)

(٢١٥٢) رقم (٢٧٩٤).

(٢) «أسباب نزول القرآن»، سورة بني إسرائيل (ص ١٠٥).

* الكلام على الحديث:

ش/ قال مقيدة: وهاهنا ثلاثة أمور:

أحدها: اتفاق جميع هذه الروايات على أن السائل لرسول الله ﷺ عن الروح هم اليهود.

ثانيها: وهو شاهد الترجمة من الحديث: أن سؤال أولئك النفر من اليهود هو من التكلف، ألا ترى القوم قالوا: «لا تسألوه، لا يسمعكم ما تكرهون»، وفي رواية: «لا يستقبلكم بشيء تكرهونه»، أليس هذا اعتراضاً صريحاً من اليهود أن سؤالهم تكلف وتعنّت؟!

الثالث: شرح آية الإسراء هذه.

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا متضمن لردع من يسأل المسائل التي لا يقصد بها إلا التعنّت والتعجيز، ويدع السؤال عن المهم، فيسألون عن الروح التي هي من الأمور الخفية التي لا يتقن وصفها وكيفيتها كل أحد، وهم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد.

ولهذا أمر الله رسوله أن يجيب سؤالهم بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾؛ أي: من جملة مخلوقاته التي أمرها أن تكون فكانت، فليس في السؤال عنها كبير فائدة، مع عدم علمكم بغيرها.

وفي هذه الآية دليل على أن المسئول إذا سُئِلَ عن أمر، الأولي بالسائل

غيره أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه ويرشده إلى ما ينفعه»^(١).

ش / قال مقبده: وفي هذه الآية فوائد:

إحداها: أن الروح من أمر الغيب الذي لا يعلمه سوى الله - جل وعلا -.

الثانية: الرد على من فسر الروح بأنها جسم خفيف يسري في الجسد سريان النار في الفحم، فialت شعري كيف فسروا هذا التفسير وذهلوا عن الآية التي فيها التصريح بأن علم كيفيتها إلى الله ﷻ ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

الثالثة: الدليل على أن رسول الله ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، ألا تراه حين سأله القوم عن الروح سكت ولم يرد عليهم شيئاً حتى أتاه الوحي؟!

فهل يسوغ لأحد إدعاء أن أحداً من البشر يعلم الغيب؟!

سبحانك يا ربي هذا بهتان عظيم!

فاعتصم أيها المسلم بكتاب ربك وسنة نبيك ﷺ، ولا تبغ بُنيات الطريق فتزل قدمك وتهلك.



(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٤٦٦).

[الباب الرابع]

بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ

* شرح الترجمة:

أراد المصنف رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَنْبَهَ عَلَى أَنْ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَفْعَالٍ يَرَادُ بِهَا بَيَانُ نَصِّ قِرَآئَتِي، وَلَمْ يَدُلْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ خَاصٌّ بِهِ - مِثْلُ: تَزَوُّجِهِ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَحِمَهُ اللهُ -، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ الْعَامَّةَ سُنَّةٌ يُقْتَدَى بِهَا ﷺ فِيهَا كَمَا يُقْتَدَى بِأَقْوَالِهِ.

وتفصيل هذه المسألة مبسوط في كتب الأصول، فليراجعها من شاء.



الحديث التاسع والعشرون

٧٢٩٨- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ
ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ
مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ، وَقَالَ: «إِنِّي
لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا»، فَتَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في اللباس^(١) من رواية شيخه عبد الله بن مسلمة مختصرًا.

الثاني: في اللباس^(٢) أيضًا من رواية شيخه موسى بن إسماعيل ولفظه:
أن النبي ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب، وجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه،
فاصطنع الناس خواتيم من ذهب، فرقي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقال:
«إني كنت اصطنعته، وإنني لا ألبسه، فنبذه، فنبذ الناس، قال جويرية: ولا أحسبه

(١) قال: باب (١٥٦/٧) رقم (٥٨٦٧).

(٢) باب: من جعل فص الخاتم في بطن كفه (١٥٧/٧) رقم (٥٨٧٦).

إلا قال: في يده اليمنى».

الثالث: أيضًا في اللباس^(١) من رواية شيخه يوسف بن موسى ولفظه: اتخذ خاتمًا من ذهب أو فضة، وجعل فصه مما يلي كفه، ونقش فيه: محمد رسول الله، فاتخذ الناس مثله، فلما رأهم قد اتخذوها رمى به وقال: «لا ألبسه أبدًا». ثم اتخذ خاتمًا من فضة، فاتخذ الناس خواتيم الفضة، قال ابن عمر: فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، حتى وقع من عثمان في بئر أريس».

وأخرجه مسلم^(٢) من رواية شيخه يحيى بن يحيى وقتيبة بلفظ: أن رسول الله ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب، فكان يجعل فصه في باطن كفه إذا لبسه، فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه، فقال: «إني كنت ألبس هذا الخاتم، وأجعل فصه من داخل، فرمى به، ثم قال: والله، لا ألبسه أبدًا، فنبذ الناس خواتيمهم».

* الكلام على الحديث:

ش / قال مقيد - عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانه -:

(١) قال: باب (١٥٦/٧) رقم (٥٨٦٦).

(٢) كتاب اللباس والزينة، باب: طرح خاتم الذهب (١٦٥٥/٣) رقم (٢٠٩١)، وأخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب: من حلف على الشيء وإن لم يحلف (١٣٣/٨) رقم (٦٦٥١).

في هذا الحديث فوائد:

إحداها: تحريم التختم بالذهب على الرجال، ويدل له أن رسول الله ﷺ طرح الخاتم الذي اتخذه من ذهب.

ويزيده وضوحاً حديثان:

الأول: حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ»^(١).

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ «أنه نهى عن خاتم الذهب»^(٢) أخرجه.

وإن قلت: كيف لبس النبي ﷺ خاتم الذهب أولاً؟

والجواب: أنه لبسه أولاً قبل أن يُوحى إليه في ذلك، فلما علم تحريمه ألقاه أمام الناس وقال ما قال كما رأيت في حديث الباب.

الثانية: شاهد الترجمة، وهو مسارعة الصحابة رضي الله عنهم إلى طرح خواتمهم

(١) أخرجه مسلم في اللباس والزينة، باب: طرح خاتم الذهب (٣/١٦٥٥) رقم (٢٠٩٠).

(٢) البخاري في اللباس، باب: خواتيم الذهب (٧/١٥٥) رقم (٥٨٦٤)، ومسلم في اللباس

والزينة، باب: طرح خاتم الذهب (٣/١٦٥٤) رقم (٢٠٨٩).

تأسيًا بنبيهم ﷺ.

وفي الاقتداء بالقوم يُتَعَمَّقُ في هذا الصنيع وغيره من فعل المأمورات
وترك المحذورات اعتصام بالسنة.



[الباب الخامس]

**بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ، وَالْغُلُوفِ
الدِّينِ وَالْبِدْعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا
فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]**

* شرح الترجمة:

أراد المصنف رَحِمَهُ اللهُ بهذه الترجمة تحذير المسلم الطالب للحق والهدى من خمسة أمور بها يظهر مطابقة الترجمة لكتاب الاعتصام:

أحدها: التعمق، والتعمق: هو التكلف في الدين.

الثاني: التنازع في العلم، والتنازع في العلم: المجادلة فيه.

وهذا على ضربين:

- أحدهما: محمود، وهو ما يقصد منه إظهار الحق بدليله، وهذا ليس به بأس ولا حرج مادام كلُّ من المتجادلين يعمد إلى بيان الحق بالدليل، وقد كان السلف يقضون في هذا الساعات بل الليالي أحياناً، ثم ينتهي المجلس أو المجالس بفوائد علمية يتنفع بها المتجادلون والحاضرون، ويتفرقون وليس في صدورهم على بعضهم شيء.

- الثاني: المذموم، وهو مجادلة أهل الأهواء الذين ليس لهم إلا إضاعة الوقت، فهذا الجدل عقيم، ولا يخرج منه المتجادلون بنتيجة.

وغرض أهل الأهواء من هذا الجدل إلقاء الشُّبُه، وعلى هذا الجدل يحمل قوله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾»^(١) ^(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وقال عقبه: حديث حسن صحيح.

الثالث: الغلو في الدين.

«أي: التشدد فيه ومجاوزة الحدِّ كحديثه الآخر: «إن هذا الدين مَتِين فَأَوْغِلْ فِيهِ بَرَفَق»^(٣)، وقيل: معناه البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عِلَلِهَا وَغَوَامِضِ مُتَعَبِّدَاتِهَا»^(٤).

الرابع: البدع.

«البدعة بدعتان: بدعة هُدى، وبدعة ضلال.

(١) [الزخرف: ٥٨].

(٢) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: سورة الزخرف (٣٧٨/٥) رقم (٣٢٥٣)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ بِرَقْم (٣٢٥٣).

(٣) أخرجه أحمد بلفظ: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق»، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (٣٤٦/٢٠) رقم (١٣٠٥٢)، قال محققه: حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٤٠٠٩).

(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة «غلا».

فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح.

وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحموده، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأن النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثواباً؛ فقال: «من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها»^(١).

وقال في ضده: «ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها»^(٢)؛ وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ.

ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه»^(٣) لما كانت من أفعال الخير وداخله في حيز المدح سماها بدعة ومدحها؛ لأن النبي ﷺ لم يسئها لهم وإنما صلاحها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس لها ولا كانت في زمن أبي بكر؛ وإنما عمر رضي الله عنه جمع الناس عليها وندبهم إليها،

(١) أخرجه مسلم في العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٠٥٩/٤) رقم (١٠١٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب صلاة التراويح، باب: فضل من قام رمضان (٤٥/٣) رقم (٢٠١٠)، بلفظ: «نعم البدعة هذه».

فبهذا سمّاها بدعة وهي على الحقيقة سُنة؛ لقوله ﷺ: (عليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين من بعدي) ^(١) «^(٢)».

ش/ قلت: وحاصله أن البدعة على ضربين:

أحدهما: ما سمي بدعة من قبيل اللغة، كما في أثر عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه».

والثاني: ما كانت على خلاف الشرع، وهذه هي البدعة المنكرة وفعلها ضلال.

البدعة عبارة عن: «طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه» ^(٣).

ش/ والمعنى: أن أهلها سنُّوها لأنفسهم، وليس لها دليل من كتاب ولا سنة.

الخامس: وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾:

(١) سنن الترمذي، في العلم، باب: الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٤٤/٥) رقم (٢٦٧٦)،

وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» برقم (٢٦٧٦).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة «بدع».

(٣) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٤٧).

ش/ وتامم الآية: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادَّعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًا أو باطلاً أو ضلالاً أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)...

إلى أن قال: وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾؛ أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتنزهه وتقدس

وتوَحَّدَ في سُودِّه وكبريائه وعظمتِه -؛ فلا إِلَهَ إِلَّا هو، ولا رَبَّ سِوَاهُ»^(١). اهـ باختصار.

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾:

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، ما المسيح أيها الغالون في دينهم من أهل الكتاب بآبَنِ اللَّهِ كما تزعمون، ولكنه عيسى بن مريم دون غيرها من الخلق، لا نسب له غير ذلك. ثم نعتَه الله -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بنعتِه ووصفَه بصفته؛ فقال: هو رسول الله أرسله الله بالحق إني من أرسله إليه من خلقه....

إلى أن قال: وأما قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾، فإنه يعني بـ (الكلمة): الرسالة التي أمر الله ملائكته أن تأتي مريم بها بشارة من الله لها، التي ذكر الله -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾^(٢) يعني: برسالة منه، وبشارة من عنده.

وقد قال قتادة في ذلك ما ... عن قتادة: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾، قال: هو قوله: (كن)، فكان»^(٣).

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٧٧).

(٢) [آل عمران: ٤٥].

(٣) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٩/ ٤١٧).

ش/ قلت: في آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وفي الحديث الصحيح: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»^(٢) أخرجه الشيخان من حديث عبادة.

قوله: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ انتهى خيراً لكم: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ أي: ولا تقولوا هم ثلاثة، وكانت النصراني تقول: أب وابن وروح قدس، ﴿أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ تقديره: انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم^(٣).

ش/ قلت: والمعنى أن الله أمرهم بالإيمان به وبرسوله وألا يفرقوا بينهم، وفي سورة البقرة: ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [آل عمران: ٥٩].

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (٤/ ١٦٥) رقم (٣٤٣٥)، ومسلم في الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٥٧/١) رقم (٢٨).
(٣) «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٥).

وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾.

وقال: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

قوله: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾:

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم نزه نفسه عن الشريك والولد فقال: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أي: هو المنفرد بالألوهية الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: تنزهه وتقدس. ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ لأن ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ فالكل مملوكون له مفتقرون إليه، فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد» (٢).

ش / قلت: وقد شارك مشركة العرب الأولى أهل الكتابين في نسبتهم الولد إلى الله تعالى فقالوا: الملائكة بنات الله!

وفي الكتاب العزيز: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ (٣).

(١) [البقرة: ٢٨٥].

(٢) [البقرة: ١٣٦].

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٢١٦).

(٤) [الطور: ٣٩].

وقال: ﴿وَجَعَلُوا أَمَلَيْكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾^(١).

واعلم أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل بنفسه ناقل عن ملة الإسلام.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: قال الله: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي: فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا»^(٢).

قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾:

«﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فكل الخلق أمورهم إليه، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً»^(٣).



(١) [الزخرف: ١٩].

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ (٦/

١٩) رقم (٤٤٨٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «فتح القدير» (١/ ٦٢٤).

الحديث الثلاثون

٧٢٩٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُوَاصِلُوا»، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»، فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ، قَالَ: فَوَاصِلَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَيْنِ أَوْ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ رَأَوْا الْهَيْلَالَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَأَخَّرَ الْهَيْلَالُ لَزِدْتُكُمْ» كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

أحدها: في الصوم^(١) من رواية شيخه أبي اليمان ولفظه: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم. فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: وأيكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً، ثم يوماً، ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخر لزدتكم. كالنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا.

(١) باب: التنكيل لمن أكثر الوصال (٣/٣٧) رقم (١٩٦٥).

وكذا أخرجه مسلم في الصوم .

الثاني: وفي الحدود^(١) قريباً من هذا اللفظ.

الثالث: وفي التمني^(٢) من رواية شيخه أبي اليمان.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تواصلوا، فأياكم إذا أراد أن يواصل، فليواصل حتى السحر، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله قال: إني لست كهيتتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني، وساق يسقين»^(٣) أخرجه البخاري في الصوم.

وفي المتفق عليه واللفظ لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان... فذكر الحديث وفيه: فأخذ يواصل رسول الله ﷺ، وذاك في آخر الشهر، فأخذ رجال من أصحابه يواصلون، فقال النبي ﷺ: «ما بال رجال يواصلون، إنكم لستم مثلي، أما والله، لو تماد لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم»^(٤).

(١) باب: كم التعزير والأدب (٨/ ١٧٤) رقم (٦٨٥١).

(٢) باب: ما يجوز من اللو (٩/ ٨٥) رقم (٧٢٤٢).

(٣) باب: الوصال، ومن قال: «ليس في الليل صيام» (٣/ ٣٧) رقم (١٩٦٣).

(٤) أخرجه البخاري في التمني، باب: ما يجوز من اللو (٩/ ٨٥) رقم (٧٢٤١)، ومسلم في

الصيام، باب: النهي عن الوصال في الصوم (٢/ ٧٧٥) رقم (١١٠٤).

* الكلام على الحديث:

ش/ قال مقيدته: فيتلخص من مجموع الحديثين أمور:

أحدها: النهي عن الوصال، والمراد به صيام الليل والنهار معاً، وهذا من التكلف والتنطع، إذ هو غير ما أمر الله به ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(١).

قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس؛ فقد أفطر الصائم»^(٢).

فحدد ما أمر الله به من الصيام: هو من طلوع الفجر - يعني: الصادق - إلى غروب الشمس.

الثاني: - وهو صريح حديث أبي سعيد ؓ -: جواز الوصال إلى السحر، ألا تراه قال ﷺ: «فأيكم أحب أن يواصل فليواصل إلى السحر»، ومفهومه نهى الصائم عن الوصال بعد هذا الوقت، وأقل ما يقال فيه الكراهة.

الثالث: حرص النبي ﷺ على دفع كل حرج ومشقة عن الأمة؛ ولذلك

(١) [البقرة: ١٨٧].

(٢) أخرجه البخاري، الصوم (٣/ ٣٦) رقم (١٩٥٤)، ومسلم، باب: بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار (٢/ ٧٧٢) رقم (١١٠٠) من حديث عمر بن الخطاب ؓ.

نكّل بأصحابه ﷺ فواصل بهم حتى رأوا الهلال - يعني: هلال شوال -.

وقال كما في حديث الباب: «لو تأخر الهلال لزدتكم».

وفي حديث أنس رضي الله عنه المتقدم: «أما والله، لو تماد لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم».

وهذا دليل صريح على استنكاره ﷺ إصرار أصحابه ﷺ على الوصال تأسيًا به، إذ لم يكتفوا بنهيهم عن الوصال حين قال لهم: «إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني».

وبرهان ما استنبطناه من الأحاديث على أنه حريص على دفع المشقة والخرج عن أمته قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

وقد استوفينا الحديث عن مسألة الوصال في الكتاب الآخر^(٢) - يسر الله إتمامه -.



(١) [التوبة: ١٢٨].

(٢) كتاب الصيام، باب: النهي عن الوصال في الصوم.

الحديث الحادي والثلاثون

٧٣٠٠- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ عليه السلام، عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ آجُرٍّ وَعَلَيْهِ سَيْفٌ فِيهِ صَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَنَشَرَهَا، فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَإِذَا فِيهَا: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ غَيْرِ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»، وَإِذَا فِيهِ: «ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»، وَإِذَا فِيهَا: «مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

الأول: في فضائل المدينة^(١) من رواية شيخه محمد بن بشار.

(١) باب: حرم المدينة (٣/ ٢٠) رقم (١٨٧٠).

الثاني: في الجزية^(١) من رواية محمد بن كثير.

الثالث: في الفرائض^(٢) من رواية شيخه قتيبة بن سعيد، ولفظه: «ما عندنا كتاب نقرأه إلا كتاب الله غير هذه الصحيفة، قال: فأخرجها، فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل، قال: وفيها: المدينة حرم ما بين غير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل.

ومن والى قومًا بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل.

وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل».

وأخرجه مسلم في الحج^(٣) من رواية شيوخه أبي بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وأبي كريب، بلفظ: «خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - قال: وصحيفة معلقة في قراب سيفه - فقد كذب، فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات،

(١) باب: ذمة المسلمين وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم (٤/ ١٠٠) رقم (٣١٧٢).

(٢) باب: إثم من تبرأ من مواليه (٨/ ١٥٤) رقم (٦٧٥٥).

(٣) باب: فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمة (٢/ ٩٩٤) رقم (١٣٧٠).

وفيها قال النبي ﷺ: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

* الكلام على الحديث:

ش/ قال مقيده: وشاهد الحديث للترجمة من وجهين:

أحدهما: مجمل.

والثاني: مفصل.

فالمجمل: الرد على الرافضة دعواهم أن علياً وآل البيت عليهم السلام اختصوا دون غيرهم من الصحابة بعلم.

وإيضاحه: في قول سيد آل البيت علي عليه السلام: «والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة».

أليس في هذا شاهد منه عليه السلام على أن علياً عليه السلام وسائر أهل البيت ليس عندهم من العلم غير ما عند الصحابة عليهم السلام، وبهذا يُعلم أن من دون الصحابة من آل البيت الذين مضوا على السنة مثل: علي بن حسين بن علي، ومحمد بن علي بن الحسين هم وسائر فقهاء الملة سواء، وإن كان فقهاء الملة الذين هم على السنة يتفاضلون بينهم في العلم والفقه.

الثاني: وهو الوجه المفصل:

فيما احتواه الحديث من الجمل الست، ويتلخص هذا الحاصل أن ما احتوته الصحيفة من الأوامر سنة يجب الوقوف عندها، وأن مخالفتها من الغلو والابتداع في الدين بل هو من كبائر الذنوب.

يوضحه: أن كل أمر توعده على مخالفته باللعن وعدم قبول عمله، وهذا صريح في النهي عن مخالفة تلك الأوامر وأن هذا من الكبائر.

فإذا امتثل المسلم ما فيها من أوامر وجانب ما فيها من نواهي كان معتصماً بالسنة، والله أعلم.

وقد استوفينا شرح هذا الحديث في الكتاب الآخر^(١).



(١) كتاب الحج، باب: تحريم المدينة وصيدا وشجرها والدعاء لها.

الحديث الثاني والثلاثون

٧٣٠١- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ وَتَنَزَّاهُ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».

* التخريج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الإيمان^(١) من رواية شيخه محمد بن سلام ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه، ثم يقول: «إِنْ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا».

الثاني: في الأدب^(٢) من رواية شيخه عمر بن حفص.

(١) باب: قول النبي ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ» وأن المعرفة فعل القلب (١٣/١) رقم (٢٠).

(٢) باب: من لم يواجه الناس بالعتاب (٢٦/٨) رقم (٦١٠١).

وأخرجه مسلم في الفضائل^(١) من رواية شيخه أبي كريب بلفظ: رخص رسول الله ﷺ في أمر فتنزه عنه ناس من الناس، فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب حتى بان الغضب في وجهه، ثم قال: «ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية».

ومن رواية^(٢) شيخه زهير بن حرب ولفظه: صنع رسول الله ﷺ أمراً فترخص فيه، فبلغ ذلك ناساً من أصحابه، فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك فقام خطيباً فقال: «ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه، فكروهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية».

* الكلام على الحديث:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «فيه: الحث على الاقتداء به ﷺ والنهي عن التعمق في العبادة، وذم التنزه عن المباح شكاً في إباحته. وفيه: الغضب عند انتهاك حرمت الشرع وإن كان المتهك متأولاً تأويلاً باطلاً».

وفيه: حسن المعاشرة بإرسال التعزير، والإنكار في الجمع ولا يعين فاعله فيقال ما بال أقوام ونحوه.

(١) باب: علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته (٤/١٨٢٩) رقم (٢٣٥٦).

(٢) باب: علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته (٤/١٨٢٩) رقم (٢٣٥٦).

وفيه: أن القرب إلى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته.

وأما قوله ﷺ: «فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية» فمعناه: أنهم يتوهمون أن سننهم عما فعلت أقرب لهم عند الله، وإن فعل خلاف ذلك وليس كما توهموا، بل أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية؛ وإنما يكون القرب إليه ﷺ والخشية له على حسب ما أمر لا بمخيلات النفوس وتكلف أعمال لم يأمر بها، والله أعلم^(١).

ش/ قال مقيده: ما أحسن هذا! فقد بين رحمة الله بيانا شافيا بما قرره شاهد الترجمة.

وأنه يجب على المكلف ألا ينأى بنفسه عما أمر به النبي ﷺ فعلا أو تركا، فالأقتداء بالنبي ﷺ هو سبيل النجاة والسعادة للعبد في الدنيا والآخرة.

❖ فائدة:

قوله: «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» جمع بين القوة العلمية والقوة العملية؛ أي: إنهم توهموا أن رغبتهم عما أفعل أقرب لهم عند الله، وليس كذلك، إذ هو أعلمهم بالقربة وأولاهم بالعمل بها...

قال ابن بطال: كان النبي ﷺ رفيقا بأمته فلذلك خفف عنهم العتاب؛ لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة ولو كان ذلك حراما لأمرهم

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٥ / ١٠٧).

بالرجوع إلى فعله.

قلت: أما المعاتبة فقد حصلت ^(١). اهـ من الفتح.

* سؤال والجواب عنه:

وهاهنا سؤال مهم جدًا فتفطن إليه وأصغ إلى جوابه، فالسؤال: ما الأمر الذي رخص فيه النبي ﷺ وتركه أولئك القوم ^{رضي الله عنهم} رغبة عنه وعاتبهم ﷺ على ذلك؟

والجواب: لم أجد فيما وقفت عليه بيانًا أجزم به لما أجمل في هذا الحديث، ولكن أخرج الشيخان ^(٢) عن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك ^{رضي الله عنه} يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله

(١) «فتح الباري» (١٠ / ٥١٣).

(٢) أخرجه البخاري في النكاح، باب: الترغيب في النكاح (٧ / ٢) رقم (٥٠٦٣)، ومسلم في النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم (٢ / ١٠٢٠) رقم (١٤٠١).

إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ومثله ما أخرجه مسلم^(١) عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستفتيه، وهي تسمع من وراء الباب، فقال: يا رسول الله، تدركني الصلاة وأنا جنب، أفأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم. فقال: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي».

ش/ فحصل هذه الأحاديث: أنه لا أفضل ولا أسلم للعبد من الوقوف عند سنة النبي ﷺ؛ فهذا هو عين الاعتصام بالكتاب والسنة.



(١) كتاب الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (٢/ ٧٨١) رقم (١١١٠).

الحديث الثالث والثلاثون

٧٣٠٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، أَخْبَرَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدُ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَفْرِعِ بْنِ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِغَيْرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلَافِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَارْتَفَعَتَا أَصَوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ -وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ- إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السَّرَّارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في المغازي^(١) من رواية شيخه إبراهيم بن موسى ولفظه عن

(١) قال: باب (١٦٨/٥) رقم (٤٣٦٧).

ابن أبي مليكة، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: «أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافاً، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾^(١) حتى انقضت».

والثاني: في التفسير^(٢) من رواية شيخه يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي.

* الكلام على الحديث:

من فقه الحديث:

في هذا الحديث فائدتان كلتاهما من الاعتصام بسنة النبي ﷺ والوقوف عندها أمراً ونهيًا:

الأولى: يجوز للإمام أن يشاور فيما خفي عليه من يثق برأيه من أهل الخبرة والمعرفة والفتنة، وسواء كان المشاور واحداً أو أكثر، ولا يجب عليه جمع الأصوات لاستطلاع الكثرة.

قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

(١) [الحجرات: ١].

(٢) باب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية (١٣٧/٦) رقم (٤٨٤٥).

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴿١﴾ الآية.

الثانية: حرص عمر رضي الله عنه على العمل بهذه الآية، ألا تراه لا يحدث نبيه ﷺ إلا بما هو (أخو السرار)، والمعنى: أنه يُساره في الحديث، حتى يستفهمه النبي ﷺ عما يريد بعبارته.

* تنبيه:

وإن قال أحدٌ من الناس: سبب نزول الآية هو اختلاف الشيخين رضي الله عنهما فيمن يؤمّر ورفع أصواتهما بذلك، وهذا يعارضه ما أخرجه البخاري ^(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار.

فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة».

(١) [آل عمران: ١٥٩].

(٢) كتاب التفسير، باب: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية (١٣٧/٦)

فجوابه: ليس بين الخبرين - بحمد الله - معارضة، فالجمع بينهما: أن
كلتا الحادتين سبب لنزول الآية، وقد استوفينا هذا في التفسير^(١).



(١) باب: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية (١٣٧/٦) رقم
(٤٨٤٥).

الحديث الرابع والثلاثون

٧٣٠٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، ففعلت حفصة.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنَّا لَأَنْتَنَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ»، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

الأول: في الأذان^(١) من رواية شيخه عمر بن حفص بن غياث.

(١) باب: حد المریض أن يشهد الجماعة (١/١٣٣) رقم (٦٦٤).

الثاني: أيضًا في الأذان^(١) من رواية شيخه إسحاق بن نصر مختصرًا.

الثالث: في الأذان^(٢) أيضًا من رواية شيخه عبد الله بن يوسف.

الرابع: في الأذان^(٣) من رواية شيخه يحيى بن سليمان.

وأخرجه مسلم في الصلاة^(٤) من رواية شيخه أبي بكر بن أبي شيبة،
ويحيى بن يحيى.

ش / وقد استوفينا شرح هذا الحديث في الكتاب الآخر^(٥).

وهاهنا أمران:

الأول: في سبب مراجعة الصديقة عليها السلام رسول الله ﷺ في أمره أبا بكر
أن يصلي بالناس.

يوضحه ما أخرجه مسلم^(٦) قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال:

(١) باب: أهل الفضل والعلم أحق بالإمامة (١٣٦/١) رقم (٦٧٨).

(٢) باب: أهل الفضل والعلم أحق بالإمامة (١٣٦/١) رقم (٦٧٩).

(٣) باب: أهل الفضل والعلم أحق بالإمامة (١٣٧/١) رقم (٦٨٢).

(٤) باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس،

وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه، ونسخ القعود

خلف القاعد في حق من قدر على القيام (٣١٣/١) رقم (٤١٨).

(٥) «إمداد المسلم» كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا مرض وصلاته بالناس.

(٦) كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من

«مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمه فلو أمرت غير أبي بكر، قالت: والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعتهم مرتين أو ثلاثاً، فقال: ليصل بالناس أبو بكر، فإنكن صواحب يوسف».

وعنده^(١) من رواية شيخه أبي بكر بن أبي شيبه ويحيى بن يحيى: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة. فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقالت له؛ فقال رسول الله ﷺ: إنكن لأنتن صواحب يوسف؛ مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فأمرنا أبا بكر يصلي بالناس».

ش/ قال مقبده: لا معارضة بين هذه الروايات وحديث الباب لما تضمنته من مراجعة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ في أمره أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، لما علمته من رقة أبيها حال قراءته للقرآن، فأكد النبي ﷺ أمره أبا بكر رضي الله عنه بالصلاة بالناس.

يصلي بالناس، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه، ونسخ القعود خلف القاعد في حق من قدر على القيام (١/ ٣١٣) رقم (٤١٨).

(١) سبق تخريجه (ص ١٧٤).

ويؤيده ما أخرجه مسلم^(١) من رواية شيخه عبد الملك بن شعيب بن الليث أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، وإلا أنني كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر».

الثاني: في شاهد الترجمة من الحديث، وهذا ظاهر في معاتبة النبي ﷺ عائشة وحفصة رضي الله عنهما بقوله: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل للناس».

قال النووي رحمته الله: «قوله ﷺ: «إنكن لأنتن صواحب يوسف»؛ أي: في التظاهر على ما تردن وكثرة إلحاحكن في طلب ما تردنه وتملن إليه»^(٢).
ش / فبان بهذا مراد النبي ﷺ أنه مجرد الزجر لأولئك النسوة رضي الله عنهن، وكان ينبغي لهما عدم مراجعته ﷺ في ذلك الأمر.

فيستفاد منه أن الوقوف عند ما أمر به النبي ﷺ هو اعتصام بالسنة.



(١) كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه، ونسخ القعود خلف القاعد في حق من قدر على القيام (٣١٣/١) رقم (٤١٨).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٤/ ١٤٠).

الحديث الخامس والثلاثون

٧٣٠٤- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي ذَنْبٍ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: جَاءَ عُيُومِرُ الْعَجْلَانِيُّ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَيَقْتُلُهُ، أَتَقْتُلُونَهُ بِهِ، سَلْ لِي يَا عَاصِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسَائِلَ، وَعَابَهَا، فَرَجَعَ عَاصِمٌ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ.

فَقَالَ عُيُومِرُ: وَاللَّهِ لَا تَيْنَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ خَلْفَ عَاصِمٍ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ قُرْآنًا» فَدَعَا بِهِمَا، فَتَلَّعَنَا، ثُمَّ قَالَ عُيُومِرُ: كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَمَسَكْتُهَا، فَفَارَقَهَا وَلَمْ يَأْمُرْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفِرَاقِهَا، فَجَرَّتِ السُّنَّةُ فِي الْمُتَلَاعِنِينَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انظُرُواَهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَحْمَرُ قَصِيرًا مِثْلَ وَحَرَةٍ، فَلَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ كَذَبَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمُ أَعْيَنَ ذَا أَلْيَتَيْنِ، فَلَا أَحْسِبُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا» فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

الأول: في التفسير^(١) من رواية شيخه إسحاق.

الثاني: في التفسير^(٢) أيضًا من رواية شيخه سليمان بن داود أبي الربيع.

الثالث: في الطلاق^(٣) من رواية شيخه عبد الله بن يوسف.

ش/ وقد استوفي شرحه - والله الحمد - حيث ذكره المصنف في تفسير سورة النور.

والشاهد منه: نهى المسلم عن سؤال ما لا يعنيه؛ لأنه قد يجلب عليه ما لا تُحمد عقباه فيصبح نادماً على سؤاله.

وقد مضى حديث: «إن أعظم المسلمين جرماً: من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسأله»^(٤)؛ فراجع إن شئت.



(١) باب: قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦] (٩٩/٦) رقم (٤٧٤٥).

(٢) باب: ﴿وَالْحَنَسَةُ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (١٠٠/٦) رقم (٤٧٤٦).

(٣) باب: من أجاز طلاق الثلاث (٤٢/٧) رقم (٥٢٥٩).

(٤) الحديث العشرون.

الحديث السادس والثلاثون

٧٣٠٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ النَّصْرِيُّ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ مُطْعِمٍ ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ ذَلِكَ، فَدَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: انْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدِ يَسْتَأْذِنُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ، فَأَذِنَ لَهُمَا، قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ الظَّالِمِ اسْتَبَا، فَقَالَ الرَّهْطُ: - عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ -: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا، وَأَرْحِ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ، فَقَالَ: اتَّيَدُوا، أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي يَأْذِنُهُ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورُثُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً» يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ؟ قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ.

فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ فَقَالَ: أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ.

قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي مُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْمَالِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ [الحشر: ٦] الْآيَةَ، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

ثُمَّ وَاللَّهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ، وَلَا اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَاكُمْوهَا وَبَثَّهَا فِيكُمْ حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلُ مَالِ اللَّهِ، فَعَمِلَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتَهُ، أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ: هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ.

ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ وَعَبَّاسٍ: أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ.

ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْتُمَا حِينَئِذٍ - وَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ - تَزْعَمَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ فِيهَا كَذَا، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، فَقَبَضْتُهَا سَنَتَيْنِ أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ.

ثُمَّ جِئْتُمَانِي وَكَلِمَتُكُمَا عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَمْرُكُمَا جَمِيعٌ، جِئْتَنِي تَسْأَلْنِي نَصِيبَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَأَتَانِي هَذَا يَسْأَلُنِي نَصِيبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا عَلَى أَنْ عَلَيْكُمَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ، لَتَعْمَلَانِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مُنْذُ وَلَيْتُهَا، وَإِلَّا فَلَا تُكَلِّمَانِي فِيهَا، فَقُلْتُمَا: ادْفَعْهَا إِلَيْنَا بِذَلِكَ، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ، أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ؟ قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ، فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ.

قَالَ: أَفَتَلْتَمَسَانِ مِنِّي قِضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَوَالَّذِي بِيَدِنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ،

لَا أَقْضِي فِيهَا قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ، فَأَنَا أَكْفِيكُمَاهَا.

* التخريج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

الأول: في فرض الخمس^(١) من طريق شيخه إسحاق بن محمد الفروي.

الثاني: في المغازي^(٢) من طريق شيخه أبي اليمان.

الثالث: في التفسير^(٣) من طريق شيخه علي بن عبد الله.

وأخرجه مسلم في الجهاد والسير^(٤) من طريق شيخه عبد الله بن محمد ابن أسماء الضبعي.

* الكلام على الحديث:

ش / وهذا الحديث شرحه مستوفى - والله الحمد - في التفسير^(٥)، فراجع إن شئت.

(١) قال: باب (٧٩/٤) رقم (٣٠٩٤).

(٢) باب: حديث بني النضير، ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ (٨٩/٥) رقم (٤٠٣٣).

(٣) باب: قوله: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: ٧] (١٤٧/٦) رقم (٤٨٨٥).

(٤) باب: حكم الفيء (١٣٧٧/٣) رقم (١٧٥٧).

(٥) «إمداد القاري»، باب: قوله: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: ٧].

وشاهد الترجمة: فيما صنعه عمر رضي الله عنه حين أتاه عليّ وعمه العباس رضي الله عنهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير، وهذا يظهر في أمور:

الأمر الأول: تقرير عمر رضي الله عنه عليًا وعمه رضي الله عنهما بصنيع النبي صلى الله عليه وآله في تلك الأموال، وصنيع أبي بكر رضي الله عنه على نحو ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله، وصنيعه هو رضي الله عنه صدرًا من خلافته بصنيع النبي صلى الله عليه وآله وأبي بكر رضي الله عنه حتى دفعها إليهما بعد عرض ذلك على هذين الخيرين رضي الله عنهما.

الأمر الثاني: استشهاده من حضر مجلسه وفيهم عثمان رضي الله عنه على ما قصّه في المجلس، وهذا من مناقبه رضي الله عنه الجمّة التي لا تحصى، وكلها اقتداء منه بالسنة واعتصام بها.

فحريٌّ بكل مسلم أن يقف عندما يبلغه من سنة النبي صلى الله عليه وآله ولا يتمحل بسلوك ذات اليمين وذات الشمال.

[الباب السادس]

بَابُ إِثْمٍ مِنْ آوَى مُحَدِّثًا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

* شرح الترجمة:

هذه الترجمة المقصود منها ظاهر كما ستعرفه من أحاديثها، وهو التحذير من إيواء المحدثات في الدين وأهلها.

وقوله: «رواه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ»:

ش / يشير المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حديثين:

أحدهما: ما أخرجه هو رَحِمَهُ اللَّهُ في باب «ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع»^(١) ومن ألفاظه: «المدينة حرم من غير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً...» الحديث.

والآخر: ما أخرجه مسلم^(٢) عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، ولفظه: ما كان النبي ﷺ يسر إلي شيئاً يكرهه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع،

(١) وقد مضى في الباب قبل هذا.

(٢) كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (٣/١٥٦٧) رقم (١٩٧٨).

قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض». والشاهد منه: أن مجانية هذه الأمور الأربعة من التمسك بالسنة، ويأتي شرحه - إن شاء الله - في الكتاب الآخر^(١).



(١) كتاب الأضاحي، باب: فيمن ذبح لغير الله.

الحديث السابع والثلاثون

٧٣٠٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسٍ: أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، لَا يَقْطَعُ شَجَرُهَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، قَالَ عَاصِمٌ: فَأَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنْسٍ أَنَّهُ قَالَ: «أَوْ آوَى مُحَدِّثًا».

* التخریج:

وأخرجه المصنف في فضائل المدينة^(١) من رواية شيخه أبي النعمان. وأخرجه مسلم في الحج^(٢) من رواية شيخه حامد بن عمر بلفظ: عن عاصم، قال: قلت لأنس بن مالك: أحرم رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: «نعم ما بين كذا إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثًا، قال: ثم قال لي: هذه شديدة من أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه

(١) باب: حرم المدينة (٢٠/٣) رقم (١٨٦٧).

(٢) باب: فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها (٩٩٢/٢) رقم (١٣٦٢).

يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»، قال: فقال ابن أنس: «أو آوئ محدثاً».

* الكلام على الحديث:

الشاهد منه:

أولاً: قوله: «أو آوئ محدثاً».

وثانياً: قول أنس رضي الله عنه: «نعم، ما بين كذا إلى كذا» الحديث.

وفي حديث علي رضي الله عنه: «المدينة حرم من غير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(١). وفي المتفق عليه^(٢): «المدينة حرم ما بين غير إلى ثور...».

وقد استوفينا شرح هذه المسألة وهي تحريم النبي ﷺ المدينة في الكتاب الآخر فراجع إن شئت^(٣).

ش/ فبان بهذا أن تحريم المدينة اعتصام بالسنة، وأن انتهاك حرمتها ضلال وانحراف، فليحذر المسلم من التعدي على طيبة أو أهلها بسوء.

(١) تقدم في الباب قبله.

(٢) البخاري في الفرائض، باب: إثم من تبرأ من مواليه (٨/ ١٥٤) رقم (٦٧٥٥)، ومسلم في الحج، باب: فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم

صيدا وشجرها، وبيان حدود حرمها (٢/ ٩٩٤) رقم (١٣٧٠).

(٣) كتاب الحج، باب: تحريم المدينة وصيدا وشجرها والدعاء لها.

[الباب السابع]

بَابُ مَا يُذَكَّرُ مِنْ ذِمِّ الرَّأْيِ وَتَكْلُفِ الْقِيَاسِ

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ﴿لَا تَقُلْ﴾ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

* شرح الترجمة:

المقصود بالرأي الذي ذمه الأئمة: هو ما لم يدل عليه دليل من كتاب ولا سنة، ويقصد إليه لمعارضة النصوص.

والمقصود بالقياس: هو ما كان فاسد الاعتبار ويراد به ما عورضت به السنة.

وسنذكر -إن شاء الله- جملة من تحذيرات أهل العلم عن هذين المسلكين الفاسدين.

فنبداً أولاً: بخيار هذه الأمة ومن اصطفاهم الله ﷺ لصحبة نبيه ﷺ.

قال أبو بكر الصديق ؓ: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي»^(١). أخرجه البغوي في السنة.

وعن عمر بن الخطاب ؓ قال: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء

(١) «شرح السنة»، كتاب العلم، باب: تبليغ حديث الرسول ﷺ وحفظه (١ / ٢٤٤).

السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فَضَلُوا وَأَضَلُّوا^(١).

وقال التابعي المعروف عامر بن شراحيل الشعبي: «إياكم والمقايسة، والذي نفسي بيده لئن أخذتم بالمقايسة لتحلن الحرام ولتحرمن الحلال، ولكن ما بلغكم عمن حفظ من أصحاب محمد ﷺ فاعملوا به»^(٢).

قال مقيده: فهذه ثلاثة أمثلة؛ مثالان عن الصحابة، والثالث عن رجل من خيار التابعين.

واعلم أن ذمَّ ما يخالف السنة من رأي وقياس متواتر عن الصحابة ومن بعدهم من أئمة السنة.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ [الإسراء: ٣٦]: لا تقل ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦]:

«قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: (لا تقل) ما ليس لك به علم احتج لما ذكره من ذم التكلف بالآية، وتفسير القفو بالقول من كلام ابن عباس فيما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: لا تقف ما ليس لك به علم: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، والمعروف أنه الاتباع»^(٣). اهـ من الفتح.

قلت: والآية: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة، كتاب النوادر (٢٥٦/٥) رقم (٤٢٨٠).

(٢) «سنن الدارمي»، باب: التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة (٦٠/١) رقم (١٠٩).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٢٨٢).

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١﴾.

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على أقوال:

أحدها: ولا تقل ما ليس لك به علم، وهو قول قتادة وابن الحنفية.

الثانية: ولا ترم -أي لا تطلب-، وبه قال ابن عباس ومجاهد.

أخرج القولين ابن جرير ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: وهذان التأويلان متقاربا المعنى؛ لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، وادعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحق، فذلك هو القفو.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه»^(١).

ش/ قلت: وبهذا يظهر لك دقة تفسير البخاري رَحِمَهُ اللهُ ومطابقة الآية للترجمة.

ونظير هذه الآية: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

(١) [الإسراء: ٣٦].

(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» (١٧ / ٤٤٦)

بَطْنٍ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿١﴾.

فالشاهد منها: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْآيَةِ: «ذكر سبحانه المحرمات الأربع مبتدئاً بالأسهل منها، ثم ما هو أصعب منه، ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدّها، وهو القول عليه بلا علم، فكيف بالكذب عليه؟ قالوا: لأن الكذب عليه بأنه قال كذا ولم يقله، نسبة للقول المكذوب إليه بأنه قاله، فالكاذب يعلم أن ما اختلقه كذب، فإذا نسبته إلى رسول الله ﷺ فقد نسب إليه الكذب»^(١).



(١) [الأعراف: ٣٣].

(٢) «بدائع الفوائد» (١/ ٣٨٨).

الحديث الثامن والثلاثون

٧٣٠٧ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلَيْدٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهَبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ شَرِيحٍ، وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمْوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ، يُسْتَفْتُونَ فَيَقْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ».

فَحَدَّثْتُ بِهِ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَخْتِي انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَنْبِثْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْهُ، فَبِحِثَّةٍ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي، فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَا فَعَجِبَتْ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو.

* التخریج:

أخرجه في العلم^(١) من رواية شيخه إسماعيل بن أبي أويس بلفظ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض

(١) باب: كيف يقبض العلم (١/ ٣١) رقم (١٠٠).

العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»، وأخرجه مسلم بهذا اللفظ.

* الكلام على الحديث:

من فقه الحديث:

في هذا الحديث فوائد:

الأولى: عَلم من أعلام نبوته ﷺ، وهو ما أخبر عنه ﷺ من ضلال الجاهل وإضلالهم من استفتاهم.

الثانية: أن بقاء أهل العلم الراسخين فيه في الأمة حصن منيع بينهم وبين سبل الانحراف والضلال، وفي ذهابهم فتح باب لنشر البدع والضلالات من قبيل أهل الجهل والهوى.

الثالثة: الحث على الالتفاف حول الراسخين من أهل العلم، والأخذ عنهم، والتفقه عليهم، لاسيما أكابرهم، وبهذا كانت وصايا السلف.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم، هلكوا»^(١).

والأصاغر: هم أهل الجهل والهوى.

(١) «شرح السنة» للبخاري كتاب العلم، باب: قبض العلم (١/ ٣١٧).

وقال ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»^(١).

ومصدق ذلك قوله رَحِمَهُ اللهُ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٢) أخرجه أحمد وأبو داود بلفظ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»^(٣).

الرابعة: التحذير من أئمة الضلال في كل زمان ومكان، قال رَحِمَهُ اللهُ: «سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم، فياياكم وإياهم» أخرجه مسلم^(٤).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»^(٥) أخرجه الترمذي

(١) مقدمة صحيح مسلم، باب: في أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرومة (١/١٤).

(٢) مسند أحمد (٣٩٨/١٣) رقم (٨٠٢٨)، قال محققه: إسناده جيد، موسى بن وردان صدوق، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير مؤمل بن إسماعيل، وهو سيئ الحفظ، لكنه متابع بعد الرحمن بن مهدي.

(٣) سنن أبي داود في الأدب، باب: من يؤمن أن يجالس (٢٥٩/٤) رقم (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في «صحيح وضعيف أبي داود» برقم (٤٨٣٣).

(٤) باب: في الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم (١٢/١) رقم (٦).

(٥) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب: الأئمة المضلين (٥٠٤/٤) رقم (٢٢٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف الترمذي» برقم (٢٢٢٩).

وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

الخامسة: في قول عروة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فحدثت به عائشة زوج النبي ﷺ»، إلى قوله: «يا ابن أخي انطلق إلى عبد الله فاستثبت لي منه الذي حدثني عنه» جواز نقل ما سمعه الرجل من عالمٍ إلى عالمٍ آخر، إذا كان الباعث على ذلك الفرح والسرور، واستطلاع ما عند المنقول إليه إذا كان يوافقه بالدليل، أما ما ينقل على سبيل الفتنة وإيغار الصدور فبحته في مجال آخر.

السادسة: في قول عروة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فجئته فسألته فحدثني به كنحو ما حدثني» إلى قوله: «فَعَجِبْتُ فَقَالَتْ: والله لقد حفظ عبد الله بن عمرو». فيه تنبيه إلى أنه من مؤازرة أهل العلم بعضهم بعضاً الشئ عليه لما أصابه وحفظه من سنة رسول الله ﷺ.

شاهد الترجمة:

قلت: وما أظنك أيها الناصح لنفسه الحازم في أمره خفي عليك بعد هذه الفوائد الشاهد من هذا الحديث لكتاب الاعتصام، فاعتصم بالسنة وواخي أهلها، واصبر نفسك على أئمة أهل السنة.

قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والتعمق والحمق، فإن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وكانوا

هم أقوى على البحث، ولم يبحثوا»^(١).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «فاصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»^(٢).

قلت: ولا تبغ أهل البدع ولا تتخذهم بطانة، واحذرهم وإن ذبوا عن السنة.



(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب: لزوم السنة (٢٠٢/٤) رقم (٤٦١٢)، قال الألباني: صحيح مقطوع في «صحيح وضعيف أبي داود» برقم (٤٦١٢).

(٢) «شرح السنة» للبخاري، باب: سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت، وكيف الجواب له، وكراهية العلماء هذا السؤال وتبديع السائل عن ذلك (٨٨٢/٢) رقم (١٢١٦).

الحديث التاسع والثلاثون

٧٣٠٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْرَةَ، سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ، هَلْ شَهِدْتَ صِفِّينَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، يَقُولُ ح وَحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُقْطَعُنَا، إِلَّا أَسْهَلَنَّا بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ، غَيْرَ هَذَا الْأَمْرِ»، قَالَ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: «شَهِدْتُ صِفِّينَ وَبَسَّتْ صِفُونٌ».

* التخریج:

وأخرجه المصنف في الجزية^(١) من رواية شيخه عبدان.

وأخرجه مسلم في الجهاد والسير^(٢) من رواية شيخه أبي كريب محمد

ابن العلاء.

(١) كتاب الجزية، باب (١٠٣/٤) رقم (٣١٨١).

(٢) باب: صلح الحديبية في الحديبية (١٤١٢/٣) رقم (١٧٨٥).

وأخرجه أيضًا في الجهاد والسير^(١) من رواية شيخه إبراهيم بن سعيد الجوهري بلفظ: «اتهموا رأيكم على دينكم، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ ما فتحنا منه في خصم، إلا انفجر علينا منه خصم».

* الكلام على الحديث:

شرح الحديث:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «وقال أبو وائل شهدت صفين وبُست صفين» كذا لأبي ذر ولغيره: وبُست صفون، وفي رواية النسفي مثله ولكن قال: وبُست الصفون بزيادة ألف ولام، والمشهور في (صفين) كسر الصاد المهملة وبعضهم فتحها وجزم بالكسر جماعة من الأئمة والفاء مكسورة مثقلة اتفاقاً والأشهر فيها بالياء قبل النون كما ردين وفلسطين وقسرين وغيرها.

وقوله: «إلا أسهلن» بسكون اللام بعد الهاء والنون المفتوحتين، والمعنى: أنزلتنا في السهل من الأرض؛ أي: أفضين بنا، وهو كناية عن التحول من الشدة إلى الفرج^(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قوله: «ما فتحنا منه خصمًا» فالضمير في

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٢٨٨).

(منه) عائد إلى قوله: «اتهموا رأيكم»، ومعناه: ما أصلحنا من رأيكم وأمركم هذا ناحية إلا انفتحت أخرى ولا يصح إعادة الضمير إلى غير ما ذكرناه.

وأما قوله: «ما فتحنا منه خصمًا» فكذا هو في مسلم.

قال القاضي: وهو غلط أو تغيير^(١)، وصوابه ما سددنا منه خصمًا، وكذا هو في رواية البخاري ما سددنا وبه يستقيم الكلام ويتقابل سددنا بقوله إلا انفجر.

وأما: «الخصم» فبضم الخاء وخصم كل شيء طرفه وناحيته وشبهه بخصم الراوية، وانفجار الماء من طرفها، أو بخصم الغرارة والخرج وانصباب ما فيه بانفجاره^(٢).

ش/ قال مقبده: فالشاهد من هذا الحديث للترجمة الوقوف على ما دلت عليه السنة، وأنه هو الحق وإن كان ثقیلاً على النفوس، والبعد عن الرأي المجرد عن الدليل، وإن كانت النفوس تهواه وتشوف إليه وتستسيغه.

وإياك أيها المسلم أن تتخذ من هذه الموقعة من عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما غرضًا تسلُّ عليهما كليهما أو عليٌّ أحدهما من حصائد لسانك ما يمليه الشيطان، وعليك بقوله ﷺ: «وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وكفَّ عما شجر بين الصحابة من الاختلاف والفتن والحروب ومنها موقعة الجمل وصفين، إن أردت السلامة لدينك وعرضك.

(١) «إكمال المعلم» (٦ / ٨١).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٢ / ١٤٣).

وما أحسن ما قاله إمام من أئمة السنة وعَلِمَ من أعلامها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي هذا الباب: «ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وَغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه: هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون^(١)، وإن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم^(٢).

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتي

(١) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ (٢/٥) رقم (٣٦٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/١٩٦٢) رقم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (٨/٥) رقم (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ، باب: تحريم سب الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ (٤/١٩٦٧) رقم (٢٥٤٠).

بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعه محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه.

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم؟

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل؛ علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى^(١).

قال عبيد: فعليك بهذه الوصية الغالية فأمسك بها حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها.



(١) «مجموع الفتاوى - العقيدة الواسطية» (٣/ ١٥٢ - ١٥٦).

[الباب الثامن]

بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْأَلُ مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ الْوَحْيُ،
فَيَقُولُ: «لَا أَدْرِي»، أَوْ لَمْ يُجِبْ حَتَّى يُنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ،
وَلَمْ يَقُلْ بِرَأْيٍ وَلَا بِقِيَاسٍ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ فَسَكَتَ حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ».

* شرح الترجمة:

والمقصود بهذه الترجمة أمور:

الأول: أن محمداً ﷺ لا يتكلم مبلغاً عن الله ﷻ إلا بما أوحى الله إليه؛
قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

الثاني: ما يجب على العالم من الكف عن الفتوى حتى يجد من الدليل
ما يسوغ له الإفتاء فيما سُئِلَ عنه يقيناً أو في غالب الظن.

فإن لم يسعه هذا وعمد إلى الرأي المجرد فقد أخطأ وإن أصاب
السنة، وقد مضى قريباً ما يدل على ذم الرأي المجرد استغناءً به عن السنة.

(١) [النجم: ٣-٤].

الثالث: قوله: «لقلوه تعالى: ﴿يَا أَرْثَكَ اللَّهُ﴾».

ش/ يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ يَمَا أَرْثَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾^(١).

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق؛ أي: محفوظاً في إنزاله من الشياطين أن يتطرق إليه منهم باطل، بل نزل بالحق، ومشتماً أيضاً على الحق، فأخبره صدق، وأوامره ونواهيه عدل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(٢)، وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٣).

فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبين جميع الدين وأصوله وفروعه.

ويحتمل أن الآيتين كلتيهما معناهما واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام.

(١) [النساء: ١٠٥].

(٢) [الأنعام: ١١٥].

(٣) [النحل: ٤٤].

وقوله: ﴿بِمَا أَرْثَكَ اللَّهُ﴾؛ أي: لا بهواك، بل بما علّمك الله وألهمك، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْمَوْتِ﴾ (٢) **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**.

وفي هذا دليل على عصمته ﷺ فيما يُبلغ عن الله من جميع الأحكام وغيرها، وأنه يشترط في الحاكم: العلم والعدل؛ لقوله: ﴿بِمَا أَرْثَكَ اللَّهُ﴾ ولم يقل: (بما رأيت).

ورتب أيضًا الحكم بين الناس على معرفة الكتاب، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط نهاء عن الجور والظلم الذي هو ضد العدل؛ فقال: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾؛ أي: لا تخاصم عمّن عرفت خيانتَه، من مدّعٍ ما ليس له، أو منكرٍ حقًا عليه، سواء علم ذلك أو ظنه.

ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية.

ويدل مفهوم الآية على: جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يُعرف منه ظلم^(١).

ش/ قال مقيده: ما أحسن هذا؛ فقد أبان به الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بما لا أظنه يخفى على ذي البصر والبصيرة الشاهد من الآية للترجمة.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ١٩٩).

الرابع: قوله: «وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (سئل النبي ﷺ عن الروح فسكت حتى نزلت الآية)».

وصله المصنف في باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه^(١)، ولفظه عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: «كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢)».

ش / وقد مضى الكلام عليه هناك.



(١) الباب الثالث: الحديث الثامن والعشرون.

(٢) [الإسراء: ٨٥].

الحديث الأربعون

٧٣٠٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ
ابْنَ الْمُنْكَدِرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: مَرِضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ فَأَتَانِي وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ، ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ
فَقُلْتُ: أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ - كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟ - قَالَ:
فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الوضوء^(١) من رواية شيخه أبي الوليد عن محمد بن المنكدر
قال: سمعت جابرًا يقول: «جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل،
فتوضأ وصبَّ عليَّ من وضوئه، فعقلت، فقلت: يا رسول الله، لمن الميراث؟
إنما يرثني كلاله، فنزلت آية الفرائض».

(١) باب: صب النبي ﷺ وضوئه على المعتمى عليه (١/ ٥٠) رقم (١٩٤).

الثاني: أخرجه في المرضي^(١) من طريق شيخه عبد الله بن محمد.

الثالث: وأخرجه في الفرائض^(٢) من طريق شيخه قتيبة بن سعيد.

الرابع: وأخرجه المصنف في التفسير^(٣) من رواية شيخه إبراهيم بن موسى ولفظه: «عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش عليّ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّهِ الْكُلُومُ﴾».

وأخرجه مسلم في الفرائض^(٤) من رواية شيخه محمد بن حاتم بن ميمون.

* الكلام على الحديث:

ش/ والشاهد من الحديث: قوله: «فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث».

وقد استوفيت -ولله الحمد- شرح هذا الحديث بما فتح الله عليّ في التفسير.

(١) باب: عيادة المغمي عليه (١١٦/٧) رقم (٥٦٥١).

(٢) قال: باب (١٤٨/٨) رقم (٦٧٢٣).

(٣) باب: قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّهِ الْكُلُومُ﴾ (٤٣/٦) رقم (٤٥٧٧).

(٤) باب: ميراث الكلاله (١٢٣٥/٣) رقم (١٦١٦).

* من فقه الحديث:

وفي الحديث فوائد أخرى؛ منها:

الأولى: تواضع النبي ﷺ وكرم خلقه، ألا تراه عاد رجلاً من أصحابه في مرضه ولم ينب في ذلك عنه أحدًا.

الثانية: منقبة من مناقب الصديق ﷺ، وهي مرافقته النبي ﷺ في عيادة جابر ﷺ.

الثالثة: حرص جابر ﷺ على استشارة النبي ﷺ ما يصنع بماله خشية أن يموت ﷺ دون وصية أو نحوها.

وهذه الفوائد الأخذ بها اعتصامٌ بالسنة.



[الباب التاسع]

بَابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ وَلَا تَمْثِيلٍ

* شرح الترجمة:

قال مقيده: وهذه الترجمة تنضاف إلى ما سبقها في الحث على التعويل على السنة وترك الرأي؛ لأنه لم تثبت عصمة إلا في السنة، وأما آراء البشر فليست بمعصومة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أنشأ أقوالاً وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الأمة اتباعها ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول، فإن طابقته ووافقتة وشهد لها بالصحة قبلت حينئذٍ، وإن خالفته وجب ردها واطراحها، فإن لم يتبين فيها أحد الأمرين جعلت موقوفة، وكان أحسن أحوالها أن يجوز الحكم والإفتاء بها وتركه، وأما أنه يجب ويتعين فكلاً»^(١).

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٣٥).

ش/ قال مقيدہ - عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانه -:

وهذا القول يوافق ما تتابع عليه أئمة أهل السنة خلفهم عن سلفهم وهو عرض ما يرد عليهم من أقوال الناس وأعمالهم على ميزانين: وهما النص والإجماع، فما وافق نصًّا أو إجماعًا من الأقوال قبل، وما خالف نصًّا أو إجماعًا ردَّ وإن كان صادرًا عن إمامٍ من الأئمة المعتمدين.



الحديث الحادي والأربعون

٧٣١٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ نُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا»، فَاجْتَمِعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ».

✽ التخریج:

أخرجه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوَاضِع:

أولاً: فِي الْعِلْمِ^(١) مِنْ طَرِيقِ شَيْخِهِ آدَمَ وَهُوَ ابْنُ أَبِي إِيَّاسٍ وَلَفْظُهُ: «قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ،

(١) باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟ (٣٢/١) رقم (١٠١).

فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن» الحديث.

ثانياً: في الجنائز^(١) من رواية شيخه مسلم وهو ابن إبراهيم.

وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب^(٢) من رواية شيخه أبي كامل الجحدري فضيل بن حسين.

* الكلام على الحديث:

من فقه الحديث:

في هذا الحديث من الفقه العظيم ما يدل على دقة البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي إيرادِه هنا:

الأولى: حرص تلك المرأة وأخواتها من الصحابيات الخيرات الفاضلات - رضي الله عنهن - اللاتي يجدر، بل يجب على كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسلك سبيلهن في الأدب والحشمة.

ومن هي تلك المرأة؟

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «لم أقف على اسمها، ويحتمل أن تكون هي أسماء بنت يزيد بن السكن»^(٣).

(١) باب: فضل من مات له ولد فاحتسب، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٧٣/٢) رقم (١٢٤٩).

(٢) باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٢٠٢٨/٤) رقم (٢٦٣٣).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٢٩٣).

ش/ قال عبيد: لا تضر جهالة اسمها؛ لأنها صحابية رضي الله عنها.

الثانية: الدليل الصريح على تحريم اختلاط النساء بالرجال، وإيضاحه:

أولاً: إقرار النبي ﷺ تلك المرأة على قولها: «ذهب الرجال بحديثك»، وفي الرواية الأخرى: «غلبنا عليك الرجال».

وثانياً: في إجابته ﷺ طلبها.

الثالثة: كرم خلق النبي ﷺ وتواضعه إذ أجاب دعوة هؤلاء الخيرات، فواعدهن ثم أتاهن يعظهن ويأمرهن، وهذا دليل على أنه ﷺ مسئول عن تعليم أمته ذكورهم وإناثهم.

وفيه: التنبيه إلى أن من واجبات الإمام المسلم: أن يبعث إلى النساء في مكان خاص بهن من يعلمهن دين الله ويفقههن فيه، وهذا يجب أن يقيد بقيود:

أحدها: أن يكون المبعوث إلى هؤلاء النسوة من أهل الورع والتقوى والرسوخ في العلم والفقه في الدين، وإن وجدت لذلك امرأة فهي أفضل.

ثانيها: أن تكون هؤلاء النسوة المبعوث إليهن على حشمة ووقار، غير سافرات ولا متبرجات ولا مستعطرات.

الرابعة: بشارة من فقد أطفالاً قبل الحلم بأنهم يشفعون فيه، ويجب أن

يقيّد ذلك بالصبر والاحتساب، والاستسلام لقضاء الله وقدره.

وهذه الفوائد كلها شواهد من الحديث للترجمة، ومناسبة الترجمة

لكتاب الاعتصام.



[الباب العاشر]

**بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي
ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ»**

* شرح الترجمة:

مقصود هذه الترجمة:

أولاً: الإشارة بأنه لا تخلو أرض الله من قائم بالحق صاعد به لا يخاف في الله لومة لائم، وبهم تقوم حجة الله على الخلق.

وثانياً: الحض على التفقه في الدين والتمسك به، واستعمال فهم السلف الصالح في فهم ما أشكل من النصوص، وبهذا يكون المرء صاحب سنة قولاً وعملاً واعتقاداً.

وإلى هذين الأمرين بحديثي الباب وسيأتي الكلام عليهما.



الحديث الثاني والأربعون

٧٣١١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في المناقب^(١) من رواية شيخه عبد الله بن أبي الأسود. وأخرجه مسلم في الإمامة^(٢) برواية شيخه أبي بكر بن أبي شيبة وابن نمير، ولفظه: «لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

وله^(٣) عن ثوبان ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي

(١) قال: باب (٢٠٧/٤) رقم (٣٦٤٠).

(٢) باب: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (٣/

١٥٢٣) رقم (١٩٢١).

(٣) المصدر السابق، رقم (١٩٢٠).

ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

* الكلام على الحديث:

ش / بان بجميع روايات الحديث مناسبتة للترجمة.



الحديث الثالث والأربعون

٧٣١٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يَخْطُبُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ: حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

أولاً: في العلم^(١) من رواية شيخه سعيد بن عفیر عن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية ؓ خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

الثاني: في المناقب^(٢) من رواية شيخه الحميدي ولفظه: «لا يزال من

(١) باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (١/ ٢٥) رقم (٧١).

(٢) قال: باب (٤/ ٢٠٧) رقم (٣٦٤١).

أمّتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» قال عمير: فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: وهم بالشأم، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول: وهم بالشأم.

الثالث: في التوحيد^(١) من رواية شيخه الحميدي أيضًا بلفظ: «لا يزال من أمّتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

وأخرجه مسلم في الإمامة^(٢) من رواية شيخه منصور بن أبي مزاحم.

* الكلام على الحديث:

من فقه حديثي الباب:

قال مقيده: بضميمة حديثي الباب إلى بعضهما يظهر للمتأمل البصير فوائد؛ منها:

أولاً: أن من علامات إرادة الله الخيرية بالعبد: الفقه في الدين، وهذه الخيرية التامة العامة التي تنظم السعادة في الدنيا والآخرة، وهي أن يرزقه الله البصيرة والمعرفة فيعلم أن ما يفعله مأمور به وأن ما يدع منهيه عنه.

(١) باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١٣٦/٩) رقم (٧٤٦٠).

(٢) باب: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (٣/١٥٢٤) رقم (١٠٣٧).

ومفهومه: أن من لا يرد الله به خيرًا لا يفقهه في الدين، والمعنى: أنه يتخبط ولا بصيرة لديه يميز بها الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والسنة من البدعة، فيضل ويضل كما يفيد حديث معاوية رضي الله عنه.

الثانية: وعد الله على لسان رسوله ﷺ ببقاء الحق وأهله وهم الطائفة المنصورة التي تقوم بها الحجة على الخلق، ومصدق ذلك في آيات كثيرة: منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ ^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ ^(٢).

الفائدة الثالثة: التنبيه إلى أنه لا يجوز الاغترار بالكثرة ولا الزهد في القلة؛ لأن العبرة بإصابة الحق؛ فأهل الإصابة للحق هم المعول عليهم في الاقتداء في كل زمان ومكان؛ لما يقومون به من تعليم الناس دين الله من الكتاب والسنة، والذب عن السنة وأهلها.

الرابعة: التنبيه إلى الالتفاف حول العلماء الربانيين، ودعوة الناس إليهم عوامهم وخواصهم، وأنه مهما بقي هؤلاء العلماء الربانيون كانت الأمة في حصن منيع من مضلات الفتن، وأهلها في كل زمان ومكان.

(١) [الحج: ٤٠].

(٢) [غافر: ٥١].

الخامسة: البشارة بأن هذه الطائفة المنصورة موعودة بنصر الله، ولا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة.

وبهذه الفوائد مجتمعة تظهر مطابقة الحديث للترجمة.

* سؤال والجواب عنه:

ما معنى قوله ﷺ: «حتى يأتيهم أمر الله»، وفي رواية: «حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله».

فجوابه: أن هذه الساعة المذكورة هي الساعة الصغرى التي تقوم على أهل الإيمان، لا الساعة الكبرى التي هي نهاية الدنيا.

ويدل لذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك، فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة»^(١).



(١) باب: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (٣/

[الباب الحادي عشر]

بَابُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾

* شرح الترجمة:

قلت: يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُزَيِّنَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۚ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(١).

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: هو تعالى قادر على إرسال العذاب إليكم من كل جهة ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾؛ أي: يخلطكم ﴿شِيْعًا وَيُزَيِّنَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾؛ أي: في الفتنة، وقتل بعضكم بعضًا.

فهو قادر على ذلك كله، فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أنه قادر على ذلك، ولكن من رحمته أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب

(١) [الأنعام: ٦٥].

ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف.

ولكن عاقب من عاقب منهم بأن أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها المعتبرون، ويشعر بها العالمون.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: ننوعها، ونأتي بها على أوجه كثيرة وكلها دالة على الحق.

﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ أي: يفهمون ما خُلِقُوا من أجله، ويفقهون الحقائق الشرعية، والمطالب الإلهية^(١).

ش/ قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له ولو لوالديه ولمن كتب له وأعانه -:

قد أفاد الشيخ وأجاد رَحِمَهُ اللهُ بما ذكره من تفسير هذه الآية.

وبه يستبين أنه من الاعتصام بالسنة:

أولاً: البعد عن معاصي الله ﷻ؛ فإنها موجبة غضبه وعذابه.

ثانياً: عظيم قدرة الله ﷻ، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وما تضمنته آية الأنعام هذه دليل على عظيم قدرته ونفوذ مشيئته سبحانه له الأمر كله شرعاً وقدرًا.

ثالثاً: لطفه ﷻ بهذه الأمة؛ إذ لم يعاجلهم بالعقوبة كما عجل للمكذابين رسلهم عقوبتهم.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٢٦٠).

رابعاً: دعوته ﷺ عباده إلى أن يتذكروا آلاءه عليهم، وينظروا فيما أنزله
على نبيه ﷺ ويتدبروه ويعملوا به.
وفي جميع هذه الأمور شاهد الترجمة لكتاب الاعتصام وشاهد الآية
للت ترجمة.



الحديث الرابع والأربعون

٧٣١٣- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: «هَاتَانِ أَهْوَنُ، -أَوْ أَيْسَرُ-».

* التخريج:

أخرجه المصنف في التفسير^(١) من رواية شيخه وأبي النعمان.

ثانيًا: في التوحيد من رواية^(٢) شيخه قتيبة بن سعيد.

* الكلام على الحديث:

من فقه الحديث:

(١) باب: قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ (٥٦/٦) رقم (٤٦٢٨).

(٢) باب: قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (١٢١/٩) رقم (٧٤٠٦).

الأول: جواز التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

ثانياً: إثبات صفة الوجه لله تعالى.

ثالثاً: كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورحمته بها، ألا تراه ﷺ حين تلا: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»، وكررها حين تلا: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

وفي هذه الفوائد كلها شاهد الحديث للترجمة.

والحديث - والله الحمد - شرحه مستوفى في التفسير.



[الباب الثاني عشر]

بَابُ مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍّ
قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ حُكْمَهُمَا لِيُفْهَمَ السَّائِلُ

* شرح الترجمة:

ومراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ الشَّارِعَ الْحَكِيمَ قَدْ شَبَّهَ أُمُورًا يَعْرِفُهَا مَنْ سَأَلَ عَنْهَا بِأُمُورٍ أُخْرَى مَبِينَةٍ فِي الدِّينِ بِكِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ خَفِيَتْ عَلَى السَّائِلِ، وَالْمَقْصُودُ بِهَذَا التَّشْبِيهِ كَمَا ذَكَرَهُ الْمَصْنِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ فَهْمُ السَّائِلِ؛ لِأَنَّهُ بِهَذَا التَّشْبِيهِ يَدْرِكُ الْجَوَابَ وَيَعْقِلُهُ.

وشواهد هذا كثيرة ومنها حديثنا الباب كما سيبين بعد - إن شاء الله -.



الحديث الخامس والأربعون

٧٣١٤- حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟»، قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟»، قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: «فَأَنَّى تَرَى ذَلِكَ جَاءَهَا»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِرْقُ نَزَعَهَا، قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقُ نَزَعَهُ»، وَلَمْ يُرَخَّصْ لَهُ فِي الْإِنْتِفَاءِ مِنْهُ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الطلاق^(١) من رواية شيخه يحيى بن قزعة ولفظه: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورك؟ قال: نعم،

(١) باب: إذا عَرَّضَ بنفي الولد (٥٣/٧) رقم (٥٣٠٥).

قال: فأني ذلك؟ قال: لعله نزع عرق، قال: فلعل ابنك هذا نزع». .

الثاني: في الحدود^(١) من رواية شيخه إسماعيل.

وأخرجه مسلم في الطلاق^(٢) من طريق شيوخه قتيبة بن سعيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، وزهير بن حرب، ولفظه: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ، فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال النبي ﷺ: «هل لك من إبل؟...» الحديث.

* الكلام على الحديث:

ش / فالشاهد من الحديث: تشبيه النبي ﷺ ولد الرجل المخالف للونه بأولاد الإبل المخالفة للونها، ووجه الشبه: نزع العرق، وهذا مشاهد؛ فكم من امرئ يخالف أمه وأباه وتنزعه عروق أعلى.

* وهاهنا سؤال:

في جميع ما وقفت عليه من روايات المصنف أن الرجل مبهم، وفي رواية مسلم قال: «جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ».

فالجمع بين الروایتين: يمكن حمله على التعدد، أو أن بعض الرواة أجمل وبعضهم فسّر، والله أعلم.

(١) باب: ما جاء في التعريض (٨/ ١٧٣) رقم (٦٨٤٧).

(٢) باب: انقضاء علة المتوفى عنها زوجها، وغيرها بوضع الحمل (٢/ ١١٣٧) رقم (١٥٠٠).

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: «وفيه دليل على أن المخالفة في اللون بين الأب والابن - بالبياض والسواد - لا تبيح الانتفاء، وقد ذكر النبي ﷺ الحكم والتعليل، وأجاز بعضهم في السواد الشديد مع البياض الشديد، والورقة لون يميل إلى الغبرة كلون الرماد يسمى أورك، والجمع وُرُق، بضم الواو وسكون الراء.

واستدل به الأصوليون على العمل بالقياس؛ فإن النبي ﷺ حصل منه التشبيه لولد هذا الرجل المخالف للونه بولد الإبل المخالف لألوانها، وذكر العلة الجامعة وهي نزع العرق، إلا أنه تشبيه في أمر وجودي والذي حصلت المنازعة فيه: هو التشبيه في الأحكام الشرعية»^(١).



(١) «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (ص ٤١٥).

الحديث السادس والأربعون

٧٣١٥- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أَمْلِكٍ دِينَ أُكُنْتُ قَاضِيَتَهُ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: «اقضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في جزاء الصيد^(١) من رواية شيخه موسى بن إسماعيل، ولفظه: «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أُمِّي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أَمْلِكٍ دِينَ أُكُنْتُ قَاضِيَةً؟ اقضوا الله؛ فالله أحق بالوفاء».

* الكلام على الحديث:

ش/ قلت: فشاهد الترجمة من الحديث بروايته هو تشبيه النبي ﷺ

(١) باب: الحج والنذور عن الميت، والرجل يحج عن المرأة (٣/ ١٨) رقم (١٨٥٢).

دين الله وكانت تجهل قضاءه بدين المخلوق وهو ما تعلم قضاءه، والعلة أن الكل دينٌ يجب وفاؤه، ألا تراه ﷺ قال: «أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم، فقال: اقضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء».



[الباب الثالث عشر]

بَابُ مَا جَاءَ فِي اجْتِهَادِ الْقَضَاةِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْلِهِ :

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

وَمَدَحَ النَّبِيِّ ﷺ صَاحِبَ الْحِكْمَةِ حِينَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا لَا يَتَّكِلُفُ مِنْ قِبَلِهِ، وَمُشَاوَرَةَ الْخُلَفَاءِ وَسُؤَالِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ.

* شرح الترجمة:

ومناسبة هذه الترجمة لكتاب الاعتصام تظهر في خمسة أمور:

الأول: ما جاء في اجتihad القضاة بما أنزل الله، يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾^(١)، وقد مضى تفسيرها في الباب الثامن، وحديث: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران...» الحديث، ويأتي الكلام عليه في باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ^(٢).

الثاني: آية المائدة قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) [النساء: ١٠٥].

(٢) الباب الحادي والعشرون.

الظَّالِمُونَ ﴿ وهذه الآية مرتبطة بما قبلها وما بعدها، وقد استوفينا شرح هذا السياق في التفسير^(١).

الثالث: في قوله: «مدح النبي ﷺ صاحب الحكمة حين يقضي بها ويعلمها»، وفيه حديث ابن مسعود ؓ وهو الأول في الباب.

الرابع: في قوله: «لا يتكلف من قبله»:

«واختلف في ضبط قبله، فلأكثر بفتح الموحدة بعد القاف المكسورة؛ أي: من جهته. وللكشمية بتحتانية ساكنة بدل الموحدة؛ أي: من كلامه، وعند النسفي من قبل نفسه^(٢).

ش/ قلت: وأولى هذه المعاني عندي آخرها؛ لما سيظهر بعد من شرح حديث عمر ؓ.

الخامس: قوله: «ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم» يشير رَحِمَهُ اللهُ إلى ثاني حديثي الباب، وفيه قصة عمر ؓ.



(١) باب: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾.

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٢٩٩).

الحديث السابع والأربعون

٧٣١٦- حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا إِبرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».

* التخریج:

أخرجه في مواضع:

الأول: في العلم^(١) من طريق شيخه الحميدي وهو عبد الله بن الزبير.

الثاني: في الزكاة^(٢) من طريق شيخه محمد بن المشني.

الثالث: في الأحكام^(٣) من طريق شهاب بن عباد.

(١) باب: الاغتباط في العلم والحكمة (٢٥ / ١) رقم (٧٣).

(٢) باب: إنفاق المال في حقه (١٠٨ / ٢) رقم (١٤٠٩).

(٣) باب: أجر من قضى بالحكمة (٦٢ / ٩) رقم (٧١٤١).

وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها^(١) من طريق شيخه أبي بكر ابن أبي شيبة.

* الكلام على الحديث:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين» قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي، ومجازي.

فالحقيقي: تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة.

وأما المجازي: فهو الغبطة، وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة.

والمراد بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين، وما في معناه^(٢).

ش/ قال مقيده: ونحن لا نوافق النووي رَحِمَهُ اللهُ على تفسير ما سماه بالمجازي من أنواع الحسد، وقد ظهر لك أن الحسد منه ما هو محمود ومنه

(١) باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعلم بها وعلمها (٥٥٨/١) رقم (٨١٥).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٩٧).

ما هو مذموم، وعرفت كلاً منهما، فالمحمود طاعةٌ وسنة، والمذموم فسق
تُنزه عنه سنة محمد ﷺ، وبهذا يظهر شاهد الحديث للترجمة.



الحديث الثامن والأربعون

٧٣١٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ إِمْلَاصٍ ^(١) الْمَرَأَةِ، هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بَطْنُهَا فَتُلْقِي جَنِينًا، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «فِيهِ غُرَّةٌ» ^(٢) عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَجِئْتَنِي بِالْمَخْرَجِ فِيمَا قُلْتَ، فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَجِئْتُ بِهِ، فَشَهِدَ مَعِيَ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «فِيهِ غُرَّةٌ» عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ تَابِعَهُ ابْنُ أَبِي الزُّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ.

* التخریج:

(١) الإملاص: «هو أن تزلق الجنين قبل وقت الولادة. وكل ما زلق من اليد فقد ملص وأملص وأملصته أنا». «النهاية في غريب الحديث والأثر»، مادة (ملص).

(٢) الغرة: العبد نفسه أو الأمة، وأصل الغرة: البياض الذي يكون في وجه الفرس، وكان أبو عمرو ابن العلاء يقول: الغرة عبد أبيض أو أمة بيضاء وسمي غرة لبياضه فلا يقبل في الدية عبد أسود ولا جارية سوداء، وليس ذلك شرطاً عند الفقهاء؛ وإنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية. في الهروي واللسان: الغرة من العبيد الذي يكون ثمنه عشر الدية من العبيد والإماء. وإنما تجب الغرة في الجنين إذا سقط ميتاً، فإن سقط حياً ثم مات ففيه الدية كاملة. «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة (غرر).

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الديات^(١) من رواية شيخه موسى بن إسماعيل.

الثاني: في الديات أيضًا من رواية شيخه عبيد الله بن موسى، عن هشام، عن أبيه: أن عمر نشد الناس: من سمع النبي ﷺ قضى في السقط؟ فقال المغيرة: أنا سمعته قضى فيه بغرة عبد أو أمة. قال: ائت من يشهد معك على هذا. فقال محمد بن مسلمة: أنا أشهد على النبي ﷺ بمثل هذا^(٢).

* الكلام على الحديث:

ش / قال مقيدته: وشاهد الحديث للترجمة يظهر من خلال فوائد:

الأولى: سؤال عمر ؓ من حضر مجلسه عما حفظوه عن النبي ﷺ في إملاص المرأة.

الثانية: في إخبار المغيرة ؓ أمير المؤمنين بما سمعه عن النبي ﷺ في هذا الأمر.

الثالثة: شدة أمير المؤمنين عمر ؓ في تحري الحق، ألا تراه طلب من المغيرة ؓ من يشهد له فقال: «لا تبرح حتى تجيئني بالمخرج فيما قلت». وليس ردًا منه ؓ لشهادة المغيرة ؓ على ما قال، ولكن أراد عمر وهو

(١) باب: جنين المرأة (١١/٩) رقم (٦٩٠٥).

(٢) كتاب الديات، باب: جنين المرأة (١١/٩) رقم (٦٩٠٥).

الخليفة والإمام الأعظم في وقته أن يستثبت من هذه الشهادة حتى يزداد قوة في الحكم في هذه المسألة.

واعلم أن منكرة الاحتجاج بخبر الواحد جعلوا من هذه القصة دليلاً لهم.

والجواب إضافة على ما قلناه: أن شهادة محمد بن مسلمة رضي الله عنه للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه لدى الخليفة رضي الله عنه لم يخرج بها الحديث عن كونه آحاداً، وبحث هذه المسألة بالتفصيل في كتب مصطلح الحديث.

واعلم أن الحكم في الإملاص بغرة عبد أو أمة صح عن النبي ﷺ برواية أبي هريرة رضي الله عنه ولفظ الحديث: أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقضى: أن دية ما في بطنها غرة عبد أو أمة، فقال ولي المرأة التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يطل! فقال النبي ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان»^(١).

فاحرص يا من ابتليت بالحكم بين الناس على تقريب أهل العلم والفضل منك ومشاورتهم حين تنزل بك نازلة خفي عليك حكمها، فإن هذا أسلم لك في دينك وأبرأ لذمتك وأحوط لك فيما تحكم به بين عباد الله، فإن

(١) كتاب الطب، باب: الكهانة (٧/١٣٥) رقم (٥٧٥٨).

من حكم بدليلٍ من آية محكمة أو حديث صريح صحيح فقد اعتصم بالسنة
وسلك سبيل النجاة.

ومن سلك ذات اليمين وذات الشمال من بُنيات الطريق فقد جَارَ
وبدَّل، وارتكس في الجور والظلم والبدعة.



[الباب الرابع عشر]

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»

* شرح الترجمة:

ومقصود هذه الترجمة ظاهرٌ وهو صريح حديثها، وإيضاحه أن رسول الله ﷺ حذّر من مسلك الكفار من الأمم الماضية، وهذا من أعلام نبوته ﷺ كما سننقل بعد - إن شاء الله تعالى -.



الحديث التاسع والأربعون

٧٣١٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخَذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ».

* الكلام على الحديث:

«(الأخذ) بفتح الألف وسكون الخاء على الأشهر هو السيرة، يقال أخذ فلان بأخذ فلان: أي سار بسيرته، وما أخذ أخذه: أي ما فعل فعله ولا قصد قصده، وقيل: الألف مثلثة، وقرأه بعضهم (أخذ) بفتح الخاء، جمع أخذة بكسر أوله مثل كسرة وكسر، ووقع في رواية الأصيلي على ما حكاه ابن بطال: (بما أخذ القرون) بموحدة و(ما) الموصولة، و(أخذ) بلفظ الفعل الماضي وهي رواية الإسماعيلي، وفي رواية النسفي (مأخذ) بميم مفتوحة وهمزة ساكنة.

«والقرون» جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء، الأمة من الناس، ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق عبد الله بن نافع عن بن أبي ذئب:

«الأمم والقرون»^(١).

قوله: «شبرًا بشبر وذراعًا بذراع» في رواية الكشميهني: «شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا».

قوله: «فقيّل؛ يا رسول الله» في رواية الإسماعيلي من طريق عبد الصمد ابن النعمان عن ابن أبي ذئب: «فقال رجل» ولم أقف عليه مسمى.

قوله: «كفارس والروم»؛ يعني: الأمتين المشهورتين في ذلك الوقت وهم الفرس في ملكهم كسرى، والروم في ملكهم قيصر^(٢).
ش / قلت: فالأولى مجوسية، والثانية نصرانية.

«وفي رواية الإسماعيلي المذكورة: «كما فعلت فارس والروم».

قوله: «ومن الناس إلا أولئك»؛ أي: فارس والروم لكونهم كانوا إذ ذاك أكبر ملوك الأرض وأكثرهم رعية وأوسعهم بلادًا^(٣). اهـ
ش / والشاهد منه تحذير النبي ﷺ من مسلك هاتين الأمتين؛ لأنهما كافرتان.

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (١٤ / ٤٠٤) رقم (٨٨٠٥)، قال محققه: صحيح، وهذا إسناده حسن. سريج: هو ابن النعمان، وعبد الله بن نافع: هو الصائغ، وابن أبي ذئب: هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة.

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٣٠٠).

(٣) المصدر السابق.

الحديث الخمسون

٧٣٢٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الصَّنْعَانِيُّ، مِنَ الْيَمَنِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟!».

* التخریج:

أخرجه المصنف في أحاديث الأنبياء^(١) من رواية شيخه سعيد بن أبي مريم بلفظ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلکوا جحر ضبً لسلکتموه...» الحديث.

* الكلام على الحديث:

ش / «(السنن): بفتح السين والنون وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي

(١) باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (٤/ ١٦٩) رقم (٣٤٥٦).

والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ؛ فقد وقع ما أخبر به ﷺ^(١).

قال مقيده: فبان بهذا كله شاهد الترجمة من الحديثين وهو أن رسول الله ﷺ حذر كل مسلم ومسلمة من مشابهة الكفار، وسلوك مسلكهم، سواء كان أولئك الكفار أهل كتاب أو وثنيين.

وذكره ﷺ هذه الطوائف فارس والروم واليهود والنصارى ليس على سبيل الحصر، بل هو على سبيل التمثيل؛ لأن أولئك الأمم في ذلك الوقت هي المشهورة.

فاحذر من مشابهة الشيوعيين والعلمانيين والملاحدة، ولا يغرنك أن بعض مبادئهم روجها في بلاد الإسلام المولعون بأولئك الكفار المشبعة قلوبهم بإعجابهم وتعظيمهم؛ فإن أولئك وإن كانوا مسلمين فهم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، فاحذر الكفار ومقلديهم، واعتصم بالسنة.

* فائدة نفيسة:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، وليصلين

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٦ / ٢١٩).

النساء وهن حيض، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، وحذو النعل بالنعل، لا تخطئون طريقهم ولا يُخطئَنَّكم، حتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة، فتقول إحداهما: ما بال الصلوات الخمس؛ لقد ضل من كان قبلنا؛ إنما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ﴾^(١) لا تصلوا إلا ثلاثاً، وتقول الأخرى: إيمان المؤمنين بالله كإيمان الملائكة ما فينا كافر ولا منافق، حقُّ على الله أن يحشرهما مع الدجال.

أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي^(٢).

ش/ قال مقبده: وهذا الحديث وإن كان موقوفاً فله حكم المرفوع؛ لأنه ليس فيه مجال للرأي ولا للاجتهاد.



(١) [هود: ١١٤].

(٢) مستدرک الحاكم، کتاب الفتن والملاحم (٥١٦/٤) رقم (٨٤٤٨).

[الباب الخامس عشر]

بَابُ إِثْمٍ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]

الآية.

* شرح الترجمة:

ومقصود هذه الترجمة يظهره ما يأتي:

أولاً: حديث جرير رضي الله عنه: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»^(١) وشرحه مستوفى في الكتاب الآخر^(٢).

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمر، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢/ ٧٠٤) رقم (١٠١٧).

(٢) كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة على ذوي الحاجة، وأجر من سن فيها سنة حسنة.

عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(١).

فكلا الحديثين نص في التحذير من فتح باب الضلالة على أهل الإسلام، وأن من فعل ذلك عليه مثل ما على الضالين بسببه من الآثام.

الثالث: قوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية.

والآية تامة: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾^(٢).

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم إلا ما دعوهم إليه، فيحملون إثم ما دعوهم إليه، وأما الذين يعلمون فكل مستقل بجرمه، لأنه عرف ما عرفوا ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾؛ أي: بش ما حملوا من الوزر المثلقل لظهورهم، من وزرهم ووزر من أضلوه»^(٣).

* سؤال والجواب عنه:

وإن قال أحد من الناس يعارض آية الترجمة هذه آية النجم: ﴿أَلَا نَزُرُ وَأَزِرُهُ وَزَرَ آخَرَى﴾^(٤) فكيف يدفع هذا التعارض؟

(١) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة

(٢/٤) (٢٠٦٠) رقم (٢٦٧٤).

(٢) [النحل: ٢٥].

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٤٣٨).

(٤) [النجم: ٣٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحملها عنها أحد، كما قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^(١)»^(٢).

ش/ قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له ولوالديه وللمن كتب له وأعانته - :
أظنه ظهر لك ألا تعارض بين الآيتين؛ فأية الترجمة فيمن يدعو غيره إلى ضلالتة، وآية النجم هذه فيمن يكتسب الضلالة بنفسه ولم يدع غيره إليها.

ويزيد هذا وضوحاً آية فاطر التي ذكرها ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ ضمن تفسيره لآية النجم، والله أعلم.



(١) [فاطر: ١٨].

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٧ / ٤٦٥).

الحديث الحادي والخمسون

٧٣٢١- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابنِ مُرَّةٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ
ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ»^(١) مِنْهَا - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دِمِهَا -
لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الديات^(٢) من طريق شيخه قبيصة، ولفظه: «لا تُقتل نفس
إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها».

(١) الكفل بالكسر: الحظ والنصيب. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، مادة (كفل).

قلت: ويستعمل في الخير والشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨].

وفي الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

(٢) باب: قوله تعالى: ﴿رَمَنَ أَخْيَاهَا﴾ (٣/٩) رقم (٦٨٦٧).

ش / قلت: فهذه مطلقة ورواية الباب مقيدة فتحمل هذه على تلك.

الثاني: في أحاديث الأنبياء^(١) من طريق شيخه عمر بن حفص بن غياث ولفظه: «لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل». وأخرجه مسلم بهذا في القسامة والمحاريب والقصاص والديات^(٢).

* الكلام على الحديث:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو أن كل من ابتدع شيئًا من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة»^(٣).

ش / قال مقيدته: وحاصل هذا وما ذكر قبل وهو شاهد الترجمة تحذير المسلم من الاعتداء على النفوس ظلمًا.

فاحذر أيها الحازم في أمره والناصح لنفسه من البغي في الأرض بغير الحق من الدعاء إلى الضلالة وفتح أبواب الشر على أهل الإسلام؛ فإنك إن فعلت ذلك لم تكن معتصمًا بالسنة، بل مرتكسًا في الضلالة والانحراف.

(١) باب: خلق آدم - صلوات الله عليه - وذريته (٤/ ١٣٣) رقم (٣٣٣٥).

(٢) باب: بيان إثم من سنَّ القتل (٣/ ١٣٠٣) رقم (١٦٧٧).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١١/ ١٦٦).

واعلم أن الله ﷻ يمهّل ولا يهمل؛ قال ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾»^(١).



(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (٧٤/٦) رقم (٤٦٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم (١٩٩٧/٤) رقم (٢٥٨٣).

[الباب السادس عشر]

بَابُ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَحَضَّ عَلَى اتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْحَرَمَانِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَمَا كَانَ بِهَا مِنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمُصَلَّى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمَنْبَرِ وَالْقَبْرِ

* شرح الترجمة:

في هذه الترجمة التنبيه إلى ستة أمور هي من سنته ﷺ:

الأول: قوله: «ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم»:

فيه الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١).

قال السعدي رحمه الله: «أي: ومن يخالف الرسول ﷺ ويعانده فيما جاء

به ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وسيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم

﴿تُولِهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوقفه للخير،

لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزأوه من الله عدلاً أن يبقيه في ضلاله
حائراً ويزداد ضلالاً إلى ضلاله.

كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٢).

ويدل مفهومها على أن من لم يشاقق الرسول ويتبع سبيل المؤمنين،
بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه
من الذنوب أو الهم بها ما هو من مقتضيات النفوس وغلبات الطباع، فإن الله
لا يوليه نفسه وشيطانه بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من
السوء، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٣)؛ أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه
السوء، وكذلك كل مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل.

وقوله: ﴿وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: نعذبه فيها عذاباً عظيماً.

﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾؛ أي: مرجعاً له ومآلاً.

وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها

(١) [الصف: ٥].

(٢) [الأنعام: ١١٠].

(٣) [يوسف: ٢٤].

إلا الله بحسب حالة الذنب صغراً وكبراً، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان»^(١). اهـ

ش/ قال مقيدته: وفي الحديث الصحيح بمجموع طرقه: «إن الله لا يجمع أمتي -أو قال: أمة محمد ﷺ- على ضلالة»^(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال عقبه: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان، وقد روى عنه أبو داود الطيالسي وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم.

قال أبو عيسى: وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هو أهل الفقه والعلم والحديث.

قال: وسمعت الجارود بن معاذ يقول: سمعت علي بن الحسين يقول: سألت عبد الله بن المبارك: من الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر، قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان، فقال عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة.

قال أبو عيسى: وأبو حمزة هو محمد بن ميمون، وكان شيخاً صالحاً، وإنما قال هذا في حياته عندنا». وصححه الألباني.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٢٠٢).

(٢) سنن الترمذي كتاب الفتن، باب: لزوم الجماعة (٤/٤٦٦) رقم (٢١٦٧)، و«صحيح وضعيف سنن الترمذي» رقم (٢١٦٧).

ش / ومعرفة الهدى على الوجه الصحيح هي ما أجمع عليه أهل العلم والإيمان من هذه الأمة، فاتباع ما أجمعوا عليه سنة وهدى، ومخالفتهم بدعة وضلالة، وفي الحديث والآية قبله دليل على أن الإجماع حجة.

الثاني: قوله: «وما أجمع عليه الحرمان مكة والمدينة»:

فيه حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: «كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف، فلما كان آخر حجة حجها عمر» الحديث، وسيأتي برقم ثلاثة وخمسين.

الثالث: قوله: «وما كان بها من مشاهد النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار»:

وفيه حديث أنس رضي الله عنه ولفظه: «حالف النبي ﷺ بين الأنصار وقريش في داري التي بالمدينة» وسيأتي برقم سبعين.

وحديث ابن عمر رضي الله عنه: «أتاني الليلة آت من ربي، وهو بالعقيق» وسيأتي برقم اثنين وسبعين.

وحديث: «وَقَّت النبي ﷺ: قرنا لأهل نجد» الحديث وسيأتي برقم ثلاثة وسبعين.

الرابع: قوله: «ومصلى النبي ﷺ»:

المراد بالمصلى هو مصلى العيد، وفيه حديث عبد الرحمن بن عباس، قال: سئل ابن عباس: أشهدت العيد مع النبي ﷺ؟ الحديث، وسيأتي برقم خمسة وخمسين.

الخامس: قوله: «والمنبر»:

وفيه أحاديث:

ومنها: حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «سمعت عمر على منبر النبي ﷺ»
وسياتي برقم سبعة وستين.

وحديث السائب بن يزيد: «سمع عثمان بن عفان خطبنا على منبر
النبي ﷺ»، وسياتي برقم ثمانية وستين.

السادس: قوله: «والقبر»:

وفيه حديث عائشة رضي الله عنها، قالت لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه: «ادفني مع
صواحيبي» الحديث وسياتي برقم سبعة وخمسين.

وحديث عروة: «أن عمر أرسل إلى عائشة: ائذني لي أن أدفن مع
صاحبي» الحديث وسياتي برقم ثمانية وخمسين.



الحديث الثاني والخمسون

٧٣٢٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّلْمِيِّ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعْكٌ بِالْمَدِينَةِ، فَجَاءَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْلِنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقْلِنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقْلِنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبْثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا».

❖ التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في فضائل المدينة^(١) من رواية شيخه عمرو بن عباس ولفظه: «جاء أعرابي النبي ﷺ فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محمومًا فقال: أقلني، فأبى ثلاث مرار، فقال: المدينة كالكبير، تنفي خبثها وينصع طيبها».

الثاني: في الأحكام^(٢) من رواية شيخه عبد الله بن مسلمة.

(١) باب: المدينة تنفي الخبث (٣/ ٢٢) رقم (١٨٨٣).

(٢) باب: بيعة الأعراب (٩/ ٧٩) رقم (٧٢٠٩).

الثالث: في الأحكام أيضًا من رواية شيخه عبد الله بن يوسف^(١) وأبي نعيم^(٢).

وأخرجه مسلم في الحج^(٣) من رواية شيخه يحيى بن يحيى.
* الكلام على الحديث:

ش / فالشاهد من هذا الحديث يظهر من أمرين:

الأول: أن من بايع على الإسلام ثم طلب الإقالة لا تجوز إقالته؛ لأنه بهذا العمل يرتد عن دين الله، فإقالته إقرار له على رده.

الثاني: في قوله ﷺ: «إنما المدينة كالكير، تنفي خبثها، وينصح طيبها» وهذا بيان لفضل المدينة، وحث كل صاحب سنة أن يصبر على ما يلقاه فيها من المرض والضيق.

وأحاديث الترغيب في سكنى المدينة والتحذير من الرغبة عنها مستوفى في الكتاب الآخر^(٤).



(١) باب: من بايع ثم استقال البيعة (٧٩/٩) رقم (٧٢١١).

(٢) باب: من نكث البيعة (٨٠/٩) رقم (٧٢١٦).

(٣) باب: المدينة تنفي خبثها (١٠٠٦/٢) رقم (١٣٨٣).

(٤) كتاب الحج، من باب: الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها إلى باب: في مسجد قباء وفضله.

الحديث الثالث والخمسون

٧٣٢٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَقْرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ حَجَّةِ حَجَّهَا عُمَرُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمَنَى: لَوْ شَهِدْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَاهُ رَجُلٌ قَالَ: إِنَّ فُلَانًا يَقُولُ: لَوْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَبَايَعْنَا فُلَانًا، فَقَالَ عُمَرُ: «لَأَقُومَنَّ الْعَشِيَّةَ، فَأَحْذَرُ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ»، قُلْتُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ، يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ، فَأَخَافُ أَلَّا يُنْزِلُوهَا عَلَيَّ وَجْهَهَا فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ، فَأَمِيلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةُ دَارَ الْهَجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ وَيُنْزِلُوهَا عَلَيَّ وَجْهَهَا، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ فِيهِمَا أَنْزَلَ آيَةَ الرَّجْمِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في الحدود^(١) من رواية شيخه عبد العزيز بن عبد الله بلفظ أتم وفيه: «ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترون امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه، تغرة أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهم، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلاً صالحاً، فذكروا ما تملاً عليه القوم، فقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالوا: لا عليكم ألا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم.

فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عباد، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله.

ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا،

(١) باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (٨/١٦٨) رقم (٦٨٣٠).

وأن يحضنونا من الأمر.

فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم، قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري، إلا قال في بديته مثلها أو أفضل منها حتى سكت. فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن.

فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش.

فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار.

وأخرجه مسلم في الحدود^(١) من رواية شيخه أبي الطاهر، وحرمله بن

يحيى.

(١) باب: رجم الثيب بالزنا (٣/١٣١٧) رقم (١٦٩١).

* الكلام على الحديث:

ش / وشاهد الحديث للترجمة تظهرها فوائده ومنها:

الأولى: فقه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وذلك فيما أشار به علي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تأخير مقاله عن أهل الموسم؛ لأن فيهم الهمج الرعاع والغوغاء، إلى حين يقدم المدينة وهناك من يحفظ مقاله ويضعها موضعها من المهاجرين والأنصار.

الثانية: قبول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه المشورة.

الثالث: تقديم درء المفسد علي جلب المصالح إذا ترجح ذلك، ومرده إلى الشرع لا إلى العقل المجرد.

الرابعة: اجتماع المهاجرين والأنصار علي مبايعة الصديق رضي الله عنه بالخلافة، وهذا صريح في رواية عبد العزيز بن عبد الله.



الحديث الرابع والخمسون

٧٣٢٤- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ، فَتَمَخَّطُ، فَقَالَ: «بَخْ بَخْ، أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِي الْكَتَّانِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لِأَخْرُ فِيمَا بَيْنَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَيَّ عُنُقِي، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ».

* التخریج:

أخرجه الترمذي في الزهد^(١) عن محمد بن سيرين قال: «كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط في أحدهما ثم قال: بخ بخ يتمخط أبو هريرة في الكتان، لقد رأيتني وإنني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة من الجوع مغشياً عليّ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى أن بي الجنون وما بي جنون، وما هو إلا الجوع».

(١) باب: معيشة أصحاب النبي ﷺ (٤/٥٨٣) رقم (٢٣٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف الترمذي» برقم (٢٣٦٧).

* الكلام على الحديث:

«قوله: «ثوبان ممشقان» بفتح الشين المعجمة الثقيلة بعدها قاف؛ أي: مصبوغان بالمشق بكسر الميم وسكون المعجمة وهو الطين الأحمر...

قوله: «وإني لأخر ما بين المنبر والحجرة» هو مكان القبر الشريف.

وقال ابن بطال: عن المهلب: وجه دخوله في الترجمة الإشارة إلى أنه لما صبر على الشدة التي أشار إليها من أجل ملازمة النبي ﷺ في طلب العلم جوزي بما انفرد به من كثرة محفوظه ومنقوله من الأحكام وغيرها، وذلك ببركة صبره على المدينة^(١).

ش/ قال عبيد: وقائل «بخ بخ أبو هريرة يتمخط» يحتمل أنه محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ، ويحتمل أنه أبو هريرة رَحِمَهُ اللهُ.

وشاهد الترجمة من الحديث: هو صبر أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ على ما لقيه من شدة الجوع من أجل ملازمته النبي ﷺ للتعلم عليه والعمل بسنته، وفي هذا أسوة حسنة لكل مسلم بملازمة أهل العلم للتعلم عليهم.



(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣٠٧).

الحديث الخامس والخمسون

٧٣٢٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَشْهَدَتِ الْعِيدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَوْلَا مَنْزِلَتِي مِنْهُ، مَا شَهِدْتُهُ مِنَ الصَّغَرِ، «فَأَتَى الْعَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ وَلَمْ يَذْكُرْ أَذَانًا وَلَا إِقَامَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ» فَجَعَلَ النِّسَاءُ يُشِيرْنَ إِلَى آذَانِهِنَّ وَحُلُوقِهِنَّ، «فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَتَاهُنَّ»، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع منها:

الأول: في العلم^(١) من رواية شيخه سليمان بن حرب.

الثاني: في الأذان^(٢) من رواية شيخه عمرو بن علي.

الثالث: في العيدين^(٣) من رواية شيخه عمرو بن عباس.

(١) باب: عظة الإمام النساء وتعليمهن (٣١/١) رقم (٩٨).

(٢) باب: وضوء الصبيان، ومتى يجب عليهم الغسل والطهور، وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز، وصفوفهم (١٧٢/١) رقم (٨٦٣).

(٣) باب: خروج الصبيان إلى المصلى (٢١/٢) رقم (٩٧٥).

الرابع: في النكاح^(١) من رواية شيخه أحمد بن محمد.

وأخرجه مسلم في العيدين^(٢) من طريق شيخه أبي بكر بن أبي شيبة.

* الكلام على الحديث:

ش/ وشرحه في الكتاب الآخر^(٣).

والشاهد منه: الدليل على أنه لا أذان ولا إقامة في العيدين، وأن الخطبة

بعد الصلاة، وعليه فإن من أذن وأقام في العيدين فقد أتى ببدعة.



(١) باب: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَرْغَبُوا مِنَ الْمَلِكِ مِنْكُمْ﴾ (٤٠ / ٧).

(٢) قال: باب (٢ / ٦٠٢) رقم (٨٨٤).

(٣) كتاب الصلاة، العيدين، باب: صلاة العيدين قبل الخطبة.

الحديث السادس والخمسون

٧٣٢٦- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ
ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِي قُبَاءَ مَاشِيًا وَرَاكِبًا».

* التخریج:

أخرجه المصنف في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة من طريق
شيخه موسى بن إسماعيل ^(١)، وأخرجه أيضًا من طريق شيخه مسدد ^(٢).
وأخرجه مسلم من رواية شيخه زهير بن حرب ^(٣)، ومن رواية شيخه
ابن أبي عمر ^(٤).

* الكلام على الحديث:

ش / وشاهد الترجمة: أن من فضائل المدينة فضل مسجد قباء، فيُسَنُّ

(١) باب: من أتى مسجد قباء كل سبت (٦١/٢) رقم (١١٩٣).

(٢) باب: إتيان مسجد قباء ماشيًا وراكبًا (٦١/٢) رقم (١١٩٤).

(٣) باب: فضل مسجد قباء، وفضل الصلاة فيه، وزيارته (١٠١٧/٢) رقم (١٣٩٩).

(٤) المصدر السابق نفسه.

تعاهده بالزيارة والصلاة فيه تأسيساً بالنبي ﷺ، وهذا من الاعتصام بالسنة،
والحديث مستوفى شرحه في الكتاب الآخر^(١).



(١) كتاب الحج، باب: في مسجد قباء وفضله.

الحديث السابع والخمسون

٧٣٢٧- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: «ادْفِنِّي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَدْفِنِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُزَكَّى».

* التخریج:

أخرجه المصنف في الجنائز^(١) عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أنها أوصت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: «لا تدفني معهم وادفني مع صواحيبي بالبقيع لا أزكى به أبداً».

* الكلام على الحديث:

ش/ والحديث دليل على تواضع الصديقة وكراهيتها للتركية؛ ولهذا أوصت ابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بما أوصته به، وهذا هو شاهد الحديث للترجمة.

(١) باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما (١٠٣/٢) رقم (١٣٩١).

وفيه دليل على أنه يجب على المسلم أن يبتعد قدر المُكَنَّة عن تزكية
الغير له؛ حتى لا يقع في الإطراء والغلو في المدح.



الحديث الثامن والخمسون

٧٣٢٨- وَعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ: ائْذِنِي لِي أَنْ أُدْفِنَ مَعَ صَاحِبِي، فَقَالَتْ: «إِي وَاللَّهِ»، قَالَ: وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَتْ: «لَا وَاللَّهِ، لَا أُؤْثِرُهُمْ بِأَحَدٍ أَبَدًا».

* التخریج:

أخرجه المصنف في الجنائز^(١) من رواية شيخه قتيبة عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: «رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي، قالت: كنت أريده لنفسه فلاؤثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين...» الحديث.

* الكلام على الحديث:

ش/ وشاهد الحديث للترجمة: هو في توقير الصديقة رضي الله عنها أمير

(١) باب: ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما (١٠٣/٢) رقم (١٣٩٢).

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واحترامها له؛ إذ أجابته إلى طلبه منها أن
يدفن في حجرتها مع النبي صلى الله عليه وآله وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت لا تحب أن
تؤثر بذلك على نفسها أحدًا من الناس.

وهذا تنبيه إلى وجوب احترام ولي الأمر من المسلمين وتوقيره، فلا تغتر
أيها الناصح لنفسه الحازم في أمره بما يصدع به أهل الشطط من السخرية
والتهكم بولي الأمر والنيل منه علناً؛ فإن ذلك من سمات أهل الهوى.



الحديث التاسع والخمسون

٧٣٢٩- حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ، فَيَأْتِي الْعَوَالِي وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةً»، وَزَادَ اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ: وَبَعْدُ الْعَوَالِي أَرْبَعَةً أَمْيَالٍ أَوْ ثَلَاثَةً.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواقيت الصلاة من طريق شيخه أبي اليمان^(١)، ومن طريق شيخه عبد الله بن يوسف^(٢).

وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة^(٣) من طريق شيخه قتيبة بن سعيد ومحمد بن ربح.

* الكلام على الحديث:

ش / والحديث دليل على أنه من هديه ﷺ الذي يجب أن يقتدي به كل

(١) باب: وقت العصر (١١٥/١) رقم (٥٥٠).

(٢) باب: وقت العصر (١١٥/١) رقم (٥٥١).

(٣) باب: استحباب التبكير بالعصر (٤٣٣/١) رقم (٦٢١).

مسلم: التبكير بصلاة العصر في أول وقتها.

وفي الكتاب العزيز: ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١)؛ يعني: مفروضاً في الأوقات.

فحرص المسلم على أداء الصلاة في وقتها اقتداءً برسول الله ﷺ هو من الاعتصام بالسنة، وهذا هو شاهد الترجمة من الحديث، وشرحه في الكتاب الآخر^(٢).



(١) [النساء: ١٠٣].

(٢) كتاب الصلاة، باب: أول وقت صلاة العصر.

الحديث الستون

٧٣٣- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ الْجُعَيْدِ، سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ، يَقُولُ: «كَانَ الصَّاعُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مَدًّا وَثُلُثًا بِمُدِّكُمْ الْيَوْمَ، وَقَدْ زِيدَ فِيهِ» سَمِعَ الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ الْجُعَيْدَ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في كفارات الأيمان^(١) من رواية شيخه عثمان بن أبي شيبة بلفظ: «كان الصاع على عهد النبي ﷺ مدًّا وثلثًا بمدكم اليوم، فزيد فيه في زمن عمر بن عبد العزيز».

* الكلام على الحديث:

قال الحافظ رحمه الله: «في هذه الرواية: (مدًّا وثلثًا بمدكم اليوم)، وقع لبعضهم: (مد وثلث) وهو على طريق من يكتب المنصوب بغير ألف. وقال الكرمانی: أو يكون في (كان) ضمير الشأن فيرتفع على الخبر.

(١) باب: صاع المدينة، ومد النبي ﷺ وبركته، وما توارث أهل المدينة من ذلك قرنًا بعد قرن

ومناسبة هذا الحديث للترجمة: أن قدر الصاع مما اجتمع عليه أهل الحرمين بعد العهد النبوي واستمر، فلما زاد بنو أمية في الصاع لم يتركوا اعتبار الصاع النبوي فيما ورد فيه التقدير بالصاع من زكاة الفطر وغيرها، بل استمروا على اعتباره في ذلك وإن استعملوا الصاع الزائد في شيء غير ما وقع فيه التقدير بالصاع^(١).

وقال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: «وقد قيل: إن العرق يسع خمسة عشر صاعاً فأخذ في ذلك أن إطعام كل مسكين مدّاً؛ لأن الصاع أربعة أمداد، وقد صرفت هذه الخمسة العشر صاعاً إلى ستين مدّاً، وقسمة خمسة عشر إلى ستين برع فلكل مسكين ربع صاع، وهو مدٌّ»^(٢).

ش/ قال مقيده: فيتحصل مما نقلناه أمران:

الأول: مناسبة الحديث للترجمة، وهذا أبانه الحافظ رَحِمَهُ اللهُ بما لا مزيد عليه.

والثاني: أن الصاع أربعة أمداد، والظاهر أن هذا آخر ما استقر عليه الأمر لدى أهل الحرمين وغيرهم، وقد أشار إليه الحافظ بقوله: «فلما زاد بنو أمية في الصاع لم يتركوا اعتبار الصاع النبوي فيما ورد فيه التقدير بالصاع من زكاة الفطر وغيرها، بل استمروا على اعتباره في ذلك وإن استعملوا

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٣٠٩).

(٢) «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (ص ٢٧٤).

الصاع الزائد في شيء غير ما وقع فيه التقدير بالصاع».

ش / قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانه -:

والأخذ بما مضى عليه أهل الحرمين ومن معهم من المسلمين من غير

نكير سنة لا تشرب على من عمل بها بل هو الأحوط، والله أعلم.



الحديث الحادي والستون

٧٣٣١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكِّيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ»؛ يَعْنِي: أَهْلَ الْمَدِينَةِ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في عدة مواضع؛ منها:

الأول: في البيوع^(١) من طريق شيخه عبد الله بن مسلمة.

والثاني: الجهاد والسير^(٢) من طريق شيخه عبد العزيز بن عبد الله ولفظه: «خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعاً وبدا له أحد، قال: هذا جبل يحبنا ونحبه. ثم أشار بيده إلى المدينة، قال: اللهم إني أحرم ما بين لابتيها كتحریم إبراهيم مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومُدَّنَا».

(١) باب: بركة صاع النبي ﷺ ومُدَّه (٦٨/٣) رقم (٢١٣٠).

(٢) باب: فضل الخدمة في الغزو (٣٥/٤) رقم (٢٨٨٩).

الثالث: في الجهاد والسير^(١) أيضًا من رواية شيخه قتيبة بآتم من هذا، وفيه: فسرنا حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر إلى أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه، ثم نظر إلى المدينة فقال: اللهم إني أحرم ما بين لابتيها بمثل ما حرم إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم».

وأخرجه مسلم في الحج^(٢) من طريق شيخه قتيبة بن سعيد.

* الكلام على الحديث:

ش / ومناسبة الحديث للترجمة: في دعاء النبي ﷺ لأهل المدينة بالبركة في المد والصاع، وهذا من محبته ﷺ لها، وهو يستوجب على كل مسلم احترام المدينة وأهلها إلا بحق الإسلام، وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع، وانظر الكتاب الآخر^(٣).



(١) باب: من غزا بصبي للخدمة (٣٦/٤) رقم (٢٨٩٣).

(٢) باب: فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها

وشجرها، وبيان حدود حرمها (٢/٩٩٤) رقم (١٣٦٨).

(٣) كتاب الحج، باب: تحريم المدينة وصيدا وشجرها والدعاء لها.

الحديث الثاني والستون

٧٣٣٢- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ زَنِيَا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ تَوَضَّعُ الْجَنَائِزُ عِنْدَ الْمَسْجِدِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

الأول: في الجنائز^(١) من طريق شيخه إبراهيم بن المنذر.

الثاني: في المناقب^(٢) من طريق شيخه عبد الله بن يوسف ولفظه: «أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنِيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟ فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيَجْلِدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ؛ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ

(١) باب: الصلاة على الجنائز بالمصلّى والمسجد (٨٨/٢) رقم (١٣٢٩).

(٢) باب: قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤/

فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة».

الثالث: في الحدود من طريق شيخه محمد بن عثمان بن كرامة^(١)، ومن طريق شيخه إسماعيل بن عبد الله^(٢).

الرابع: في التوحيد^(٣) من طريق شيخه مسدد.

وأخرجه مسلم في الحدود^(٤) من طريق شيخه الحكم بن موسى أبي صالح.

وأخرج عن البراء بن عازب ؓ قال: «مر على النبي ﷺ يهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه،

(١) باب: الرجم في البلاط (٨/ ١٦٥) رقم (٦٨١٩).

(٢) باب: أحكام أهل الذمة وإحصانهم، إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام (٨/ ١٧٢) رقم (٦٨٤١).

(٣) باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله، بالعربية وغيرها (٩/ ١٥٨) رقم (٧٥٤٣).

(٤) باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا (٣/ ١٣٢٦) رقم (١٦٩٩).

وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾^(١)، يقول: اتوا محمداً ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢) في الكفار كلها^(٣).

ش/ ولا معارضة بين هذا وحديث الباب؛ لإمكان الجمع بينهما بالحمل على تعدد الواقعة، وفي كليهما دليل على وجوب إقامة الحد على الشريف والوضيع، وهذا هو الشاهد من حديث الباب للترجمة.



(١) [المائدة: ٤١].

(٢) [المائدة: ٤٧].

(٣) مسلم في الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا (٣/١٣٢٧) رقم (١٧٠٠).

الحديث الثالث والستون

٧٣٣٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرِو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَعَ لَهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا». تَابَعَهُ سَهْلٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحَدٍ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

الأول: في أحاديث الأنبياء^(١) من طريق شيخه عبد الله بن مسلمة.

الثاني: في المغازي^(٢) من طريق شيخه عبد الله بن يوسف.

وأخرجه مسلم في الحج^(٣) من طريق مشايخه يحيى بن أيوب، وقتيبة

(١) قال: باب (١٤٦/٤) رقم (٣٣٦٧).

(٢) باب: أحد يحبنا ونحبه (١٠٣/٥) رقم (٤٠٨٤).

(٣) باب: فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها

وشجرها، وبيان حدود حرمها (٩٩٣/٢) رقم (١٣٦٥).

ابن سعيد، وابن حجر.

* الكلام على الحديث:

ش / ومناسبة الحديث للترجمة ظاهرة، وانظر الحديث الحادي والستين.



الحديث الرابع الستون

٧٣٣٤- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ: «أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ جِدَارِ الْمَسْجِدِ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ وَبَيْنَ الْمِنْبَرِ مَمَرٌ الشَّاةُ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في الصلاة^(١) من طريق شيخه عمرو بن زرارة.
وأخرجه مسلم في الصلاة^(٢) من طريق شيخه يعقوب بن إبراهيم الدورقي.

وأخرج من حديث سلمة وهو ابن الأكوع أنه كان يتحرى موضع مكان المصحف يسبح فيه، وذكر: «أن رسول الله ﷺ كان يتحرى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة»^(٣).

(١) باب: قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة؟ (١٠٦/١) رقم (٤٩٦).

(٢) باب: دنو المصلي من السترة (٣٦٤/١) رقم (٥٠٨).

(٣) المصدر السابق رقم (٥٠٩).

* الكلام على الحديث:

ش / ومناسبة الحديث للترجمة: أن دنو المصلي من سترته من السنّة،
وانظر هذه المسألة في الكتاب الآخر^(١).



(١) كتاب الصلاة، باب: الدنو من السترة.

الحديث الخامس والستون

٧٣٣٥- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».

* التخريج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة^(١) من طريق شيخه مسدد.

الثاني: في فضائل المدينة^(٢) من طريق شيخه مسدد.

الثالث: في الرقاق^(٣) من طريق شيخه إبراهيم بن المنذر.

(١) باب: فضل ما بين القبر والمنبر (٦١/٢) رقم (١١٩٦).

(٢) باب: كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة (٢٣/٣) رقم (١٨٨٨).

(٣) باب: في الحوض (١٢١/٨) رقم (٦٥٨٨).

وأخرجه مسلم في الحج^(١) من طريق شيخه زهير بن حرب، ومحمد ابن المشني.

* الكلام على الحديث:

ش/ والشاهد من الحديث: تفضيل هذه البقعة من مسجد رسول الله ﷺ في طيبة، والحث على القصد إلى الصلاة فيها، وشرح الحديث في الكتاب الآخر^(٢).



(١) باب: ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (٢/١٠١١) رقم (١٣٩١).

(٢) كتاب الحج، باب: ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة.

الحديث السادس والستون

٧٣٣٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «سَبَقَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْخَيْلِ، فَأُرْسِلَتِ الَّتِي ضُمِرَتْ مِنْهَا، وَأَمَدَهَا إِلَى الْحَفِيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، وَالَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ أَمَدَهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ» وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ فِيْمَنْ سَابَقَ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الصلاة^(١) من طريق شيخه عبد الله بن يوسف.

الثاني: في الجهاد والسير^(٢) من طريق شيخه قبيصة ولفظه: «أجرى النبي ﷺ ما ضم من الخيل من الحفيا إلى ثنية الوداع، وأجرى ما لم يضم من الثنية إلى مسجد بني زريق»، قال ابن عمر: وكنت فيمن أجرى.

قال عبد الله: حدثنا سفيان، قال: حدثني عبيد الله، قال سفيان: بين الحفيا

(١) باب: هل يقال مسجد بني فلان؟ (٩١ / ١) رقم (٤٢٠).

(٢) باب: سبق بين الخيل (٣١ / ٤) رقم (٢٨٦٨).

إلى ثنية الوداع خمسة أميال أو ستة، وبين ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق ميل.

الثالث: أيضًا في الجهاد والسير^(١) من طريق شيخه أحمد بن يونس بلفظ: «أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي لم تضر، وكان أمدها من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأن عبد الله بن عمر كان سابق بها».

الرابع: أيضًا في الجهاد والسير^(٢) من طريق شيخه عبد الله بن محمد. وأخرجه مسلم في الإمارة^(٣) من طريق شيخه يحيى بن يحيى التميمي.

* الكلام على الحديث:

قوله: «أمدها»:

قال ابن الأثير: «للإنسان أمدان: مولده وموته، والأمد: الغاية»^(٤).

ش / قلت: وفي الكتاب العزيز: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾^(٥).

قوله: «ثنية الوداع»:

«بفتح الواو وهو اسم من التوديع عند الرحيل: وهي ثنية مشرفة على

(١) باب: إضمار الخيل للسبق (٣١ / ٤) رقم (٢٨٦٩).

(٢) باب: غاية سبق للخيل المضمرة (٣١ / ٤) رقم (٢٨٧٠).

(٣) باب: المسابقة بين الخيل وتضميرها (١٢٩١ / ٣) رقم (١٨٧٠).

(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة (أمد).

(٥) [الجن: ٢٥].

المدينة يطؤها من يريد مكة.

واختلف في تسميتها بذلك، فقليل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، وقيل: لأن النبي ﷺ ودّع بها بعض من خلفه بالمدينة في آخر خرجاته، وقيل في بعض سراياه المبعوثه عنه، وقيل: الوداع اسم وادٍ بالمدينة، والصحيح: أنه اسم قديم جاهلي، سمي لتوديع المسافرين^(١).

قوله: «الحفيا»:

«بالفتح ثم السكون، وياء، وألف ممدودة: موضع قرب المدينة أجرى منه رسول الله ﷺ الخيل في السباق، قال الحازمي: «ورواه غيره بالفتح والقصر»، وقال البخاري^(٢): «قال سفيان: بين الحفيا إلى الثنية خمسة أميال أو ستة».

وقال ابن عقبة: «سته أو سبعة، وقد ضبطه بعضهم بالضم والقصر»، وهو خطأ، كذا قال عياض^(٣) ^(٤).

ش/ في الحديث دليل على أنه من السنة السباق بين الخيل، وأن يجعل لكل صنف منها أمداً له بداية ونهاية، وهذا هو شاهد الترجمة من الحديث.

(١) «معجم البلدان»، باب: الثاء والواو وما يليهما (٢ / ٨٦).

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب: السبق بين الخيل (٤ / ٣١) رقم (٢٨٦٨).

(٣) «إكمال المعلم» (٦ / ١٤٦).

(٤) «معجم البلدان» (٢ / ٢٧٦).

* فائدة في هذا الباب:

قال ابن قدامة: «تجوز المسابقة بغير جُعل في الأشياء كلها، ولا تجوز بجُعل إلا في الخيل والإبل والسهام؛ لقول رسول الله ﷺ: «لا سبق إلا في نصل أو خفٍّ أو حافر»^(١)؛ فإن كان الجعل من غير المستبقيين جاز»^(٢). اهـ من الحمدة.

والحديث صححه الألباني رحمه الله.



(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجهاد، باب: في سبق (٢٩/٣)
رقم (٢٥٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم (٢٣١٩).
(٢) «عمدة الفقه» (ص ٦٢).

الحديث السابع والستون

٧٣٣٧- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، ح وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عِيسَى، وَابْنُ إِدْرِيسَ، وَابْنُ أَبِي غَنِيَّةٍ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «سَمِعْتُ عُمَرَ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في التفسير^(١) من طريق شيخه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

الثاني: في الأشربة^(٢) من طريق شيخه مسدد.

الثالث: في الأشربة أيضاً^(٣) من طريق شيخه أحمد بن أبي رجاء، ولفظه:

خطب عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد نزل تحريم الخمر وهي

(١) باب: قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (٥٣/٦) رقم (٤٦١٦) ورقم (٤٦١٩).

(٢) باب: الخمر من العنب (١٠٥/٧) رقم (٥٥٨١).

(٣) باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب (١٠٦/٧) رقم (٥٥٨٨).

من خمسة أشياء: العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل، والخمر ما خامر العقل. وثلاث وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا»، قال: قلت: يا أبا عمرو، فشيء يصنع بالسند من الأرز؟ قال: ذاك لم يكن على عهد النبي ﷺ -أو قال:- على عهد عمر. وقال حجاج: عن حماد، عن أبي حيان: مكان العنب: الزبيب.

وأخرجه مسلم في التفسير^(١) من طريق شيخه أبي بكر بن أبي شيبة.

* الكلام على الحديث:

ش/ ومناسبة الحديث للترجمة تظهر في أمرين:

أحدهما: ذكر منبر رسول الله ﷺ.

الثاني: أن الخمر من المحرمات التي اجتنابها تأسياً برسول الله ﷺ من السنة الواجب التمسك بها.

وشرح هذا الحديث مستوفى في التفسير^(٢).



(١) باب: في نزول تحريم الخمر (٢٣٢٢/٤) رقم (٣٠٣٢).

(٢) باب: قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (٥٣/٦) رقم

(٤٦١٦)، ورقم (٤٦١٩).

الحديث الثامن والستون

٧٣٣٨- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي السَّائِبُ ابْنُ يَزِيدَ: «سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ خَطَبَنَا عَلَى مَنبَرِ النَّبِيِّ ﷺ».

* الكلام على الحديث:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «وله: «أنه سمع عثمان بن عفان خطيباً على منبر النبي ﷺ» هكذا اقتصر من الحديث على هذا القدر وبيّض له أبو نعيم في مستخرجه فذكر ما عند البخاري فقط ولم يوصله من طريقه ولا من غيرها.

وقوله: «خطيباً»: هو حال من عثمان، وفي بعض الروايات (خطبنا) بنون بلفظ الفعل الماضي، وبقية الحديث أوهم صنيع الإسماعيلي أنه فيما يتعلق بالأذان الذي زاده عثمان؛ فإنه أخرجه هنا وليس فيه شيء يتعلق بخطبة عثمان على المنبر، والحق أنه حديث آخر^(١).

ش/ قلت: وهو في كتاب الأموال^(٢) لأبي عبيد من طريق الزهري،

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٣١٠).

(٢) كتاب الأموال، كتاب الصدقة وأحكامها وسننها، باب: الصدقة في التجارات والديون، وما يجب فيها، وما لا يجب (ص ٥٣٤) رقم (١٢٤٧).

عن السائب بن يزيد، ولفظه: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: «هذا شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليؤدّه، حتى تخرجوا زكاة أموالكم، ومن لم تكن عنده لم تطلب منه حتى يأتي بها تطوعاً، ومن أخذ منه حتى يأتي هذا الشهر من قابل»، قال إبراهيم: أراه يعني شهر رمضان.

وأخرجه مالك^(١) من هذا الوجه ولفظه: «أن عثمان بن عفان كان يقول: هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤدّ دينه حتى تحصل أموالكم فتؤدون منه الزكاة».

ش / ومناسبة الحديث للترجمة في أمرين:

الأول: ذكر منبر النبي صلى الله عليه وسلم.

والثاني: الحُصُّ على إخراج الزكاة في رمضان فيمن كان رمضان وقت وجوبها، أو أحب التعجل، وكل ذلك من السنة التي يُقتدَى بالنبي صلى الله عليه وسلم فيها، وفي هذا الصنيع من ذي النورين صلى الله عليه وسلم منقبة من مناقبه صلى الله عليه وسلم.



(١) كتاب الزكاة، باب: الزكاة في الدين (٢٥٣/١) رقم (٥٩٣).

الحديث التاسع والستون

٧٣٣٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «قَدْ كَانَ يُوضَعُ لِي وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْمِرْكَنُ، فَتَشْرَعُ فِيهِ جَمِيعًا».

* الكلام على الحديث:

قال ابن بطال: «فيه سنة متبعة لبيان مقدار ما يكفي الزوج والمرأة إذا اغتسلا»^(١) حكاها الحافظ رحمه الله.

قال مقيله: وهذا بيان لمناسبة الحديث للترجمة ليس عليه مزيد.
وفي الحديث دليل على أنه يجوز للرجل وامرأته الاغتسال من إناء واحد، وفي ذلك أحاديث؛ منها:

الأول: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد، تختلف أيدينا فيه» أخرجه البخاري^(٢).

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣١١).

(٢) كتاب الغسل، باب: هل يدخل الجنب يده في الإناء قبل أن يغسلها، إذا لم يكن على يده قدر غير الجنابة (١ / ٦١) رقم (٢٦١).

الثاني: ولمسلم^(١): «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناءٍ واحدٍ،
تختلف أيدينا فيه من الجنابة».

وشرح هذه المسألة في الكتاب الآخر^(٢).



-
- (١) كتاب الحيض، باب: القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر (٢٥٦ / ١) رقم (٣٢١).
- (٢) كتاب الغسل، باب: غسل الرجل والمرأة من إناء واحد من الجنابة.

الحديث السبعون

٧٣٤٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ الْأَحْوَلُ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «حَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَقُرَيْشٍ فِي دَارِي الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، وَقَنْتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ».

* التخریج:

أخرجه هنا مختصرًا وأخرجه في مواضع؛ ومنها:

الأول: في الكفالة^(١) من طريق شيخه محمد بن الصباح، عن عاصم، قال: قلت لأنس بن مالك ؓ: أبلغك أن النبي ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام». فقال: قد حالف النبي ﷺ بين قريش والأنصار في داري.

الثاني: في الأدب^(٢) من طريق شيخه محمد بن الصباح أيضًا.

الثالث: في الجزية^(٣) من طريق شيخه أبي النعمان، عن عاصم قال:

(١) باب: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ﴾ (٩٦/٣) رقم (٢٢٩٤).

(٢) باب: الإخاء والحلف (٢٢/٨) رقم (٦٠٨٣).

(٣) باب: دعاء الإمام علي من نكث عهدًا (١٠٠/٤) رقم (٣١٧٠).

سألت أنسًا رضي الله عنه عن القنوت، قال: قبل الركوع، فقلت: إن فلانًا يزعم أنك قلت بعد الركوع؟ فقال: كذب، ثم حدثنا، عن النبي ﷺ: «أنه قنت شهرًا بعد الركوع، يدعو على أحياء من بني سليم» الحديث.

الرابع: في المغازي ^(١) من طريق شيخه أبي معمر.

الخامس: في الجهاد والسير ^(٢) من طريق شيخه حفص بن عمر الحوضي.

السادس: في أبواب الوتر ^(٣) من طريق شيخه مسدد.

وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم من طريق شيخه أبي جعفر محمد بن الصباح ^(٤)، ومن طريق شيخه أبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير ^(٥).

وأخرج المصنف في التفسير ^(٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع،

(١) باب: غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة، وحديث عضل، والقارة، وعاصم بن ثابت، وخبيب وأصحابه (١٠٤/٥) رقم (٤٠٨٨).

(٢) باب: من ينكب في سبيل الله (٨/٤) رقم (٢٨٠١).

(٣) باب: القنوت قبل الركوع وبعده (٢٦/٢) رقم (١٠٠١)، ورقم (١٠٠٢).

(٤) باب: مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله عنهم (١٩٦٠/٤) رقم (٢٥٢٩).

(٥) المصدر السابق.

(٦) باب: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٣٨/٦) رقم (٤٥٦٠).

فربما قال: «إذا قال: سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً، لأحياء من العرب. حتى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(١) الآية».

وأخرجه مسلم كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه في المساجد، ومواضع الصلاة^(٢).

وفي الحديثين دليل على مشروعية القنوت في النوازل، وهذه المسألة مستوفاة في التفسير^(٣) وفي الكتاب الآخر^(٤).

ومناسبة الحديث للترجمة في قوله: «حالف النبي ﷺ بين الأنصار وقريش في داري».

وهذه مسألة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد كانت سنة أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

(١) [آل عمران: ١٢٨].

(٢) باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة (١/ ٤٦٦) رقم (٦٧٥).

(٣) باب: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

(٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَأُفْلُوًا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَأُفْلُوًا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾؛ أي: في حكم الله ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾؛ أي: القرباب أَوْلَىٰ بالتوارث من المهاجرين والأنصار، وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمواخاة التي كانت بينهم، كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ، وكذا قال سعيد بن جبير، وغير واحد من السلف والخلف...».

إلى أن قال: «وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾؛ أي: ذهب الميراث، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية.

وقوله: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾؛ أي: هذا الحكم، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولي ببعض، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول، الذي لا يبدل، ولا يغير. قاله مجاهد وغير واحد.

وإن كان قد يقال: قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة

البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جارٍ في قدره الأزلي، وقضائه القدري الشرعي»^(١).



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦ / ٣٨١-٣٨٢).

الحديث الحادي والسبعون

٧٣٤١ - حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِينِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ لِي: «انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ، فَأَسْقِيكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَسَقَانِي سَوِيقًا، وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا، وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في المناقب^(١) من طريق سليمان بن حرب بلفظ، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه أتيت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام ﷺ، فقال: «ألا تجيء فأطعمك سويقًا وتمرًا، وتدخل في بيتي، ثم قال: إنك بأرض الربا بها فاشي، إذا كان لك على رجل حق، فأهدئ إليك حمل تبن، أو حمل شعير، أو حمل قت، فلا تأخذه فإنه ربا».

وأخرجه عبد الرزاق في البيوع^(٢) عن معمر، عن سعيد بن أبي بردة،

(١) باب: مناقب عبد الله بن سلام ﷺ (٣٨/٥) رقم (٣٨١٤).

(٢) باب: الرجل يهدي لمن أسلفه (١٤٤/٨) رقم (١٤٦٥٣).

عن أبي بردة، قال: «أرسلني أبي إلى عبد الله بن سلام ﷺ أتعلم منه فبحثته فسألني من أنت؟ فأخبرته، فرحب بي، فقلت: إن أبي أرسلني إليك لأسألك وأتعلم منك، قال: يا ابن أخي، إنكم بأرض تجار فإذا كان لك على رجل مال فأهدئ لك حيلة من تبين فلا تقبلها فإنها ربا».

* الكلام على الحديث:

ش / وفي الحديث فائدتان:

إحدهما: مناسبته للترجمة، وهي ما ذكره بقوله: «فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله ﷺ، وتصلي في مسجد صلى فيه النبي ﷺ».

والثانية: القصد إلى أخذ العلم عن أهله، وهذا يظهر في بعث أبي موسى ﷺ ابنه أبا بردة إلى عبد الله بن سلام ﷺ لما يعهده عنه من العلم والفقہ.



الحديث الثاني والسبعون

٧٣٤٣ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُ قَالَ: حَدَّثَنِي النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي، وَهُوَ بِالْعَقِيقِ، أَنْ صَلَّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةٌ وَحَجَّةٌ».

وَقَالَ هَارُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ: «عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الحج^(١) من طريق شيخه الحميدي.

الثاني: في المزارعة^(٢) من طريق شيخه إسحاق بن إبراهيم.

وفي المتفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى وَهُوَ فِي مَعْرَسِهِ مِنْ ذِي الْحَلِيفَةِ فِي بَطْنِ الْوَادِي، فَقِيلَ: إِنَّكَ بِبَطْحَاءِ مَبَارَكَةٍ، قَالَ

(١) باب: قول النبي ﷺ: «العقيق واد مبارك» (١٣٥ / ٢) رقم (١٥٣٤).

(٢) باب: من أحيا أرضاً مواتاً (١٠٧ / ٣) رقم (٢٣٣٧).

موسى: وقد أناخ بنا سالم بالمناخ من المسجد الذي كان عبد الله ينيخ به يتحرى معرس رسول الله ﷺ وهو أسفل من المسجد الذي ببطن الوادي بينه وبين القبلة وسطاً من ذلك»^(١).

* الكلام على الحديث:

ش/ وفي الحديث دليل على سنية المبيت بوادي العقيق لمن خرج قاصداً حجاً أو عمرة، وهذا هو مناسبة الحديث للترجمة، وشرح هذه المسألة في الكتاب الآخر^(٢).



(١) أخرجه البخاري في المزارعة، باب: من أحيا أرضاً موأناً (١٠٦/٣) رقم (٢٣٣٦)، ومسلم في الحج، باب: التعريس بذئ الحليفة، والصلاة بها إذا صدر من الحج أو العمرة (٩٨١/٢) رقم (١٣٤٦).

(٢) كتاب الحج، باب: التعريس والصلاة بذئ الحليفة إذا صدر من الحج والعمرة.

الحديث الثالث والسبعون

٧٣٤٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: وَقَتَ النَّبِيِّ ﷺ: «قَرْنَا لِأَهْلِ نَجْدٍ، وَالْجُحْفَةِ لِأَهْلِ الشَّامِ، وَذَا الْحُلَيْفَةِ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ»، قَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلُمُ»، وَذُكِرَ الْعِرَاقُ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ عِرَاقٌ يَوْمَئِذٍ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

الأول: في العلم^(١) من طريق شيخه قتيبة بن سعيد.

الثاني: في الحج^(٢) من طريق عبد الله بن يوسف.

الثالث: في الحج أيضاً^(٣) من طريق شيخه أحمد بن عيسى.

وأخرجه مسلم في الحج^(٤) من طريق شيخه يحيى بن يحيى.

(١) باب: ذكر العلم والفتيا في المسجد (٣٨/١) رقم (١٣٣).

(٢) باب: ميقات أهل المدينة، ولا يهلوا قبل ذي الحليفة (١٣٤/٢) رقم (١٥٢٥).

(٣) باب: مهل أهل نجد (١٣٤/٢) رقم (١٥٢٧).

(٤) باب: مواقيت الحج والعمرة (٨٣٩/٢) رقم (١١٨٢).

* الكلام على الحديث:

ش / ومناسبة الحديث للترجمة: فيما ذكره من المواقيت لأهل الآفاق
الوافدين إلى مكة لحج أو عمرة وضمنها: «قرناً لأهل نجد، والجحفة لأهل
الشأم، وذا الحليفة لأهل المدينة».

ومسألة المواقيت مستوفى شرحها في الكتاب الآخر^(١).



(١) كتاب الحج، باب: في المواقيت في الحج والعمرة.

الحديث الرابع والسبعون

٧٣٤٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ أُرِيَ وَهُوَ فِي مُعَرَّسِهِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ بِنَاطِحَاءِ مُبَارَكَةٍ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع؛ منها:

الأول: في الحج^(١) من طريق شيخه محمد بن أبي بكر.

الثاني: في المزارعة^(٢) من طريق شيخه قتيبة.

وأخرجه مسلم في الحج^(٣) من طريق شيخه محمد بن عباد ومن طريق شيخه محمد بن بكار بن الريان.

(١) باب: قول النبي ﷺ: «العقيق واد مبارك» (١٣٦/٢) رقم (١٥٣٥).

(٢) باب: من أحيا أرضاً مواتاً (١٠٦/٣) رقم (٢٣٣٦).

(٣) باب: التعريس بذی الحلیفة، والصلاة بها إذا صدر من الحج أو العمرة (٩٨١/٢) رقم (١٣٤٦).

* الكلام على الحديث:

ش / ومناسبة الحديث للترجمة: أن الوادي المبارك من مآثر النبي ﷺ ومشاهده في المدينة، وتقدم ضمن شرح الحديث الثاني والسبعين.



[الباب السابع عشر]

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

* شرح الترجمة:

وتمامها: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم اعترض بجملته دلت على أن الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له، فقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ أي: بل الأمر كله إليّ، كما قال: ﴿فَاتَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾^(٢)، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣)، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

قال محمد بن إسحاق في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ أي: ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.

(١) [آل عمران: ١٢٨].

(٢) [الرعد: ٤٠].

(٣) [البقرة: ٢٧٢].

(٤) [القصص: ٥٦].

ثم ذكر تعالى بقية الأقسام فقال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: مما هم فيه من الكفر ويهديهم بعد الضلالة ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾؛ أي: يستحقون ذلك^(١).

ش/ قال مقيده: وبهذا التفسير ما أظنه إلا بان مناسبة الترجمة لكتاب الاعتصام.



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١١٤).

الحديث الخامس والسبعون

٧٣٤٦- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فِي الْأَخِيرَةِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١).

* التخریج:

الأول: أخرجه المصنف بهذا اللفظ في المغازي^(٢) من رواية شيخه يحيى بن عبد الله السلمي.

وعن حنظلة بن عبد الله قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول: «كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن

(١) [آل عمران: ١٢٨].

(٢) باب: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٩٩/٥) رقم (٤٠٦٩).

هشام؛ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَانْتَهُم ظِلْمُوكَ﴾^(١).

الثاني: في التفسير^(٢) من رواية شيخه حبان بن موسى.

* الكلام على الحديث:

قال مقيده: وشاهد الترجمة من الحديث ظاهر، وللمزيد انظر التفسير^(٣).



(١) المصدر السابق.

(٢) باب: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٦/٣٨) رقم (٤٥٥٩).

(٣) المصدر السابق.

[الباب الثامن عشر]

بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا﴾
 وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

* شرح الترجمة:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا﴾:

وتمامها: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا﴾^(١).

ش/ قلت: وسياق الآية هكذا.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن وجلالته وعمومه، وأنه صرَّف فيه من كل مَثَل؛ أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادًا وطمأنينة ونورًا.

(١) [الكهف: ٥٤].

وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور، ومع ذلك كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل ﴿لِيُذْهِبُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا﴾؛ أي: مجادلة ومنازعة فيه، مع أن ذلك غير لائق بهم ولا عدل منهم، والذي أوجب له ذلك وعدم الإيمان بالله إنما هو الظلم والعناد لا لقصور في بيانه وحجته وبرهانه، وإلا فلو جاءهم العذاب وجاءهم ما جاء قبلهم لم تكن هذه حالهم^(١).

ش/ قال عبيد: وبهذا التفسير أبان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ شَيْئَيْنِ بهما تظهر مناسبة الآية للترجمة:

الأول: عظمة الكتاب العزيز، وأن الله ﷻ قد أودع فيه ما تقوم به الحجة وتتضح المحجة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الثاني: أنه مع وضوح ما أودعه الله ﷻ في كتابه من ضرب الأمثال والعبر أبى كثير من الناس إلا المجادلة في الحق بعد ما تبين لهم، وهذا يستوجب على كل داعية إلى الله على بصيرة أن يتفطن لمن كان مسلكه المجادلة، وذلك بالاستعداد لدحض حججهم وكشف شبههم حتى ينقادوا فيستجيبوا لله ولرسوله، أو يعاندوا فتقوم عليهم الحجة وتحق عليهم الضلالة.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٤٨٠).

قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾:

ش / قلت: سياق الآية هكذا: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾:

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ لا تخصموهم، ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه وأراد من قبل الجزية منهم»^(٢).

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ إلخ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينئذ ينتقل من الجدل إلى الجلاد، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾»^(٣).

(١) [العنكبوت: ٤٦].

(٢) «تفسير البغوي» (٦ / ٢٤٧).

(٣) [الحديد: ٢٥].

قال جابر: أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف.

قال مجاهد: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعني: أهل الحرب، ومن امتنع منهم عن أداء الجزية.

وقوله: ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾؛ يعني: إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه، فهذا لا تقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقاً، ولا على تصديقه فلعله أن يكون باطلاً، ولكن نؤمن به إيماناً مجملًا معلقاً على شرط وهو أن يكون منزلاً لا مبدلاً ولا مؤولاً....

إلى أن قال: ثم ليعلم أن أكثر ما يحدثون به غالبه كذب وبهتان؛ لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً^(١).

ش/ قال مقبده: وبالنقل عن هذين الإمامين ظهرت مناسبة الآية للترجمة، وهي أن دعوتنا لأهل الكتاب تقوم على أمرين:

الأول: المجادلة بالتي هي أحسن، وهو الاستعداد لحججهم وذلك ببيان الحق بما ليس فيه لبس ولا غموض، رجاء أن يستجيبوا لله ولرسوله ﷺ، أو يأبوا ويستنكفوا ويستكبروا فتقوم عليهم الحجة.

الثاني: مقابلة ما يحتاجون به إذا كان مما لا يعلم صدقه ولا كذبه

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٢٨٣).

بشليم الأمر لله ﷻ، وتفويضه إليه ﷻ، وهذا فيه قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا
بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).



(١) [العنكبوت: ٤٦].

الحديث السادس والسبعون

٧٣٤٧- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا عَتَّابُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةُ عليها السلام بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَلَا تُصَلُّونَ؟»، فَقَالَ عَلِيُّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَاَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ^(١).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «يُقَالُ: مَا أَتَاكَ لَيْلًا فَهُوَ طَارِقٌ، وَيُقَالُ (الطَّارِقُ): النَّجْمُ، وَ(التَّاقِبُ) ^(٢): الْمُضِيءُ، يُقَالُ: أَتَقِبَ نَارَكَ لِلْمُوقِدِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

(١) [الكهف: ٥٤].

(٢) [الطارق: ٣].

الأول: في التهجد^(١) من رواية شيخه أبي اليمان.

الثاني: في التفسير^(٢) من رواية شيخه علي بن عبد الله.

الثالث: في التوحيد^(٣) من رواية شيخه أبي اليمان وإسماعيل.

وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها^(٤) من رواية شيخه قتيبة

ابن سعيد.

✽ الكلام على الحديث:

ش / قلت: ومناسبة الحديث للترجمة ظاهرة، وهي في تلاوته ﷺ هذه

الآية: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

وللمزيد من شرح الحديث انظر التفسير^(٥).



(١) باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (٥٠ / ٢) رقم (١١٢٧).

(٢) باب: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٨٨ / ٦) رقم (٤٧٢٤).

(٣) باب: في المشيئة والإرادة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١٣٧ / ٩) رقم (٧٤٦٥).

(٤) باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (٥٣٧ / ١) رقم (٧٧٥).

(٥) باب: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٨٨ / ٦) رقم (٤٧٢٤).

الحديث السابع والسبعون

٧٣٤٨ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمَدْرَاسِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»، فَقَالُوا: قَدْ بَلَغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»، فَقَالُوا: قَدْ بَلَغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ»، ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّ مَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاْعْلَمُوا أَنَّ مَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في الجزية^(١) من رواية شيخه عبد الله بن يوسف.

الثاني: في الإكراه^(٢) من رواية شيخه عبد العزيز بن عبد الله.

(١) باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب (٩٩/٤) رقم (٣١٦٧).

(٢) باب: في بيع المكره ونحوه، في الحق وغيره (٢٠/٩) رقم (٦٩٤٤).

وأخرجه مسلم في الجهاد والسير^(١) من رواية شيخه قتيبة.

* الكلام على الحديث:

قال الحافظ رحمه الله: «ولم أر من صرح بنسب اليهود المذكورين، والظاهر أنهم بقايا من اليهود تأخروا بالمدينة بعد إجلاء بني قينقاع وقريظة والنضير والفراغ من أمرهم؛ لأنه كان قبل إسلام أبي هريرة وإنما جاء أبو هريرة بعد فتح خيبر»^(٢).

وقال القرطبي رحمه الله: «وقوله: «من كان له مال فليبعه»؛ دليل على أنهم كان لهم عهد على نفوسهم وأموالهم، لا على المقام في أرضهم، ولذلك أجلاهم منها. وهؤلاء هم يهود بني قينقاع، وبنو حارثة»^(٣).

ش/ قال عبيد: أما بنو قريظة فإن النبي ﷺ قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «أصيب سعد رضي الله عنه يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقه وهو حبان بن قيس.... فذكر الحديث وفيه: فإني أحكم فيهم: أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم»^(٤) الحديث.

(١) باب: إجلاء اليهود من الحجاز (٣/ ١٣٨٧) رقم (١٧٦٥).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٢٧١).

(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٥٨٨).

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني

قريظة ومحاصرته إياهم (٥/ ١١٢) رقم (٤١٢٢).

قلت: فتحصل أن المعنيين من اليهود هم بنو قينقاع وبنو النضير، فإن هاتين الطائفتين من اليهود هما اللتان أجلاهما النبي ﷺ من المدينة حين نقضوا العهد.

وفي الحديث ثلاث فوائد يظهر بها الشاهد منه للترجمة:

الأولى: أن المساكنين من الكفار للمسلمين في دار الإسلام لهم ذمة ولي الأمر، ما لم ينقضوا العهد، فإن نقضوا العهد وكانت به قوة نبذ إليهم عهدهم.

الثانية: في قوله ﷺ: «انطلقوا إلى يهود»، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس» دليل على أن الإمام إذا نقض الكفار المساكنون له ينبغي له أن يظهر أمام هؤلاء قوة المسلمين حتى يرهبواهم.

الثالثة: في قوله ﷺ: «يا معشر يهود، أسلموا تسلموا...» إلخ.

فيه دليل على أن الإمام ينذر من نقض العهد قبل أن يجليهم رجاء أن يسلموا، فإن لم يسلموا أجلاهم بالقوة.

[الباب التاسع عشر]

بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾

وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ.

* شرح الترجمة:

ش/ في هذه الترجمة أمران:

الأول: آية البقرة المترجم عليها.

الثاني: قوله: «وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم» وذلك إشارة إلى حديث حذيفة ؓ المشهور وهو مخرج في الصحيحين وغيرهما، والشاهد منه في قوله ﷺ: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»^(١).

وقد بينا معنى الجماعة في شرحنا للتفسير من هذا الصحيح بذكر اختلاف الناس فيها فراجع إن شئت^(٢).

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (١٩٩/٤) رقم (٣٦٠٦)،

وأخرجه مسلم في الإمارة، باب: الأمر بلزوم جماعة المسلمين (١٤٧٥/٣) رقم (١٨٤٧).

(٢) باب: قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، (٢/٤١٦-٤١٨) ط الأولى.

* شرح آية الترجمة:

وسياق الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾:

قال الطبري رحمه الله: «يعني -جل ثناؤه- بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطاً....

إلى قوله: وأما (الوسط)، فإنه في كلام العرب الخيار، يقال منه: (فلان وسط الحسب في قومه)؛ أي: متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، وهو وسط في قومه، وواسط...

(١) [البقرة: ١٤٣].

وأرى أن الله - تعالى ذكره - إنما وصفهم بأنهم (وسط) لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها^(١).

ش/ قال مقيده: وبهذا الكلام النفيس البديع المتين الجليل ظهرت مناسبة الآية للترجمة.

قوله: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: قال البخوي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما معنى قوله تعالى ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟ قال: أمة محمد ﷺ شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معدلاً مزيّياً لكم.

وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾^(٢) فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيسأل الله الأنبياء ﷺ عن ذلك فيقولون: كذبوا، قد بلغناهم

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٣/ ١٤١).

(٢) [الملك: ٨].

فيسألهم البينة - وهو أعلم بهم - إقامة للحجة، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه تبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمتهم فيزكيهم ويشهد بصدقهم^(١).

قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾:

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾؛ وهي استقبال بيت المقدس أولا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها.

ولكن هذا العلم لا يعلق عليه ثوابا ولا عقابا، لتمام عدله، وإقامة الحجة على عباده، بل إذا وجدت أعمالهم ترتب عليها الثواب والعقاب، أي: شرعنا تلك القبلة لنعلم ونمتحن ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة أنه يستقبل الكعبة، فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك إيمانا وطاعة للرسول.

وأما من انقلب على عقبيه وأعرض عن الحق واتبع هواه، فإنه يزداد

(١) «تفسير البغوي» (١/ ١٥٩).

كفرًا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته، ويدلي بالحجة الباطلة المبنية على شبهة لا حقيقة لها.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾؛ أي: صرفك عنها ﴿لَكَبِيرَةً﴾؛ أي: شاقة ﴿لَا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم وشكروا وأقروا له بالإحسان، حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم الذي فضله على سائر بقاع الأرض، وجعل قصده ركنًا من أركان الإسلام، وهادمًا للذنوب والآثام، فلهذا خف عليهم ذلك وشق على من سواهم^(١).

قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك لا يضيع ثوابها عند الله، وفي الصحيح من حديث أبي إسحاق السَّيِّعِي، عن البراء، قال: مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فقال الناس: ما حالهم في ذلك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾».

عن ابن عباس: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾؛ أي: بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، واتباعه إلى القبلة الأخرى؛ أي: ليعطيكم أجرهما جميعًا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢). اهـ باختصار وتصرف.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٧٠).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١ / ٤٥٨).

الحديث الثامن والسبعون

٧٣٤٩- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بَنُوحَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ - قَالَ: عَدَلًا - ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في أحاديث الأنبياء^(١) من طريق شيخه موسى بن إسماعيل.

(١) باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤)

الثاني: في التفسير^(١) من طريق شيخه يوسف بن راشد.

* الكلام على الحديث:

ش / وشاهد الترجمة من هذا الحديث ظاهر، وهي فيما أخبر به ﷺ
من أن أمته تشهد على جميع الأمم أن أنبياءهم بلغوهم.
وللمزيد في شرح هذا الحديث انظر التفسير^(٢).



-
- (١) باب: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢١ / ٦) رقم (٤٤٨٧).
- (٢) باب: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢١ / ٦) رقم (٤٤٨٧).

[الباب العشرون]

**بَابُ إِذَا اجْتَهِدَ الْعَامِلُ أَوِ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ
خِلَافَ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ فَحُكْمُهُ مُرَدُّودٌ**

لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

* شرح الترجمة:

ومناسبة هذه الترجمة فيما تضمنته من أمور وهي:

الأول: قوله: «إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود».

ش / والمعنى أن المعول عليه في الحكم هو النص، وسواء كان ذلك النص كتاباً أو سنة، ولا عبرة بما خالف النص، وإن كان المخالف له مكانته في العلم والإيمان، فعرضه مصون، وكرامته محفوظة، وحكمه مردود لخلافه النص.

الثاني: قوله: «لقول النبي ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو

رد)».

ش/ هذا صريحٌ في الدلالة على رد ما خالف النص والإجماع من الأقوال والأعمال، ووجه الاستدلال منه ظاهر.

وقد أورده المصنف كما تراه معلقاً، ووصله مسلم في الأقضية^(١) عن شيخه إسحاق بن إبراهيم، وعبد بن حميد، جميعاً عن أبي عامر، قال عبد: حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا عبد الله بن جعفر الزهري، عن سعد بن إبراهيم، قال: سألت القاسم بن محمد عن رجل له ثلاثة مساكن فأوصى بثلث كل مسكن منها، قال: يجمع ذلك كله في مسكن واحد، ثم قال: أخبرني عائشة رضي الله عنها فذكره.

والحديث متفق عليه بلفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، ووصله المصنف في الصلح^(٢) ومسلم في الأقضية^(٣).

قال العلماء: والرد معناه: المردود، وما كان مردوداً فكأنه غير موجود، والردُّ إذا أضيف إلى العبادة اقتضى فسادها وعدم الاعتداد بها، وإذا أضيف إلى المعاملة اقتضى إلغائها وعدم نفوذها.



- (١) باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٨).
- (٢) باب: إذا اُصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٣/ ١٨٣) رقم (٢٦٩٧).
- (٣) باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٨).

الحديث التاسع والسبعون

٧٣٥٠- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يُحَدِّثُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَاهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَخَا بَنِي عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيَّ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى خَيْبَرَ، فَقَدِمَ بِتَمَرٍ جَنِيْبٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكُلْ تَمْرٍ خَيْبَرَ هَكَذَا؟»، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَشْتَرِي الصَّاعَ بِالصَّاعَيْنِ مِنَ الْجَمْعِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَفْعَلُوا، وَلَكِنْ مِثْلًا بِمِثْلٍ، أَوْ يَبْعُوا هَذَا وَاشْتَرُوا بِشَمْنِهِ مِنْ هَذَا، وَكَذَلِكَ الْمِيزَانُ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في البيوع^(١) من طريق شيخه قتيبة ولفظه: «أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ: أكل تمر خيبر هكذا؟ قال: لا والله يا رسول الله، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين،

(١) باب: إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه (٧٧/٣) رقم (٢٢٠١).

والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: لا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبًا.

الثاني: في الوكالة^(١) من طريق شيخه عبد الله بن يوسف.

الثالث: في المغازي^(٢) من طريق شيخه إسماعيل وأيضًا من طريق شيخه عبد العزيز بن محمد.

وأخرجه مسلم في المساقاة^(٣) من طريق شيخه عبد الله بن مسلمة بن قعنب، وأيضًا من طريق شيخه يحيى بن يحيى^(٤).

* الكلام على الحديث:

ش / ويوضح المراد منه ما أخرجه الشيخان^(٥) عن عقبة بن عبد الغافر، أنه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جاء بلال إلى النبي ﷺ بتمر برني، فقال له النبي ﷺ: من أين هذا؟ قال بلال: كان عندنا تمر ردي، فبعت منه صاعين بصاع، لنطعم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ عند ذلك: أَوْهْ أَوْهْ، عين الربا عين الربا، لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر، ثم اشتره».

(١) باب: الوكالة في الصرف والميزان (٩٨/٣) رقم (٢٣٠٢).

(٢) باب: استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر (١٤٠/٥) رقم (٤٢٤٤).

(٣) باب: بيع الطعام مثلاً بمثل (١٢١٥/٣) رقم (١٥٩٣).

(٤) المصدر السابق.

(٥) أخرجه البخاري في باب إذا باع الوكيل شيئاً فاسداً، فبيعه مردود (١٠١/٣) رقم (٢٣١٢)،

ومسلم في المساقاة، باب: بيع الطعام مثلاً بمثل (١٢١٥/٣) رقم (١٥٩٤).

قال مقيله: فظهر بهذا الحديث وحديث الباب شاهد الترجمة وهي
تحريم الربا، والتحريم ردُّ؛ لأنه يقتضي الفساد.

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ فِي حَدِيثِ بَلالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَذَا: «هُوَ نَصٌّ فِي تَحْرِيمِ
رَبَا الْفَضْلِ فِي التَّمْرِ وَجُمْهُورِ الْأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَخَالِفُ رَبَا
الْفَضْلِ وَكُلَّمْ فِي ذَلِكَ، فَقِيلَ: إِنَّهُ رَجَعَ عَنْهُ»^(١).

ش / قلت: وفي الحديثين فائدة وهي: تحريم ربا الفضل، وذلك إذا
كان المبيعان من جنس واحد كبرِّ بئرٍ أو شعير بشعير، أو تمر بتمر، ويجوز
التفاضل إذا اختلف الجنس كأن يكون بر بشعير أو تمر ببرٍّ وهكذا، بشرط
القبض في المجلس، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر،
والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يداً
بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يداً بيد»^(٢).

فالشاهد منه: «فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم، إذا كان
يداً بيد».



(١) «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (ص ٣٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في المساقاة، الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً (٣/ ١٢١١) رقم (١٥٨٧)،

من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره.

[الباب الحادي والعشرون]

بَابُ أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ

* شرح الترجمة:

وشرح هذه الترجمة كأنها تؤكد سابقتها من ردِّ ما يخالف السنة، وتزيدُ شيئاً واحداً وهو أجر الحاكم المجتهد الذي استفرغ وسعه ولم يصب.

وإن شئت فقل: الحكام قسمان:

أحدهما: مجتهد مصيب.

والآخر: مجتهد مخطئ، وكلُّ مأجور كما سيأتي إيضاحه في حديث

الباب.



الحديث الثمانون

٧٣٥٢- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقَرِّيُّ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا حَبِوَةُ بْنُ شَرِيحٍ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِذَا الْحَدِيثَ أَبَا بَكْرٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، فَقَالَ: هَكَذَا حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

* التخریج:

أخرجه مسلم^(١) من طريق شيخه يحيى بن يحيى بهذا اللفظ.

* الكلام على الحديث:

ش/ في الحديث أربع فوائد تظهر بها مناسبته للترجمة:

(١) باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٣/ ١٣٤٢) رقم (١٧١٦).

إحداها: أن الحكام ثلاثة:

الأول: مجتهد مصيب، فله أجران: أحدهما على إصابته، والآخر على اجتهاده.

الثاني: مجتهد مخطئ، فله أجر واحد على اجتهاده، وخطؤه مغفور إن شاء الله.

الثالث: وهو بمفهوم هذا الحديث حاكم غير مجتهد، فهذا لا أجر له على اجتهاده، ثم إن كان تركه الاجتهاد بتقصير منه فهو آثم.

الفائدة الثانية: وجوب التحري في إصابة الحق حال الحكم بين الناس.

الثالثة: تحريم الحكم بين الناس على من ليس عنده أهلية للنظر.

الرابعة: الرد على من يدعي إغلاق باب الاجتهاد.



[الباب الثاني والعشرون]

**بَابُ الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ أَحْكَامَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ ظَاهِرَةً
وَمَا كَانَ يَغِيبُ بَعْضُهُمْ مِنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمُورِ الْإِسْلَامِ**

* شرح الترجمة:

«قوله: «باب الحجة على من قال إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة»
أي: للناس لا تخفى إلا على النادر.

وقوله: «وما كان يغيب بعضهم عن مشاهد النبي ﷺ وأُمُورِ الْإِسْلَامِ»
كذا للأكثر، وفي رواية النسفي وعليها شرح ابن بطال: (مشاهده)،
ولبعضهم: (مشهد) بالإنفراد.

ووقع في «مستخرج أبي نعيم»: (وما كان يفيد بعضهم بعضًا) بالفاء
والدال من الإفادة، ولم أره لغيره.

و(ما) في قوله: (ما كان) موصولة، وجوز بعضهم أن تكون نافية، وأنها
من بقية القول المذكور، وظاهر السياق يأباه.

وهذه الترجمة معقودة لبيان أن كثيرًا من الأكابر من الصحابة كان
يغيب عن بعض ما يقوله النبي ﷺ أو يفعله من الأعمال التكليفية فيستمر

على ما كان اطلع عليه هو إما على المنسوخ لعدم اطلاعه على ناسخه، وإما على البراءة الأصلية، وإذا تقرر ذلك قامت الحجة على من قَدَّم عمل الصحابي الكبير، ولا سيما إذا كان قد ولي الحكم على رواية غيره متمسكاً بأن ذلك الكبير لولا أن عنده ما هو أقوى من تلك الرواية لما خالفها، ويرده أن في اعتماد ذلك ترك المحقق للمظنون.

وقال ابن بطلال: أراد الرد على الرافضة والخوارج الذين يزعمون أن أحكام النبي ﷺ وسننه منقولة عنه نقل تواتر، وأنه لا يجوز العمل بما لم ينقل متواتراً.

قال: وقولهم مردود بما صح أن الصحابة كان يأخذ بعضهم عن بعض ورجع بعضهم إلى ما رواه غيره.

وانعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد.

قلت: وقد عقد البيهقي في المدخل باب الدليل على أنه قد يعزب على المتقدم الصحبة الواسع العلم الذي يعلمه غيره، ثم ذكر حديث أبي بكر في الجدة وهو في الموطأ وحديث عمر في الاستئذان وهو المذكور في هذا الباب^(١). اهـ من «الفتح».



(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣٢١).

الحديث الحادي والثمانون

٧٣٥٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي عَطَاءٌ، عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمَرَ فَكَأَنَّهُ وَجَدَهُ مَشْغُولًا فَرَجَعَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، ائْذَنُوا لَهُ، فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: «إِنَّا كُنَّا نُوَمِّرُ بِهِذَا»، قَالَ: فَأْتِنِي عَلَى هَذَا بَيِّنَةٍ أَوْ لَأَفْعَلَنَّ بِكَ، فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالُوا: لَا يَشْهَدُ إِلَّا أَصَاغِرُنَا، فَقَامَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فَقَالَ: «قَدْ كُنَّا نُوَمِّرُ بِهِذَا»، فَقَالَ عُمَرُ: خَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في البيوع^(١) من طريق شيخه محمد بن سلام.

وأخرجه مسلم في الآداب^(٢) من طريق شيخه محمد بن حاتم بلفظ

حديث الباب.

(١) باب: الخروج في التجارة (٣/ ٥٥) رقم (٢٠٦٢).

(٢) باب: الاستئذان (٣/ ١٦٩٥) رقم (٢١٥٣).

* الكلام على الحديث:

ش/ وشاهد الحديث للترجمة في قول عمر رضي الله عنه: «خفي علي هذا من أمر النبي ﷺ، ألهاني الصفق بالأسواق»، وهو صريح في تفاوت الصحابة رضي الله عنهم لا سيما أكابرهم في العلم بأحكام رسول الله ﷺ، فكيف من دونهم إنهم أولى ألا تظهر لهم جميع أحكام رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وإنما قيض الله له أن التزم له إخوته بما التزموه، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم؛ ولهذا مدحه تعالى فقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ قال الحسن البصري: ليس عالم إلا فوقه عالم، حتى ينتهي إلى الله ﷻ، وكذا روى عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الأعلى الثعلبي، عن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس فتحدث بحديث عجيب، فتعجب رجل فقال: الحمد لله فوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بئس ما قلت، الله العليم، وهو فوق كل عالم.

وكذا روى سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ

(١) [يوسف: ٧٦].

(٢) [المجادلة: ١١].

عَلَيْمٌ ﴿ قَالَ: يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم. وهكذا قال عكرمة.

وقال قتادة: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ حتى ينتهي العلم إلى الله، منه بُدئ وتعلمت العلماء، وإليه يعود، وفي قراءة عبد الله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ عَالَمٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

ش / وإياك أيها الناصح لنفسه الحازم في تحري السنة أن يغرك من احتج على ردّ أخبار الآحاد بهذا الحديث وأمثاله، مستدلّاً بها على أن عمر ﷺ طلب من أبي موسى ﷺ البيّنة على ما قال.

فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن هذا ليس طعنًا من أمير المؤمنين ﷺ لأبي موسى ﷺ، بل هو من شدة تحريه للحق.

الثاني: أنه لم يخرج عن حيز أخبار الآحاد حتى بعد ما جاء أبو موسى ﷺ بأبي سعيد الخدري ﷺ شاهداً له على ما قال.

وللمزيد انظر: «مختصر الصواعق» لابن الموصلي^(٢).



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤ / ٤٠١).

(٢) فصل استدلال ابن القيم على أن خبر الواحد يفيد العلم قطعاً (١ / ٥٧٦ - ٥٨٥).

الحديث الثاني والثمانون

٧٣٥٤- حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنَ الْأَعْرَجِ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ إِنَِّّي كُنْتُ امْرَأً مَسْكِينًا أَلْزَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: «مَنْ يَبْسُطُ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي ثُمَّ يَقْبِضَهُ فَلَنْ يَنْسِيَ شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي» فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَىَّ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

أولاً: في البيوع^(١) من طريق شيخه أبي اليمان بلفظ: «إنكم تقولون: إن

(١) باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَبِيرٌ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفُوا إِلَيْهَا وَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿[الجمعة: ١٠-١١]، وقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأة مسكيناً من مساكين الصُّفَّة أعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه: إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه، إلا وعى ما أقول، فبسطت نمرة علي حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء».

الثاني: في المزارعة^(١) من طريق شيخه موسى بن إسماعيل وزاد في آخره: «والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾»^(٢).

وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة^(٣) من طريق مشايخه قتيبة بن سعيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، بنحو حديث الباب.

* الكلام على الحديث:

ش / فالشاهد منه في قول أبي هريرة ﷺ: «إني كنت امرأة مسكيناً، ألزم

(١) باب: ما جاء في الغرس (١٠٩/٣) رقم (٢٣٥٠).

(٢) [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

(٣) باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ (١٩٤٩/٤) رقم (٢٤٩٢).

رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم» إلى قوله: «فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئاً سمعته منه».

ووجه: أن أبا هريرة ؓ لكثرة ملازمته للنبي ﷺ علم من حديثه ما خفي على غيره؛ ولهذا كان يلقب ؓ بأنه حافظ الصحابة؛ لكثرة حفظه عن النبي ﷺ فقد بلغت رواياته خمسة آلاف حديث ونيفاً.



[الباب الثالث والعشرون]

بَابُ مَنْ رَأَى تَرَكَ النَّكِيرِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حُجَّةً، لَا مِنْ غَيْرِ الرَّسُولِ

* شرح الترجمة:

«(النكير) بفتح النون وزن عظيم المبالغة في الإنكار، وقد اتفقوا على أن تقرير النبي ﷺ لما يفعل بحضرته أو يقال ويطلع عليه بغير إنكار دال على الجواز؛ لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يترتب على الإنكار، فلا يقر على باطل، فمن ثم قال: لا من غير الرسول، فإن سكوته لا يدل على الجواز.

ووقع في تنقيح الزركشي في الترجمة بدل قوله: (لا من غير الرسول): (لأمر يحضره الرسول)، ولم أره لغيره».

وأشار ابن التين إلى أن الترجمة تتعلق بالإجماع السكوتي، وأن الناس اختلفوا:

فقال طائفة: لا ينسب لساكت قول؛ لأنه في مهلة النظر.

وقالت طائفة: إن قال المجتهد قولاً وانتشر لم يخالفه غيره بعد الاطلاع عليه فهو حجة.

وقيل: لا يكون حجة حتى يتعدد القيل به.

ومحل هذا الخلاف ألا يخالف ذلك القول نص كتاب أو سنة، فإن خالفه فالجمهور على تقديم النص.

واحتج من منع مطلقاً أن الصحابة اختلفوا في كثير من المسائل الاجتهادية؛ فمنهم من كان ينكر على غيره إذا كان القول عنده ضعيفاً وكان عنده ما هو أقوى منه من نص كتاب أو سنة، ومنهم من كان يسكت فلا يكون سكوته دليلاً على الجواز لتجويز أن يكون لم يتضح له الحكم فسكت لتجويز أن يكون ذلك القول صواباً وإن لم يظهر له وجهه^(١). اهـ من الفتح.

ش / قلت: فبان بهذا أن تقرير النبي ﷺ سنة يحتج به كما يحتج بأقواله وأفعاله بشرط أن يكون المقرُّ قوله أو فعله مُنقاداً للإسلام.

ومن أمثله ذلك: عدم إنكار النبي ﷺ على اليهود الفطر في رمضان.



(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣٢٣).

الحديث الثالث والثمانون

٧٣٥٥- حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: «رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ: أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَالَ، قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ».

* التخریج:

أخرجه مسلم في الفتن وأشراف الساعة^(١) من طريق شيخه عبيد الله بن معاذ العنبري.

* الكلام على الحديث:

ش / وشاهد الترجمة منه: هي في إقرار النبي ﷺ عمر ﷺ على حلفه بحضرته أن ابن الصياد هو الدجال، وتقريره ﷺ سنة مثل قوله وفعله، حتى يتبين خلاف ذلك بالحجة الصحيحة.

(١) باب: ذكر ابن الصياد (٤/ ٢٢٤٣) رقم (٢٩٢٩).

وهل ابن الصياد هو الدجال أو غيره؟

الصواب: أنه غيره، والأحاديث فيه متواترة.

ويجاب عن تقرير عمر رضي الله عنه على حلفه أن ابن الصياد هو الدجال؛ بأن ذلك قبل أن يعلم عليه السلام أن الدجال غير ابن الصياد، وللمزيد انظر الكتاب الآخر^(١).



(١) «إمداد المسلم في شرح مختصر صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب: في ذكر النبي ﷺ المسيح عليه السلام والدجال.

[الباب الرابع والعشرون] بَابُ الْأَحْكَامِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالِدَّلَائِلِ وَكَيْفَ مَعْنَى الدَّلَالَةِ وَتَفْسِيرُهَا

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَ الْخَيْلِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ سُئِلَ عَنِ الْحُمْرِ، فَدَلَّهِمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الضَّبِّ فَقَالَ: «لَا أَكُلُهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ» وَأُكِلَ عَلَى مَائِدَةِ النَّبِيِّ ﷺ الضَّبُّ، فَاسْتَدَلَّ ابْنُ عَبَّاسٍ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ.

✽ شرح الترجمة:

«قوله: «باب الأحكام التي تعرف بالدلائل» كذا للأكثر، وفي رواية الكشميهني: (بالدليل) بالإنفراد.

والدليل: ما يرشد إلى المطلوب ويلزم من العلم به العلم بوجود المدلول.

وأصله في اللغة: من أرشد قاصد مكان ما إلى الطريق الموصل إليه.

قوله: «وكيف معنى الدلالة وتفسيرها» يجوز في الدلالة فتح الدال وكسرهما، وحكي الضم، والفتح أعلى، والمراد بها في عرف الشرع الإرشاد

إلى أن حكم الشيء الخاص الذي لم يرد فيه نصٌّ خاصٌّ داخل تحت حكم دليل آخر بطريق العموم فهذا معنى الدلالة.

وأما تفسيرها فالمراد به تبينها وهو تعليم المأمور كيفية ما أمر به وإلى ذلك الإشارة في ثاني أحاديث الباب.

ويستفاد من الترجمة بيان الرأي المحمود وهو ما يؤخذ مما ثبت عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله بطريق التنصيص، وبطريق الإشارة، فيندرج في ذلك الاستنباط ويخرج الجمود على الظاهر المحض^(١).

ش / قال مقبده: ما أحسنَ هذا فالزمه أيها المسلم فما عليه عندي من مزيد.

وفي الترجمة أمور أخرى:

أحدها: قوله: «وقد أخبر النبي ﷺ أمر الخيل وغيرها».

الثاني: وقوله: «ثم سئل عن الحمر، فدلهم على قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾».

وكلاهما في حديث الباب.

الثالث: قوله: «وسئل النبي ﷺ عن الضب فقال: لا آكله ولا أحرمه».

الرابع: قوله: «وأكل على مائدة النبي ﷺ الضب».

(١) «فتح الباري» (١٣) / ٣٣٠-٣٣١.

يشير بهذين الأمرين إلى حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن خالد بن الوليد رضي الله عنه، قال: أتى النبي ﷺ بضرب مشوي فأهوى إليه ليأكل، فقيل له: إنه ضب، فأمسك يده، فقال خالد: أحرام هو؟ قال: «لا، ولكنه لا يكون بأرض قومي، فأجدني أعافه» فأكل خالد ورسول الله ﷺ ينظر. ^(١) متفق عليه.

وحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أم حفيد بنت الحارث بن حزن أهدت إلى النبي ﷺ سمناً وأقطاً وأضباً...» وسيأتي بالرقم السادس والثمانون.

الخامس: قوله: «فاستدل ابن عباس بأنه ليس بحرام».

ش/ قلت: واستدل ابن عباس رضي الله عنهما بحديث خالد رضي الله عنه على أن أكل الضب حلال ظاهر صريح، ألا ترى أن النبي ﷺ أجاب خالداً رضي الله عنه حين قال: أحرام هو؟ قال: «لا، ولكنه لا يكون بأرض قومي، فأجدني أعافه» فأكل خالد ورسول الله ﷺ ينظر.



(١) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب: الضب (٩٧/٧) رقم (٥٥٣٧)، ومسلم في الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: إباحة الضب (١٥٤٣/٣) رقم (١٩٤٥).

الحديث الرابع والثمانون

٧٣٥٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا، فَاسْتَنْتَ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَانُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وَزْرٌ».

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمْرِ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَةُ الْجَامِعَةَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزلزلة: ٧-٨] ^(١).

* التخريج:

أخرجه المصنف في مواضع منها:

الأول: في المساقاة^(١) من طريق شيخه عبد الله بن يوسف.

الثاني: في الجهاد والسير^(٢) من طريق شيخه عبد الله بن مسلمة.

الثالث: في التفسير^(٣) من طريق شيخه إسماعيل بن عبد الله، وأيضاً من طريق شيخه يحيى بن سليمان^(٤).

وأخرجه مسلم في الزكاة^(٥) من طريق شيخه سويد بن سعيد.

❖ الكلام على الحديث:

ش / وشاهد الترجمة من هذا الحديث في فائدتين:

الأولى: الإشارة إلى ما دلت عليه السنة من أنه ليس في الخيل زكاة؛ لأنها معدة في الأصل للجهاد في سبيل الله أو الاقتناء للتعفف، فهذان فيهما أجر، وما عدا ذلك من القنية فإن كان للتجارة فهو من المباح وتجري عليها أحكام العروض، وإن كان للبطر والخيلاء فهذا فيه الوزر.

(١) باب: شرب الناس والدواب والأنهار (١١٣/٣) رقم (٢٣٧١).

(٢) باب: الخيل لثلاثة (٢٩/٤) رقم (٢٨٦٠).

(٣) قال: باب (١٧٥/٦) رقم (٤٩٦٢).

(٤) وباب: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (١٧٥/٦) رقم (٤٩٦٣).

(٥) باب: إثم مانع الزكاة (٦٨٠/٢) رقم (٩٨٧).

الثانية: أن النبي ﷺ لا يحكم إلا فيما نزل عليه فيه الوحي، ألا تراه حينما سئل عن الحمر قال: «ما أنزل الله علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة» وهذا يوجب على المسلم اتباع النبي ﷺ فيسير مع النصوص أمراً ونهياً، وهذا الحديث شرحناه في التفسير فراجعه إن شئت^(١).



(١) قال: باب (١٧٥/٦) رقم (٤٩٦٢)، وباب: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ()
 رقم (١٧٥/٦) رقم (٤٩٦٣).

الحديث الخامس والثمانون

٧٣٥٧- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ
أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ عَقْبَةَ،
حَدَّثَنَا الْفُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ النُّمَيْرِيُّ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
شَيْبَةَ، حَدَّثَنِي أُمِّي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْحَيْضِ،
كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْهُ؟ قَالَ: «تَأْخُذِينَ فِرْصَةً مُمْسَكَةً فَتَوَضَّئِينَ بِهَا»، قَالَتْ: كَيْفَ
أَتَوَضَّأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَوَضَّئِي»، قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوَضَّأُ بِهَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَوَضَّئِينَ بِهَا»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَذَبْتُهَا إِلَيَّ فَعَلَّمْتُهَا.

* التخریج:

أخرجه المصنف في الحيض^(١) من طريق شيخه مسلم بن إبراهيم.
وأخرجه مسلم في الحيض^(٢) من طريق شيخه محمد بن المشني،

(١) باب: غسل المحيض (٧٠ / ١) رقم (٣١٥).

(٢) باب: استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم (٢٦١ / ١) رقم (٣٣٢).

وابن بشار ولفظه: أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض؟ فقال: «تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها، فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلًا شديدًا حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها. فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ فقال: سبحان الله، تطهرين بها. فقالت عائشة: كأنها تخفي ذلك، تتبعين أثر الدم، وسألته عن غسل الجنابة؟ فقال: تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تفيض عليها الماء. فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين».

* الكلام على الحديث:

ش / وشاهد الترجمة يظهر من ضميمة الحديثين إلى بعضهما: وهو الدليل على أنه من السنة أن تسأل المرأة من تثق بدينه وأمانته عما يستدعيه أمر دينها، ألا ترى أن الصديقة عليها السلام قالت: «نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين».

قلت: بل السؤال عن أمر الدين واجب وجوبًا عينيًا على المكلفين من المسلمين ذكورهم وإناثهم؛ قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(١).

(١) [النحل: ٤٣].

وشرح الحديث في الكتاب الآخر فليراجعه من شاء^(١).



(١) كتاب الحيض، باب: صفة غسل المرأة من الحيضة والجنابة.

الحديث السادس والثمانون

٧٣٥٨- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ أُمَّ حُفَيْدِ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنٍ أَهَدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَمْنًا وَأَقِطًا وَأَضْبًا، فَدَعَا بِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَأُكِلْنَ عَلَى مَائِدَتِهِ، فَتَرَكَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ كَالْمُتَّقَدَّرِ لَهُنَّ، وَلَوْ كُنَّ حَرَامًا مَا أُكِلْنَ عَلَى مَائِدَتِهِ، وَلَا أَمَرَ بِأَكْلِهِنَّ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع منها:

أولاً: في الهبة وفضلها والتحريض عليها^(١) من طريق شيخه آدم ولفظه: «أهدت أم حفيد خالة ابن عباس إلى النبي ﷺ أقطًا وسمناً وأضبًا^(٢)، فأكل النبي ﷺ من الأقط والسمن، وترك الضب تقذراً، قال ابن عباس: فأكل

(١) باب: قبول الهدية (٣/ ١٥٥) رقم (٢٥٧٥).

(٢) وأضبًا: بضم الضاد المعجمة وتشديد الموحدة جمع ضب، ووقع في رواية الكشميهني

بالإفراد. ذكره الحافظ هنا (١٣/ ٣٣٢).

على مائدة رسول الله ﷺ، ولو كان حرامًا ما أكل على مائدة رسول الله ﷺ».

ثانيًا: في الأطعمة^(١) من طريق شيخه أبي النعمان.

وأخرجه مسلم في الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان^(٢) من طريق شيخه محمد بن بشار، وأبي بكر بن نافع.

* الكلام على الحديث:

قوله: «فتركهن النبي ﷺ كالمتقذر لهن» إلخ.

ش/ ظاهره أن النبي ﷺ ترك أكل هذه الثلاثة متقذرًا منهن جميعًا.

ويعكر على هذا ما في رواية آدم: «فأكل النبي ﷺ من الأقط والسمن، وترك الضب تقذرًا» وهذا هو وجه الإشكال، إذ السمن والأقط من الأطعمة المعروفة عند أهل مكة والمدينة.

والجمع بين هذه الرواية وما في معناها وبين رواية الباب: بالحمل على تعدد الواقعة، ويؤيده حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري، أن ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أن خالد بن الوليد الذي يقال له سيف الله، أخبره أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة، وهي خالته وخالة ابن عباس، فوجد عندها ضبًا محنودًا قد قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد، فقدمت

(١) باب: الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة (٧/ ٧٠) رقم (٥٣٨٩).

(٢) باب: إباحة الضب (٣/ ١٥٤٤) رقم (١٩٤٧).

الضب لرسول الله ﷺ، وكان قلما يقدم يده لطعام حتى يُحدث به ويُسمي له.
فأهوى رسول الله ﷺ يده إلى الضب، فقالت امرأة من النسوة الحضور:
أخبرون رسول الله ﷺ ما قدمتن له، هو الضب يا رسول الله، فرفع رسول الله
ﷺ يده عن الضب، فقال خالد بن الوليد: أحرام الضب يا رسول الله؟ قال:
«لا، ولكن لم يكن بأرض قومي، فأجدني أعافه» قال خالد: فاجتررتة فأكلته،
ورسول الله ﷺ ينظر إلي^(١).

فهذا الحديث صريحٌ في أن النبي ﷺ ترك أكل الضب فقط.
وفي الحديث دليل على أن السنة التقريرية الصحيحة من أدلة الأحكام،
وهذا هو شاهد الحديث للترجمة.

فالسنة المحتج بها:

- قولية: مثل: «إنما الأعمال بالنيات»^(٢)، «بني الإسلام على خمس»^(٣).

-
- (١) باب: ما كان النبي ﷺ لا يأكل حتى يسمي له، فيعلم ما هو (٧/٧١) رقم (٥٣٩١).
(٢) متفق عليه: البخاري في كتاب بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (١/٦)
رقم (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه
يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (٣/١٥١٥) رقم (١٩٠٧).
(٣) متفق عليه: البخاري في كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»
(١/١١) رقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام
(١/٤٥) رقم (١٦).

- وفعلية: ومن أمثلتها: قيامه، وركوعه، ورفعته، واعتداله، وسجوده، وجلوسه بين السجدين بياناً لصفة الصلاة.

- تقريرية: كما في حديث الباب وما في معناه.

ويشترط في السنة التقريرية شروط:

منها: أن يسمع النبي ﷺ القول أو يرى الفعل أو يعلمه أو يعلم ذلك فلم ينكر منه شيئاً.

ومنها: أن يكون المقرر من أهل الإسلام.

وبهذا يُعلم أن تركه ﷺ اليهود والنصارى مفطرين في نهار رمضان ليس إقراراً لهم على ذلك؛ لأنهم كفار.

ومنها: أن يكون الحادث المقر في زمنه ﷺ.



الحديث السابع والثمانون

٧٣٥٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلِيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»، وَإِنَّهُ أُمِّيٌّ بَدْرٌ - قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَعْنِي طَبَقًا - فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ، فَقَالَ: «قَرَّبُوهَا»، فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ: «كُلْ؛ فَإِنِّي أَنَا جِي مِّنْ لَا تُنَاجِي».

وَقَالَ ابْنُ عُفَيْرٍ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ: بِقَدْرِ فِيهِ خَضِرَاتٌ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّبِيثُ وَأَبُو صَفْوَانَ عَنْ يُونُسَ قِصَّةَ الْقَدْرِ؛ فَلَا أَدْرِي هُوَ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَوْ فِي الْحَدِيثِ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في الأذان^(١) من طريق شيخه عبد الله بن محمد،

(١) باب: ما جاء في الثوم الني والبصل والكراث (١/ ١٧٠) رقم (٨٥٥).

وأيضاً من طريق شيخه سعيد بن عفير.

وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة^(١) من طريق شيخه أبي بكر بن أبي شيبة بلفظ: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها، فقال: «من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجداً؛ فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنسان».

❖ الكلام على الحديث:

ش/ في الحديث بضميمة رواية مسلم كما نقلنا، فائدتان تظهر بهما مطابقة الحديث للترجمة:

الأولى: نهى أكل الثوم والبصل والكراث عن قرب مساجد المسلمين؛ حتى لا يؤذيهن بنتن الرائحة.

الثانية: أنه لا مانع من الأكل من هذه الأشجار إذا كانت مطبوخة لحديث عمر رضي الله عنه: «أيها الناس، تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين هذا البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليمتهما طبعاً».

وإن قال قائل: لم لم يأكل منها رسول الله ﷺ؟

قلنا: بين رسول الله ﷺ علة ذلك، ألا تراه قال: «كُلْ؛ فإنني أناجي من

(١) باب: نهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها (١/ ٣٩٤) رقم (٥٦٣).

لا تناجي»، والمعنى: أنه ﷺ يناجي جبريل ﷺ.

وانظر شرح الحديث في الكتاب الآخر إن شئت^(١).



(١) كتاب الصلاة، باب: كراهية أكل الثوم وإتيان المساجد، وباب: اعتزال المسجد من أكل البصل والكراث والثوم، وباب: إخراج من وجد منه ريح البصل والثوم من المسجد.

الحديث الثامن والثمانون

٧٣٦٠- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ إِبرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَعَمِّي،
قَالَا: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، أَنَّ أَبَاهُ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ
أَخْبَرَهُ: أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَقَالَتْ:
أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ أَجِدْكَ؟ قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ».
زَادَ لَنَا الْحُمَيْدِيُّ، عَنْ إِبرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ: كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في أصحاب النبي ﷺ^(١) من طريق شيخه الحميدي، ومحمد
ابن عبيد الله.

الثاني: في الأحكام^(٢) من طريق شيخه عبد العزيز بن عبد الله.

(١) باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٥/٥) رقم (٣٦٥٩).

(٢) باب: الاستخلاف (٧١/٩) رقم (٧٢٢٠).

وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة^(١) من طريق شيخه عباد بن موسى.

* الكلام على الحديث:

ش / ومطابقة الحديث للترجمة في قوله ﷺ: «فأتي أبا بكر» جوابًا على سؤال المرأة: أرأيت يا رسول الله، إن لم أجذك؟ وهذا فيه منقبة من مناقب الصديق ﷺ تدل على فقهه، وغزير علمه، وفيه الإشارة إلى إمامته.

وفضائل الصديق ﷺ أجمع عليها أهل السنة، كما أجمع المسلمون على نفوذ بيعته حين بايعه أهل المدينة فكانوا تبعًا لهم.

ولم يخالف في ذلك إلا الرافضة ولا عبرة بمخالفتهم؛ لأنهم من أهل الأهواء، ومن أئمة أهل السنة من كفرهم، فلا تغتر بدفاع جمال الدين القاسمي عنهم وعن غيرهم من أهل الأهواء ووصفهم بأنهم مجتهدون، فإن الرجل مبتدع ضال مضل.



(١) باب: من فضائل أبي بكر ﷺ (٤/١٨٥٦) رقم (٢٣٨٦).

[الباب الخامس والعشرون]

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ»

* شرح الترجمة:

مراد المصنف رَحِمَهُ اللهُ بهذه الترجمة ليس مجملاً كما يتبادر من ظاهرها، بل إيضاحه في نصوص الباب وما هو في معناها كما سنورده - إن شاء الله تعالى -.



الحديث التاسع والثمانون

٧٣٦١- وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعَ مُعَاوِيَةَ، يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ، وَذَكَرَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ».

❖ الكلام على الحديث:

قوله: «رهطًا من قريش» لم أقف على تعيينهم.

وقوله: «بالمدينة» يعني لما حج في خلافته.

قوله: «إن كان من أصدق» إن مخففة من الثقيلة، ووقع في رواية أخرى: لمن أصدق، بزيادة اللام المؤكدة.

قوله: «يحدثون عن أهل الكتاب»؛ أي: القديم فيشمل التوراة والصحف، وفي رواية الذهلي في الزهريات عن أبي اليمان بهذا السند: يتحدثون، بزيادة مشاة.

قوله: «لنبلو» بنون ثم موحدة؛ أي: نختبر.

وقوله: «عليه الكذب»؛ أي: يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به.
قال ابن التين: وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور بدل من قبله فوقع في الكذب.

قال: والمراد بالمحدثين أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يحدث عنهم وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها، قال: ولعلمهم كانوا مثل كعب، إلا أن كعبًا كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه.

وقال ابن حبان في كتاب «الشقات»: «أراد معاوية أنه يخطئ أحيانًا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابًا».

وقال غيره: الضمير في قوله: «لنبلو عليه» للكتاب لا لكعب؛ وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه.

وقال عياض: يصح عوده على الكتاب ويصح عوده على كعب وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده؛ إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه وليس فيه تجريح لكعب بالكذب.

وقال ابن الجوزي: المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبًا لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحرار^(١).

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٣٣٤).

ش/ قلت: وكعب هو «كعب بن ماته الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأخبار، ثقة من الثانية مخضرم، كان من أهل اليمن، فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة وليس له في البخاري رواية إلا حكاية لمعاوية فيه «عنه» وله في مسلم رواية لأبي هريرة عنه «فيه» من طريق الأعمش عن أبي صالح، خ م د ت س فق»^(١).

ش/ قال عبيد: والخلاصة:

أولاً: أن كعب الأخبار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس الكذب مسلماً له ولأمثاله.
ثانياً: أن ما يقع في حديثه أو كتبه هو من الخطأ وليس من الكذب المتعمد.

ثالثاً: في الحديث منقبة من مناقب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي التثبت في النقل، وسبر المنقول، أهو مما يعول عليه أو لا.

ويجب على كل صاحب سنة أن يكون حاذقاً ذا بصيرة فيما يسمعه وينقله، ولا يغتر بحديث كل محدث، فكم من محدث يقع في أخطاء يضر قبولها، وكم من محدث يظهر في حديثه من الحُسن وجمال القول خلاف ما يبطنه من المسلك المنحرف.

وهاك ما فيه موعظة وبصيرة لمن كان متعظاً مستبصراً طلبته الحق

(١) «تقريب التهذيب» (ص ٤٦١).

لا يفتش عن سواه، ولا يغتر بجمال المنطق، ولين القول، وفصاحة العبارة.

عن «علي بن أبي خالد قال: نقل عن إمامنا أشياء.....

منها: قال: قلت لأحمد: إن هذا الشيخ - لشيخ حضر معنا - هو جاري وقد نهيته عن رجل ويحب أن يسمع قولك فيه، حارث القصير - يعني: حارثاً المحاسبي - كنت رأيته معي منذ سنين كثيرة فقلت لي: لا تجالسه ولا تكلمه فلم أكلمه حتى الساعة، وهذا الشيخ يجالسه فما تقول فيه؟

فرايت أحمد قد احمر لونه وانتفخت أوداجه وعيناه وما رأيته هكذا قط، ثم جعل ينتفض ويقول: ذاك فعل الله به وفعل، ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه أويه أويه ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه، ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان فأخرجهم إلى رأي جهنم هلكوا بسببه.

فقال له الشيخ: يا أبا عبد الله، يروي الحديث ساكن خاشع من قصته ومن قصته، فغضب أبو عبد الله وجعل يقول: لا يغرك خشوعه ولينه، ويقول: لا تغتر بتكيس رأسه فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره، لا تكلمه ولا كرامة له، كل من حدث بأحاديث رسول الله ﷺ وكان مبتدعاً تجلس إليه لا ولا كرامة ولا نُعمَى عين، وجعل يقول: ذاك ذاك»^(١).



(١) «طبقات الحنابلة» (ص ٩١).

الحديث التسعون

٧٣٦٢- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمرٍ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ... الْآيَةَ».

* التخریج:

أخرجه المصنف من التفسير^(١) من طريق شيخه محمد بن بشار، وكذا في التوحيد^(٢).

* الكلام على الحديث:

ش / شاهد الترجمة من الحديث في قوله ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ» إلخ.

(١) باب: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ (٢٠/٦) رقم (٤٤٨٥).

(٢) باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها (١٥٧/٩) رقم (٧٥٤٢).

وهي دليلٌ على نهى المسلم عن الركون إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأنه يجب عليه إذا أخبروه بشيء ألا يصدقه مطلقاً ولا يكذبهم مطلقاً، بل يعرضه على ما جاء في كتابنا وهو القرآن، فإن صدقه القرآن قبله، وإن كذبه القرآن ردّه، وإن لم يكن في القرآن تصديقٌ وتكذيبٌ له توقف فيه.

وهذا دليل على أن شرع محمد ﷺ فيه الغنية عما سواه من الشرائع، كما ستعرف ذلك بعد - إن شاء الله تعالى -، وانظر معنى هذا الحديث في التفسير^(١).



(١) باب: ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ (٦/٢٠) رقم (٤٤٨٥).

الحديث الحادي والتسعون

٧٣٦٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شَهَابٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدُ، تَقْرَأُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَسْتَرْوَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؟ أَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ».

* التخریج:

أخرجه في مواضع:

الأول: في الشهادات^(١) من طريق شيخه يحيى بن بكير.

الثاني: في التوحيد^(٢) من طريق شيخه علي بن عبد الله ولفظه: «كيف

(١) باب: لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها (٣/ ١٨١) رقم (٢٦٨٥).

(٢) باب: قول الله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٩/ ١٥٣) رقم (٧٥٢٢).

تسألون أهل الكتاب عن كتبهم، وعندكم كتاب الله، أقرب الكتب عهداً بالله،
تقرءونه محضاً لم يُشَبَّ».

الثالث: أيضاً في التوحيد^(١) من طريق أبي اليمان ولفظه: «يا معشر
المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على
نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب، وقد حدثكم الله: أن أهل
الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم الكتب، قالوا: هو من
عند الله؛ ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً، أولاً ينهاكم ما جاءكم من العلم عن
مسألتهم؟ فلا والله، ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم».

* الكلام على الحديث:

ش/ فلعلك أيها المسلم وعيت هذا الحديث، وأدركت ما تضمنه
وهي الفوائد التي تكشف عن مطابقته للترجمة، ونحن ذكروها - إن شاء الله
تعالى -؛ كي يدرك القارئ ما فات عليه منها.

فنقول وبالله التوفيق:

الفائدة الأولى: النص الصريح على أن شريعة محمد ﷺ فيها الغنية
والكفاية؛ وذلك لأن الله نسخ بها ما سبقها من الشرائع.

الفائدة الثانية: ما يوجب الحذر من الركون إلى أهل الكتاب وذلك

(١) باب: قول الله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (١٥٣/٩) رقم (٧٥٢٣).

أنهم بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم ونسبوه إلى الله كذبًا وزورًا وتلبسًا على عباد الله.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

فكيف يوثق بمن هذه سبيله؟

ويزيد ذلك تأكيدًا ووضوحًا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «يعني بقوله -جل ثناؤه-: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم.

(١) [البقرة: ٧٩].

(٢) [البقرة: ١٢٠].

ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهوديًا نصرانيًا، وذلك مما لا يكون منك أبدًا، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة.

وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل، وأما (الملة) فإنها الدين، وجمعها الملل^(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْمُهْدَىٰ﴾؛ أي: قل يا محمد: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى؛ يعني: هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قال قتادة في قوله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْمُهْدَىٰ﴾ قال: خصومة عَلمها الله محمدًا ﷺ وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة.

قال قتادة: وبلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقتتلون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢/ ٥٦٢).

قلت: هذا الحديث مُخَرَّج في الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ^(١).

﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾؛

فيه تهديد ووعد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعد ما علموا من القرآن والسنة عياداً بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول، والأمر لأئمة.

وقد استدلل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿حَتَّى تَبْغِ مِلَّتَهُمْ﴾ حيث أفرد الملة

على أن الكفر كله ملة واحدة، كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ^(٢)، فعلى

هذا لا يتوارث المسلمون والكفار، وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل

دينه أم لا؛ لأنهم كلهم ملة واحدة، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد

في رواية عنه، وقال في الرواية الأخرى كقول مالك: إنه لا يتوارث أهل

ملتين شتى، كما جاء في الحديث، والله أعلم ^(٣).

ش/ قال مقبده: فالزم يا من خالطت السنة بشاشة قلبه كلام هذين

الإمامين؛ فإنه مبني على الدليل، ودعك من زخارف القيل؛ فإنها لا تسلك

بك إلا بنايات الطريق.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق

لا يضرهم من خالفهم» (٣/١٥٣٤) رقم (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو

رضي الله عنه، وأيضاً من حديث ثوبان رضي الله عنه (٣/١٥٢٣) برقم (١٩٢٠) وهذا لفظه.

(٢) [الكافرون: ٦].

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٠٢).

[الباب السادس والعشرون] باب كراهية الخلاف

※ شرح الترجمة:

في هذه الترجمة تنبيه إلى أن العصمة كل العصمة في الاجتماع على ما جاء في الكتاب العزيز وسنة النبي ﷺ، وكراهية الاختلاف في ذلك.

واعلم أن الكراهية في قول البخاري رَحَلَهُ نَهَى عن الاختلاف أيًا كان، وهذا ظاهرٌ في أحاديث الباب يعيه كل كيس فطن ناصح لنفسه لبيب.

ولابد هاهنا من بيان أمور:

الأول: لا يخالط قلب كل كيس فطن ناصح لنفسه لبيب شك ولا ريب في أن الاجتماع على أصول الدين وفروعه خيرٌ من الاختلاف؛ لما فيه من جمع كلمة المسلمين، وتقوية رابطة المحبة في الله بينهم، وتقوية جمعهم على أعدائهم من الكفار والمشركين.

الثاني: يجب أن تعلم أيها المسلم هُديت الرشد والسداد في الأقوال والأعمال أن الاختلاف بين أهل العلم من المسلمين على ضربين:

- الأول: خلافٌ فيما لا مجال فيه للرأي ولا مسرح فيه للاجتهاد، وهو

ما كان في أصول الدين (الاعتقاد)، فهذا الضرب من الخلاف ممقوت ومذموم؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم تلقوا ذلك عن النبي ﷺ وأجمعوا عليه، وتبعهم من بعدهم من أئمة العلم والإيمان والدين، ولم يخالف في ذلك إلا أهل الأهواء مع اختلاف توجهاتهم.

وبهذا تعلم فساد القول (إن الصحابة اختلفوا في العقيدة)، وقد رددنا هذه المقولة في مواضع منها: «تحذير أولي الألباب من المقالات المخالفة للصواب»^(١).

- الثاني: اختلاف في الأحكام التي فيها مجال للاجتهاد ومسرح للنظر، فما علمنا أن أحداً من المختلفين ثرّب على الآخر ما دام الكل عنده من الأدلة ما يسند مذهبه ونظره، وإن كان بعض الفريقين يترجح لديه خلاف ما رآه الآخر فله أن يظهر ما يرجح قوله بالدليل، دون تثريب على مخالفه.

الثالث: أسباب الخلاف بين أهل العلم:

«وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة:

- السبب الأول: ألا يكون الحديث قد بلغه، ومن لم يبلغه الحديث لم يكلف أن يكون عالمًا بموجبه وإذا لم يكن قد بلغه.

- السبب الثاني: أن يكون الحديث قد بلغه لكنه لم يثبت عنده إما لأن محدثه أو محدث محدثه أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده أو متهم أو سيئ الحفظ.

- السبب الثالث: اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره مع قطع النظر عن طريق آخر سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معهما عند من يقول: كل مجتهد مصيب.

ولذلك أسباب:

منها: أن يكون المحدث بالحديث يعتقد أحدهما ضعيفاً، ويعتقده الآخر ثقة.

ومعرفة الرجال علم واسع، ثم قد يكون المصيب من يعتقد ضعفه لاطلاعه على سبب جرح وقد يكون الصواب مع الآخر لمعرفته أن ذلك السبب غير جرح، إما لأن جنسه غير جرح، أو لأنه كان له فيه عذر يمنع الجرح.

وهذا باب واسع وللعلماء بالرجال وأحوالهم في ذلك من الإجماع

والاختلاف مثل ما لغيرهم من سائر أهل العلم في علومهم.

ومنها: ألا يعتقد أن المحدث سمع الحديث ممن حدث عنه، وغيره يعتقد أنه سمعه لأسباب توجب ذلك معروفة.

ومنها: أن يكون للمحدث حالان: حال استقامة وحال اضطراب، مثل أن يخلط أو تحترق كتبه، فما حدث به في حال الاستقامة صحيح وما حدث به في حال الاضطراب ضعيف، فلا يدري ذلك الحديث من أي النوعين؟ وقد علم غيره أنه مما حدث به في حال الاستقامة.

ومنها: أن يكون المحدث قد نسي ذلك الحديث فلم يذكره فيما بعد، أو أنكر أن يكون حديثه معتقداً أن هذا علة توجب ترك الحديث، ويرى غيره أن هذا مما يصح الاستدلال به. والمسألة معروفة.

ومنها: أن كثيراً من الحجازيين يرون ألا يحتج بحديث..

- السبب الرابع: اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ شروطاً يخالفه فيها غيره.

- السبب الخامس: أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده لكن نسيه، وهذا يرد في الكتاب والسنة.

- السبب السادس: عدم معرفته بدلالة الحديث تارة لكون اللفظ الذي في الحديث غريباً عنده مثل: لفظ المزانة والمحاولة والمخبرة والملاسة...

- السبب السابع: اعتقاده أن لا دلالة في الحديث.

- السبب الثامن: اعتقاده أن تلك الدلالة قد عارضها ما دل على أنها ليست مرادة، مثل: معارضة العام بخاص أو المطلق بمقيد أو الأمر المطلق بما ينفي الوجوب أو الحقيقة بما يدل على المجاز إلى أنواع المعارضات، وهو باب واسع أيضًا.

- السبب التاسع: اعتقاده أن الحديث معارض بما يدل على ضعفه، أو نسخه، أو تأويله إن كان قابلاً للتأويل بما يصلح أن يكون معارضاً بالاتفاق مثل آية أو حديث آخر أو مثل إجماع...

- السبب العاشر: معارضته بما يدل على ضعفه أو نسخه أو تأويله مما لا يعتقده غيره أو جنسه معارض، أو لا يكون في الحقيقة معارضاً راجحاً.

فهذه الأسباب العشرة ظاهرة، وفي كثير من الأحاديث يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها، فإن مدارك العلم واسعة^(١). اهـ من «رفع الملام» باختصار.

قال مقيده: فافقه هذه الأسباب، فإنه لا يستغني عنها كل ناصح لنفسه وغيره، فإن خلاصتها تنبيه إلى ما يجري بين أهل العلم والأئمة من اختلاف في الأحكام، وليست هي مطلقة لأن أصول الدين ليس فيها اختلاف بين

(١) «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» (ص ٩-٣٣).

أئمة أهل السنة، وإنما الاختلاف فيها بينهم وبين أهل الأهواء ولا عبرة
بمخلافهم، بل العبرة فيما أجمع عليه أهل السنة في هذا الباب.



الحديث الثاني والتسعون

٧٣٦٤- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سَلَامِ بْنِ أَبِي مُطَيْعٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا اتَّخَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَاقْرَءُوا عَنْهُ». قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «سَمِعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سَلَامًا».

* التخریج:

أخرجه المصنف في فضائل القرآن^(١) من طريق شيخه أبي النعمان، وأخرجه أيضًا^(٢) من طريق شيخه عمرو بن علي. وأخرجه مسلم في العلم^(٣) من طريق شيخه يحيى بن يحيى. * الكلام على الحديث:

«قوله: «فإذا اختلفتم»؛ أي: في فهم معانيه «فقوموا عنه»؛ أي: تفرقوا

(١) باب: اقرءوا القرآن ما اتلقت عليه قلوبكم (١٩٨/٦) رقم (٥٠٦٠).

(٢) المصدر السابق رقم (٥٠٦١).

(٣) باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن (٢٠٥٣/٤) رقم (٢٦٦٧).

لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر.

قال عياض: يحتمل أن يكون النهي خاصاً بزمناه ﷺ لئلا يكون ذلك سبباً لنزول ما يسوؤهم كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ فَسَوْكُمْ﴾^(١).

ويحتمل أن يكون المعنى: اقرءوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فاتركوا القراءة وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة، وهو كقوله: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأحدروهم».

ويحتمل أنه ينهى عن القراءة إذا وقع الاختلاف في كيفية الأداء بأن يتفرقوا عند الاختلاف ويستمر كل منهم على قراءته.

ومثله ما تقدم عن ابن مسعود لما وقع بينه وبين الصحابين الآخرين الاختلاف في الأداء فترافعوا إلى النبي ﷺ فقال: «كلكم محسن» وبهذه النكتة تظهر الحكمة في ذكر حديث ابن مسعود عقيب حديث جندب^(٢) رضي الله عنه.

(١) [المائدة: ١٠١].

(٢) يشير رحمته الله إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع النبي ﷺ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فقال: «كلاكما محسن فاقرأ» أكبر علمي، قال: «فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا» أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب: اقرءوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم (١٩٨/٦) رقم (٥٠٦٢).

(٣) «فتح الباري» (٩/ ١٠١).

ش / قال مقيده: والذي يظهر لي - والله أعلم - أن الاختلاف الذي أمر النبي ﷺ بالقيام عن القرآن حال وجوده هو الاختلاف في المعنى، بحيث أن كلاً من القراء ينازع صاحبه ويجادله في معنى الآية، فإن هذا هو الذي يوجب الاختلاف في القلوب، ويورثها التدابر ويبعث على التقاطع والتباغض.

ويؤيد ما قلناه حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفتقاً في وجهه حبُّ الرمان من الغضب، فقال: «بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم» قال: فقال: عبد الله بن عمرو، ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه^(١) أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر ينزع هذا بآية وينزع هذا بآية، فخرج علينا رسول الله ﷺ كما يفتقاً في وجهه حبُّ الرمان فقال: «يا هؤلاء، بهذا بعثتم أم بهذا أمرتم؟ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢) وعزاه المنذري إلى الطبراني في الكبير، وصححه الألباني.

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الإيمان وفصائل الصحابة والعلم، باب: في القدر (٣٣/١) رقم (٨٥)، قال الألباني: حسن صحيح، «صحيح ابن ماجه» برقم (٨٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، باب: السين، وما أسند أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (٣٧/٦) رقم (٥٤٤٢)، وقال الألباني: صحيح لغيره، في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١٤٠).

الحديث الثالث والتسعون

٧٣٦٥ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: عَنْ هَارُونَ الْأَعْوَرِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ.

* الكلام على الحديث:

ش / مكرر ما قبله.

ووجه مطابقة الحديثين للترجمة: في الحث على الاجتماع على القرآن والتحذير من الاختلاف فيه، وقد أمر الله ﷻ بذلك في كتابه العزيز؛ قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١) الآية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

(١) [آل عمران: ١٠٣].

وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١﴾ قِيلَ ﴿يَحْبِلُ اللَّهُ﴾؛ أي: بعهد الله، كما قال في الآية بعدها: ﴿صُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾^(١)؛ أي بعهد وذمة، وقيل: ﴿يَحْبِلُ مِّنَ اللَّهِ﴾؛ يعني: القرآن.

وقد وَرَدَ في ذلك حديث خاص بهذا المعنى، فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثنا أسباط بن محمد، عن عبد الملك بن أبي سليمان العَرَزَمِي، عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»^(٢).

وروى ابن مَرْدُويه من طريق إبراهيم بن مسلم الهَجَرِي، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ وَهُوَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِّمَن تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِّمَن اتَّبَعَهُ)....^(٣).

ش/ قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا إسناد لا بأس به في المتابعات، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير الهجري واسمه إبراهيم بن مسلم وهو لين الحديث. ومن طريقه أخرجه الحاكم (١/ ٥٥٥) وقال: «صحيح الإسناد»، ورده الذهبي بقوله: «إبراهيم ضعيف».

(١) [آل عمران: ١١٢].

(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن»، تفسير سورة آل عمران (٧/ ٧٢) رقم (٧٥٧٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٠٢٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٩).

وله متابع آخر أخرجه الحاكم (١/ ٥٦٦) عن عاصم بن أبي النجود عن أبي الأحوص به نحو حديث عطاء وقال: «صحيح الإسناد» وأقره الذهبي.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨٠٨) موقوفاً: أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص به، و شريك سبى الحفظ»^(١).

ش/ قلت: وعلى هذا فالحديث بمجموع طرقه صحيح، وينضاف إلى ذلك أن بعض جملة صحيحه عن النبي ﷺ.

«وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أَمَرُهُم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف»^(٢).

* سؤال مهم والجواب عنه:

كيف الجواب عن استدلال كل جماعة من الجماعات الدعوية الحديثة على ما تراه بهذه الآية؟

والجواب: عن هذا السؤال من وجهين:

الأول: أن كل جماعة من الجماعات الدعوية الحديثة ومنها جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين تستمد منهجها من الأصول التي أسست لها من قبل مؤسسيها، وليس شيء منها عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع،

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ١٥٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٩).

وقد بُسّط الكلام في هاتين الجماعتين وغيرهما في مواضع بما يغني عن إعادته هنا.

الثاني: أن ما أمر الله به من الاعتصام بحبله والنهي عن التفرق ليس مجملًا، بل جاء بيانه عمن جعله الله وحده معدنًا للبيان عنه، وهاك بيانه ﷺ:

«أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به.... فحث على كتاب الله ورغب فيه»^(١) أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم ﷺ وله قصة.

قال مقبده -عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانته-:

فإياك إياك يا من ابتغيت السنة منهجًا تسلكه في السير إلى الله ﷻ أن تغتر بمثل هذه الدعوات، وتَمَسَّك بكتاب ربك وسنة نبيك ﷺ.

وما أحسن ما قاله الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «فاصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»^(٢).

قال عبيد: فالزم هذه الوصية؛ فإنها عن رجلٍ من أئمة السنة.

(١) كتاب الفضائل، باب: فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٤/ ١٨٧٣) رقم (٢٤٠٨).

(٢) «الإيانة الكبرى» لابن بطة، باب: سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت، وكيف الجواب له،

وكراهية العلماء هذا السؤال وتبديع السائل عن ذلك (٢/ ٨٨٢) رقم (١٢١٦).

الحديث الرابع والتسعون

٧٣٦٦- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ، وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: «هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ»، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْطَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «قُومُوا عَنِّي»، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ إِخْتِلَافِهِمْ وَلَغْطِهِمْ».

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في العلم^(١) من طريق شيخه يحيى بن سليمان، وقال في آخره:

(١) باب: كتابة العلم (١/ ٣٤) رقم (١١٤).

«قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع».

الثاني: في الجهاد والسير^(١) من طريق شيخه قبيصة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: اثتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة.

وقال يعقوب بن محمد: سألت المغيرة بن عبد الرحمن عن جزيرة العرب: فقال مكة، والمدينة، واليمامة، واليمن، وقال يعقوب: والعرج: أول تهامة».

الثالث: وفي الجزية^(٢) من طريق شيخه محمد.

الرابع: وفي المغازي من طريق شيخه قُتَيْبَةُ وهو ابن سعيد^(٣)، وأيضاً من طريق شيخه علي بن عبد الله^(٤).

(١) باب: هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم؟ (٦٩/٤) رقم (٣٠٥٣).

(٢) باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب (٩٩/٤) رقم (٣١٦٨).

(٣) باب: مرض النبي ﷺ ووفاته (٩/٦) رقم (٤٤٣١).

(٤) باب: مرض النبي ﷺ ووفاته (٩/٦) رقم (٤٤٣٢).

الخامس: في المرضى^(١) من طريق شيخه إبراهيم بن موسى.

وأخرجه مسلم في الوصية^(٢) من طريق شيخه إسحاق بن إبراهيم ولفظه: «يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: اتتوني بالكتف والدواة -أو: اللوح والدواة- أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر». »

* الكلام على الحديث:

وفي الحديث من الفوائد ما يدل على مطابقته للترجمة:

الفائدة الأولى: حرص النبي ﷺ على أن يجمع لأمته ما بلغهم إياه في كتاب حتى يكون الرجوع إليه سهلاً ميسوراً، وهذا من شفقه على أمته وحرصه على أن يبقوا على هديه من بعده.

وفي الكتاب العزيز: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣).

الثانية: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا يفيد قول ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) باب: قول المريض قوموا عني (١٢٠/٧) رقم (٥٦٦٩).

(٢) باب: ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه (١٢٥٩/٣) رقم (١٦٣٧).

(٣) [التوبة: ١٢٨].

«إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم».

وليس هذا تسخطاً من ابن عباس رضي الله عنه؛ ولكنه قال ذلك حرصاً على ما عزم عليه رسول الله ﷺ وحيل بينه وبينه، لشدة الوجد ثم الوفاة، وإيضاحه أن ابن عباس رضي الله عنه هو من أعلم الناس بسنة النبي ﷺ.

الثالثة: فقه عمر رضي الله عنه، ألا تراه قال: «وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله»، والمعنى: أنه رضي الله عنه يدعو المسلمين إلى الأخذ بما بلغهم رسول الله ﷺ والاجتماع عليه.

الرابعة: وجوب توقير النبي ﷺ وعدم التنازع بحضرته، ألا ترى أن ابن عباس رضي الله عنه قال: «فلما أكثروا اللغظ والاختلاف عند النبي ﷺ قال: قوموا عني»، وفي رواية يحيى بن سليمان: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع»، وفي رواية قبيصة: «فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع».

وهذا يدل على وجوب الاجتماع على سنته ﷺ، والنهي عن التفرق في الدين.

[الباب السابع والعشرون]

بَابُ نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى التَّحْرِيمِ
إِلَّا مَا تُعْرَفُ إِبَاحَتُهُ، وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ

نَحْوَ قَوْلِهِ حِينَ أَحَلُّوا: «أَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ».

وَقَالَ جَابِرٌ: «وَلَمْ يُعْزَمَ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَحَلَّ لَهُمْ».

وَقَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ: «نُهِينَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَلَمْ يُعْزَمَ عَلَيْنَا».

* شرح الترجمة:

الظاهر أن المصنف رَحِمَهُ اللهُ قصد بهذه الترجمة القاعدة الأصولية المشهورة: (الأصل في الأمر الوجوب ما لم يصرفه صارف، والأصل في النهي التحريم ما لم يصرفه صارف).

قوله: «حين أحلوا: أصيبوا من النساء، وقال جابر: ولم يعزم عليهم، ولكن أحلهم لهم»:

يشير إلى حديث عطاء، قال: سمعت جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في ناس معي قال: أهملنا أصحاب محمد ﷺ بالحج خالصاً وحده، قال عطاء: قال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فقدم النبي ﷺ صبح رابعة مضت من ذي الحجة فأمرنا أن نحل،

قال عطاء: قال: حلوا وأصيبوا النساء» قال عطاء: ولم يعزم عليهم، ولكن أحلهن لهم. أخرجه مسلم.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «معناه: لم يعزم عليهم في وطء النساء بل أباحه ولم يوجبهُ»^(١).

قوله: «وقالت أم عطية: نُهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا»: ش / أخرجه هنا معلقاً، وقد وصله في الجنائز عن شيخه قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان، عن خالد الحذاء، عن أم الهذيل، عن أم عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ... فذكره.

ووصله مسلم في الجنائز من طريق شيخه يحيى بن أيوب قال، حدثنا ابن عليه، أخبرنا أيوب، عن محمد بن سيرين، قال: قالت أم عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ... فذكره.

ومن طريق شيخه أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عيسى بن يونس، كلاهما عن هشام، عن حفصة، عن أم عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ... فذكره.

قال ابن دقيق العيد في شرح الحديث: «فيه دليل على كراهية اتباع النساء الجنائز من غير تحریم، وهو معنى قولها: «ولم يعزم علينا»؛ فإن

(١) «شرح النووي على مسلم» (٨ / ١٦٣).

العزيمة دال على التأكيد، وفي هذا ما يدل على خلاف ما اختاره بعض المتأخرين من أهل الأصول: أن العزيمة ما أبيح فعله من غير قيام دليل المنع، وأن الرخصة: ما أبيح مع دليل المنع.

وهذا القول مخالف لما دل عليه الاستعمال اللغوي من إشعار العزم بالتأكيد؛ فإن هذا القول يدخل تحت المباح الذي لا يقوم دليل الحظر عليه، وقد وردت أحاديث تدل على التشديد في اتباع النساء أو بعضهن للجناز وأكثر مما يدل عليه هذا الحديث كالحديث الذي جاء في فاطمة عليها السلام ^(١) فإما أن يكون ذلك لعلو منصبها، وحديث أم عطية في عموم النساء، أو يكون الحديثان محمولين على اختلاف حالات النساء.

وقد أجاز مالك اتباعهن للجناز، وكرهه للشابة في الأمر المستنكر،

(١) يشير رحمته الله إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قبرنا مع رسول الله ﷺ يوماً يعني ميتاً، فلما فرغنا انصرف رسول الله ﷺ وانصرفنا معه، فلما حاذى بابه وقف فإذا نحن بامرأة مقبلة قال: أظنه عرفها، فلما ذهبت إذا هي فاطمة، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟ قالت: أتيت يا رسول الله أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به. فقال لها رسول الله ﷺ: فلعلك بلغت معهم الكد؟ قالت: معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر، قال: لو بلغت معهم الكد ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك». أخرجه أبو داود في الجناز، باب: التعزية (٣/ ١٩٣) رقم (٣١٢٣)، وضعفه الألباني في «صحيح وضعيف أبي داود» برقم (٣١٢٣). وأخرجه أحمد، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (١١/ ١٣٧) رقم (٦٥٧٤)، قال محققه: إسناده ضعيف.

وخالفه غيره من أصحابه فكرهه مطلقاً لظاهر الحديث»^(١).

ش/ فرجع الأمر إلى ما أفاده حديث أم عطية رضي الله عنها من نهى النساء عن اتباع الجنائز من غير عزيمة.

نعم، إذا خيف على المرأة الفتنة ومزاحمة الرجال وتعرضهن لأذى الفساق مُنعت من اتباع الجنائز لذلك.



(١) «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (ص ٢٥١).

الحديث الخامس والتسعون

٧٣٦٧- حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ الْبُرْسَانِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَنْاسٍ مَعَهُ قَالَ: أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمَرَةُ، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ، وَقَالَ: «أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ»، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: وَلَمْ يَعِزْمَ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّا نَقُولُ: لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلَّا خَمْسُ، أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا، فَنَاتِي عَرَفَةَ تَقَطُّرُ مَذَاكِيرُنَا الْمَذِي! قَالَ: وَيَقُولُ جَابِرٌ بِيَدِهِ هَكَذَا وَحَرَّكَهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتَقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدُقُكُمْ وَأَبْرُكُمْ، وَلَوْلَا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ، فَحِلُّوا، فَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ»، فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

* التخریج:

أخرجه مسلم في الحج^(١) من طريق شيخه محمد بن حاتم.

* الكلام على الحديث:

ش/ ووجه مطابقة الحديث للترجمة: وجوب الوقوف عند أمره ﷺ وعدم مجاوزته.



(١) باب: بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز أفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه (٢/ ٨٨٣) رقم (١٢١٦).

الحديث السادس والتسعون

٧٣٦٨- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ
ابْنِ بُرَيْدَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْمُزْنِيُّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا قَبْلَ صَلَاةِ
الْمَغْرِبِ»، قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ»، كَرَاهِيَةً أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً.

* التخریج:

أخرجه المصنف في التهجد^(١) من طريق شيخه أبي معمر.
وأخرجه أبو داود في أبواب التطوع وركعات السنة^(٢) من طريق شيخه
عبيد الله بن عمر ولفظه: «صلوا قبل المغرب ركعتين»، ثم قال: «صلوا قبل
المغرب ركعتين لمن شاء»، خشية أن يتخذها الناس سنة.

* الكلام على الحديث:

ش / ومطابقة الحديث للترجمة:

- (١) باب: الصلاة قبل المغرب (٥٩/٢) رقم (١١٨٣).
(٢) باب: الصلاة قبل المغرب (٢٦/٢) رقم (١٢٨١)، وصححه الألباني في «صحيح
ضعيف أبي داود» برقم (١٢٨١).

أولاً: في مشروعية الصلاة قبل المغرب يعني حين يدخل وقتها.

وثانياً: خشيته ﷺ أن يوجبها الناس على أنفسهم فتفرض عليهم فلا يطبقونها، ألا تراه قال في الثالثة: «لمن شاء».



[الباب الثامن والعشرون]

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾،

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

وَأَنَّ الْمُشَاوَرَةَ قَبْلَ الْعَزْمِ وَالتَّبَيُّنِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
[آل عمران: ١٥٩].

فَإِذَا عَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِبَشَرٍ التَّقَدُّمُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
وَشَاوَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْمَقَامِ وَالْخُرُوجِ، فَرَأَوْا لَهُ الْخُرُوجَ،
فَلَمَّا لَبَسَ لَأَمَّتُهُ^(١) وَعَزَمَ قَالُوا: أَقِمْ، فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْعَزْمِ، وَقَالَ: «لَا يَنْبَغِي
لِنَبِيِّ يَلْبَسُ لَأَمَّتُهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ».

وَشَاوَرَ عَلِيًّا وَأَسَامَةَ فِيمَا رَمَى بِهِ أَهْلُ الْإِفْكِ عَائِشَةَ فَسَمِعَ مِنْهُمَا حَتَّى
نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَجَلَدَ الزَّامِنِينَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تَنَازُعِهِمْ، وَلَكِنْ حَكَمَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ،
وَكَانَتْ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَشِيرُونَ الْأَمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ
الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا، فَإِذَا وَضَعَ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوهُ إِلَى غَيْرِهِ،

(١) لأمتة: اللامة مهموزة: الدرع. وقيل: السلاح. ولأمة الحرب: أذاته. «النهاية في غريب
الحديث والأثر» مادة: (لأم).

اِقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ.

وَرَأَى أَبُو بَكْرٍ قِتَالَ مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ تَابَعَهُ بَعْدُ عُمَرُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى مَشُورَةٍ إِذْ كَانَ عِنْدَهُ حُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَأَرَادُوا تَبْدِيلَ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» وَكَانَ الْقُرَاءَةُ أَصْحَابَ مَشُورَةٍ عُمَرَ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ.

* شرح الترجمة:

في هذه الترجمة التنبيه إلى أربعة أمور:

أحدها: الشورى، وهي أن يشاور الإمام أو من ينوب عنه من كان أهلاً للمشاورة لما عنده من العلم والفقه وما به يكون رأيه سديداً ومشورته صائبة.

وهذا نبه إليه المصنف بذكر جملتين:

إحدهما: من سورة الشورى وهي قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَتَذَكَّرُونَ﴾، والآية تامة: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

رَزَقْنَهُمْ يُفْقُونَ ﴿١﴾.

والثانية: من آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، والآية تامة: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١).

الثاني: قوله: «وأن المشاورة قبل العزم والتبين لقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ من الآية السابقة».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى مخاطباً رسوله ﷺ ممتناً عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزرجه، وأطاب لهم لفظه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾؛ أي: أي شيء جعلك لهم ليناً لولا رحمة الله بك وبهم».

قال قتادة: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ يقول: فبرحمة من الله لنت لهم. و(ما) صلة، والعربُ تصلها بالمعرفة كقوله: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مَيْشَقَهُمْ﴾ (٢)، وبالنكرة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ (٣) وهكذا ها هنا قال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾؛ أي: برحمة من الله.

(١) [الشورى: ٣٨].

(٢) [آل عمران: ١٥٩].

(٣) [النساء: ١٥٥، المائدة: ١٣].

(٤) [المؤمنون: ٤٠].

وقال الحسن البصري: هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به.

وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)...

إلى أن قال: «ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^ط الفظ: الغليظ، والمراد به هاهنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾؛ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: «إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»^(٢).

ولهذا قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^ط ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطيباً لقلوبهم؛ ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: يا رسول الله، لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى

(١) [التوبة: ١٢٨].

(٢) أخرجه البخاري في البيوع، باب: كراهية السخب في الأسواق (٦٦/٣) رقم (٢١٢٥).

لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب، فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون^(١).

وشاورهم أيضًا أين يكون المنزل؟ حتى أشار المنذر بن عمرو المعتق ليموت بالتقدم إلى أمام القوم.

وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم.

وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه ذلك السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فترك ذلك.

وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين، فقال له الصديق: إنا لم نجئ لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال.

وقال ﷺ في قصة الإفك: «أشيروا عليّ معشر المسلمين في قوم أبناؤا أهلي ورموهم، وإيم الله ما علمت على أهلي من سوء، وأبناؤهم بمن - والله - ما علمت عليه إلا خيرًا». واستشار عليًا وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنها.

فكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها.

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْغَمَّةِ الْمُرِّيَّةِ﴾ (٥/٧٣) رقم (٣٩٥٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وأخرجه أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٦/٢٢٧) رقم (٣٦٩٨) وغيره.

وقد اختلف الفقهاء: هل كان ذلك واجباً عليه، أو من باب الندب تطبيقاً لقلوبهم؟ على قولين...

إلى أن قال: وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١).

ش/ قال مقيده -عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانه-: بان لك أيها الفطن اللبيب ومن كانت طَلَبَتَه الحق أين نشده وجده، وكان سعيه في تحري السنة والتمسك بها، فيما نقلناه من كلام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أن النبي ﷺ اكتفى بمشورة السعدين والمنذر بن عمرو -رضي الله عن الجميع-، ولم يستطلع آراء غيرهم بجمع الأصوات، وهذا له نظائر كثيرة من سنة رسول الله ﷺ^(٢).

ويان لك من صريح آية آل عمران أن الإمام مخاطبٌ بالعزم فيما استبان له من عمل الشيء أو تركه.

❖ وهاهنا سؤال وهو:

عرفنا أنه امتثالاً بالكتاب الكريم أن رسول الله ﷺ شاور أصحابه في

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٤٨).

(٢) انظر: البخاري، كتاب الشركة، باب: الشركة في الطعام والنهد والعروض (٣/ ١٣٧) رقم

(٢٤٨٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة

وحرّم على النار (١/ ٥٦) رقم (٢٧).

وقائع كثيرة جاءت في السنة الصحيحة، وفي هذا أسوة حسنة لكل من ولي أمر المسلمين مبتغ فيهم سنة محمد ﷺ، فيشاور من يثق في دينه وأمانته وحسن درايته وفقهه للأمور

فأولاً: متى يشاور ولي الأمر؟

وثانياً: ما حكم هذه الشورى؟

والجواب:

أولاً: أن ولي الأمر لا يشاور فيما بان له واتضح بالدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع، بل يعزم على ما دَلَّ عليه الدليل، ألم تسمع إلى قول الحق -جل في علاه- لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

والثاني: فيما يبدو لي أن الشورى واجبة في الأمور الخفية.

وهاك كلاماً نفيساً في هذه المسألة عن عَلم من أعلام السنة:

«لا غنى لولي الأمر عن المشاورة؛ فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١) وقد روي عن أبي هريرة ؓ قال: «لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ».

وقد قيل: إن الله أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من

بعده، وليستخرج بها منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحى: من أمر الحروب، والأمور الجزئية، وغير ذلك، فغيره ﷺ أولى بالمشورة.

وقد أثنى الله على المؤمنين بذلك في قوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢٦) وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبِيرَ الْأَمْرِ وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٨﴾ (١).

وإذا استشارهم، فإن بين له بعضهم ما يجب اتباعه من كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع المسلمين، فعليه اتباع ذلك، ولا طاعة لأحد في خلاف ذلك، وإن كان عظيمًا في الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢).

وإن كان أمرًا قد تنازع فيه المسلمون، فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه ووجه رأيه، فأبي الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣).

وأولو الأمر صنفان: الأمراء والعلماء، وهم الذين إذا صلحوا صلح

(١) [الشورى: ٣٦-٣٨].

(٢) [النساء: ٥٩].

(٣) [النساء: ٥٩].

الناس، فعلى كل منهما أن يتحرى بما يقوله ويفعله طاعة الله ورسوله، واتباع كتاب الله.

ومتى أمكن في الحوادث المشكلة معرفة ما دل عليه الكتاب والسنة كان هو الواجب، وإن لم يمكن ذلك لضيق الوقت أو عجز الطالب، أو تكافؤ الأدلة عنده أو غير ذلك، فله أن يقلد من يرتضي علمه ودينه، هذا أقوى الأقوال»^(١) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

الثالث: في قوله: «فإذا عزم الرسول ﷺ لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله»: «

وهذا أشار به رَحِمَهُ اللهُ إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «يعني - تعالى ذكره - بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يا أيها الذين أقرؤا بوحدانية الله، وبنبوة نبيه محمد ﷺ ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكي عن العرب: فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنى: يعجل بالأمر والنهي دونه.

(١) «السياسة الشرعية» (ص ١٢٦-١٢٧).

(٢) [الحجرات: ١].

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه».

ش/ وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وعبد الرحمن بن زيد وسفيان.

«وقوله: ﴿وَأَنفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) يقول: وخافوا الله أيها الذين آمنوا في قولكم أن تقولوا ما لم يأذن لكم به الله ولا رسوله، وفي غير ذلك من أموركم وراقبوه، إن الله سميع لما تقولون، عليم بما تريدون بقولكم إذا قلتم، لا يخفى عليه شيء من ضمائر صدوركم، وغير ذلك من أموركم وأمر غيركم»^(٢).

ش/ قلت: وفي معنى ما تضمنته هذه الآية من وجوب الانقياد لحكم الله وحكم رسوله ﷺ من الآيات الكثيرة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٣) القضاء هنا شرعي، ﴿وَمَا كَانَ﴾ ينبغي.

قال ابن سعدي رحمه الله: «أي: لا ينبغي ولا يليق ممن اتصف بالإيمان إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وامتنال

(١) [الحجرات: ١].

(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢٢/ ٢٧٢-٢٧٧).

(٣) [الأحزاب: ٣٦].

أمرهما واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة ﴿إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ من الأمور، وحثهما به وألزمهما به ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حاجباً بينه وبين أمر الله ورسوله.

﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾؛ أي: بيناً، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله إلى غيرها من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولاً السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك وهو التخويف بالضللال الدال على العقوبة والنكال^(١).

ش / قلت: وفيما قدمناه من الآيات وكلام المفسرين عليها بان أتم البيان - إن شاء الله - أنه يجب على المسلم تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، كما يجب عليه تجريد الإخلاص لله وحده، وهذان شرطان لا يقبل الله من عبد قربته حتى يجمعهما فيها.

الأمر الرابع: قوله:

١ - وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج فلما لبس لأمنته وعزم قالوا: أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: «لا ينبغي لنبي يلبس لأمنته فيضعها حتى يحكم الله».

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٦٦٥).

٢- وشاور علياً وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن، فجلد الرامين، ولم يلتفت إلى تنازعهم، ولكن حكم بما أمره الله.

٣- وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره، اقتداء بالنبي ﷺ.

٤- ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»؛ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين ما جمع رسول الله ﷺ، ثم تابعه بعد عمر فلم يلتفت أبو بكر إلى مشورة إذ كان عنده حكم رسول الله ﷺ في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة وأرادوا تبديل الدين وأحكامه.

٥- وقال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه».

٦- وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً، وكان وقافاً عند كتاب الله ﷻ.

وخلاصة ما تقدم فيما يأتي:

أولاً: أن استشارة الحاكم ليست مطلقة في كل شيء، بل هي في الأمور التي ليس فيها نص ولا إجماع.

ثانيًا: أنه إذا عزم الإمام على رأي أشار به من هم أهل السداد والإصابة في الأقوال لا يسوغ له الرجوع عنه.

ثالثًا: لا يسوغ لولي الأمر أن يعدل عن الدليل من نص أو إجماع إلى المشورة.

رابعًا: منقبة من مناقب الصديق عليه السلام يجب على أولياء أمور المسلمين التأسى به فيها، وهي عزمه على قتال مانعي الزكاة من العرب لما ظهر له من الدليل مع مجادلة عمر رضي الله عنه له، ثم شرح الله صدر عمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم لما رآه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من العزم على قتال هؤلاء، وفي هذا دليل على أن الإجماع حجة بنفسه يجب التسليم له، لاسيما إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

خامسًا: قوله: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه»:

هكذا علقه المصنف رحمته الله، ووصله في مواضع منها الجهاد والسير، وله قصة.

وهذا مثال آخر على أنه لا يسوغ لأحد أن يجاوز حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا لا يشاور في أمر المرتد.

سادسًا: ثلاث من مناقب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه:

إحداها: انشراح صدره لما رآه إمام الأمة وصديقها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينازعه، ولم يتخذ من ذلك سبيلًا إلى التحريض عليه لا ظاهرًا ولا خفيًا.

الثانية: في جعله ﷺ أهل مشورته فيما خفي عليه من الأمور العلماء والقراء من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين -.

وفيه دليل على أن أهل العلم والفقه في كل زمان ومكان هم أعلم الناس بهدي رسول الله ﷺ.

فلا تغتر أيها المسلم بمن يزهد في علماء الشرع الراسخين فيه، أو يهون من شأنهم، أو يصفهم بما لا يليق بهم مثل: علماء حيض ونفاس، لا يفقهون الواقع، وليس لهم همٌّ إلا دخول الشهر وخروجه؛ فإن هؤلاء أداة هدم لأصول الدين وفروعه لمن أسلم قياده إليهم، فاحذرهم أيها الناصح لنفسه والحازم في أمره.

الثالثة: وقوفه ﷺ عند حدود الله، وهالك دليلاً واحداً فقط من سيرته الحسنة المرضية ﷺ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

بِالْعَرَفِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَنَهِلِيكَ ﴿١﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله ﴿٢﴾.

ش/ قال عبيد: يجب على من ولي شيئاً من أمور المسلمين أن يتأسي برسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدين ومن تبعهم من أئمة الإسلام، فدون ذلك لا تبرأ ذمة، ولا يؤدي أحد ما عليه من الحقوق، فليراقب الله ولالة أمور المسلمين يصلح لهم أمر دينهم ودنياهم، ويحكموا شرع الله، فإن الله ﷻ لم يجعل فلاحاً ولا نجاحاً ولا صلاحاً في الدنيا والآخرة إلا بما نزل به كتابه وجاءت به سنة رسوله ﷺ، وليس في قول أحد من البشر عصمة، بل الزلل حتماً لازماً يقيناً أو في غلبة الظن حينما يدع المسلمون الحكم بما أنزل الله ويعدلون عنه إلى قوانين البشر، والله المستعان وعليه التكلان.

ولعلك أيها المسلم أدركت من هذا الشرح المفصل مطابقة هذه الترجمة لكتاب الاعتصام.



(١) [الأعراف: ١٩٩].

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: ﴿حُذِرَ الْفَقْوُ وَأُمِرَ بِالْعَرَفِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَنَهِلِيكَ﴾ ﴿١/٦﴾

(٦٠) رقم (٤٦٤٢)، وقد تقدم في الحديث السابع عشر.

الحديث السابع والتسعون

٧٣٦٩- حَدَّثَنَا الْأَوْسِيُّ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ اسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ، يَسْأَلُهُمَا وَهُوَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدُّقَكَ. فَقَالَ: «هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ؟»، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَمْرًا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجَبِينَ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعِدُّنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا» فَذَكَرَ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ. وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ: عَنْ هِشَامٍ.

أخرجه المصنف في مواضع منها:

الأول: في التفسير من رواية شيخه يحيى بن بكير^(١)، وأيضًا من رواية شيخه أبي أسامة^(٢).

الثاني: في الشهادات^(٣) من رواية شيخه أبي الربيع سليمان بن داود.

وأخرجه مسلم في التوبة^(٤) من رواية شيخه حبان بن موسى.

❖ الكلام على الحديث:

ش / شاهد الترجمة يظهر فيما يأتي:

أولًا: استشارة النبي ﷺ عليًا وأسامه بن زيد عليهما السلام حين استلبت الوحي في أمر عائشة عليها السلام، فأشار كلُّ منهما بما يراه، وأحال عليٌّ عليه السلام إلى من يرى أنه أعلم منه في أمر الصديقة عليها السلام وهي بريرة.

ثانيًا: يجب على من يُستشار في أمر بيان ما ينتهي إليه علمه يقينًا أو في غلبة الظن، وإذا لم يكن لديه بينة تؤهله إلى ذلك فليحلّ مستشاره إلى من هو

(١) باب: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (١٠١/٦) رقم (٤٧٥٠).

(٢) باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٠٧/٦) رقم (٤٧٥٧).

(٣) باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا (١٧٣/٣) رقم (٢٦٦١).

(٤) باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٢١٢٩/٤) رقم (٢٧٧٠).

أدرى بالحال، وهذا في قول علي عليه السلام: «وسل الجارية تصدقك».

والحديث مستوفى شرحه - والله الحمد - في التفسير^(١).



(١) باب: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (٦ / ١٠١) رقم (٤٧٥٠).

الحديث الثامن والتسعون

٧٣٧٠- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَكَرِيَاءَ الْغَسَّانِيُّ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ»، وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتِ عَائِشَةُ بِالْأَمْرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي؟ فَأَذِنَ لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلَامَ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

* التخریج:

أخرجه المصنف في مواضع:

الأول: في التفسير من رواية شيخه يحيى بن بكير^(١)، وأيضاً من رواية شيخه أبي أسامة^(٢).

(١) باب: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَبَرًا﴾ (١٠١/٦) رقم (٤٧٥٠).

(٢) باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٠٧/٦) رقم (٤٧٥٧).

الثاني: في الشهادات من رواية شيخه حجاج^(١)، ومن رواية شيخه أبي الربيع سليمان بن داود^(٢).

الثالث: في المغازي من طريق شيخه عبد العزيز بن عبد الله^(٣)، وموسى بن إسماعيل^(٤)، ومن طريق عثمان بن أبي شيبة^(٥).

الرابع: في الأيمان والندور^(٦) من طريق شيخه الأويسى، وحجاج بن منهال.

وأخرجه مسلم في التوبة^(٧) من رواية شيخه حبان بن موسى.

✽ الكلام على الحديث:

ش / ومناسبة هذا الحديث للترجمة ومطابقته لها تظهر في هذه الفوائد:

الأولى: فقه الصديقة عليها السلام، يوضحه أنها لما رأت ما رأت من الأمر

(١) باب: إذا عدل رجل أحدًا فقال: لا نعلم إلا خيرًا، أو قال: ما علمت إلا خيرًا (٣/ ١٦٧) رقم (٢٦٣٧).

(٢) باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا (٣/ ١٧٣) رقم (٢٦٦١).

(٣) باب: حديث الإفك (٥/ ١١٦) رقم (٤١٤١).

(٤) المصدر السابق رقم (٤١٤٣).

(٥) المصدر السابق رقم (٤١٤٥).

(٦) باب: قول الرجل: لعمر الله (٨/ ١٢٥) رقم (٦٦٦٢).

(٧) باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٤/ ٢١٢٩) رقم (٢٧٧٠).

استأذنت من النبي ﷺ أن تذهب إلى أهلها، ألا تراها ﷺ قالت في بعض روايات الحديث: «وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهرًا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكُم؟ ثم ينصرف»^(١) الحديث.

أليس في هذا دليل على أنه من استوحش من مكان فله أن ينتقل إلى مكان آخر كي تزول عنه الوحشة؟

الثانية: من مناقب الصديقة ﷺ وهي صبرها على ما حدث من أمر الإفك، وفي هذا حثٌّ لكل من أصيب بمصيبة أن يتسلّى بالصبر؛ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

قال علقمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»^(٣).

(١) رواية يحيى بن بكير في التفسير.

(٢) [التغابن: ١١].

(٣) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢٣ / ٤٢١)، وذكره البخاري معلقًا في باب قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٥٥ / ٦).

الثالثة: يجوز للإمام إذا لم يستبن له فيما نزل به من النوازل حال استشارته خاصته أن يشاور عامة الناس، ألا ترى الصديقة عليها السلام قالت: «إن رسول الله ﷺ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي، ما علمت عليهم من سوء قط».

الرابعة: منقبة عظيمة من مناقب أولئك القوم من أصحابه عليهم السلام، وتلك المنقبة أنه لما حصل بينهم ما حصل من الشجار استجابوا لرسول الله ﷺ بالإمساك حين كاد يكون بينهم من الاقتتال، وهذا يظهر لك أيها المسلم بتأمل صريح الحديث.

الخامسة: يجب على الرجل إذا استأذنته زوجته في زيارة أهلها وأذن لها أن يصحبها أو يبعث معها من يثق بدينه وأمانته، وأظن النبي ﷺ أذن لعائشة في زيارة أهلها وبعث الغلام معها في النهار، وفي نفس المدينة.

وليس في هذا حجة لمن توسع في الأمر فصاروا يبعثون زوجاتهم ومولياتهم مع من هب ودب وفي أية ساعة من ليل أو نهار، بل وقد يصل الأمر إلى أن يدعوا هؤلاء النسوة يذهبن مع السائقين والخدم في الأسفار دون محارم.

السادسة: يجب على أهل الإيمان إذا أشيعت بينهم فرية ممن يعلم عنه في ظاهر الأمر أنه على خير أن يمسكوا ولا يخوضوا في إشاعة ما أشيع من الفري والأكاذيب؛ قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ

خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا تأديب من الله للمؤمنين في قضية عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيئ وما ذكر من شأن الإفك، فقال: ﴿لَوْلَا﴾؛ بمعنى: هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ أي: ذلك الكلام، أي: الذي رميت به أم المؤمنين ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى.

وقد قيل: إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامراته رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؟ قال: نعم، وذلك الكذب. أكنيت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن ذكر الله رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَنْ قَالَ فِي الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ ^(١) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية؛ أي: كما قال أبو أيوب وصاحبه...

(١) [النور: ١٢].

(٢) [النور: ١١].

إلى أن قال: ويقال: إنما قالها أبي بن كعب.

وقوله: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: هلا ظنوا الخير، فإن أم المؤمنين أهله وأولى به، هذا ما يتعلق بالباطن، ﴿وَقَالُوا﴾؛ أي: بألستهم ﴿هَذَا إِنْكَارٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: كذب ظاهر على أم المؤمنين، فإن الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جَهْرَةً على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكماله يشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، لو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هكذا جَهْرَةً، ولا كانا يُقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان يكون هذا - لو قُدر - خفية مستورًا، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رَمَوْا به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرغوة الفاحشة الفاجرة والصفقة الخاسرة^(١).

ولشرح الحديث انظر الأبواب السابقة من التفسير^(٢).



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢٦ / ٦).

(٢) باب: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (١٠١ / ٦) رقم (٤٧٥٠).

باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفِتْنَةُ فِي الدِّينِ أَمَّنُوا لَمْ عَذَابُ الْإِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٠٧ / ٦) رقم (٤٧٥٧).

الخاتمة

قال الشارح -عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن كتب له وأعانه-:

لقد بان لذي البصر والبصيرة ولذي الفطنة واليقظة وكل ناصح لنفسه حازم في أمره أن ما ساقه الإمام أبو عبد الله البخاري في «كتاب الاعتصام» هذا من صحيحه وهي سبعة وتسعون حديثًا وما انضم إليها من شواهدنا أن الأمر بالتمسك بالسنة والحذر من البدع وأهلها متواترٌ عن النبي ﷺ تواترًا يقينياً موجباً للعلم والعمل.

* سؤال مهم:

وهنا سؤال يجب التفطن إليه والإصغاء إلى جوابه:

عرفنا أن أحاديث هذا الباب متواترة عن النبي ﷺ فماذا قال أئمة العلم والإيمان والدين في هذا الباب؟

فجوابه: اعلم يا هذا أن المأثور عن أولئك العلماء والأئمة هو كذلك متواتر.

وهاك بعضها:

١- قال علي ؑ: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى

بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه^(١).
صححه الألباني.

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»^(٢) الحديث أخرجه مسلم وله قصة.

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني. فقليل: وكيف؟ فقال: والله إنه لتحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي، فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه»^(٣).

٤- قال أبو العالية رضي الله عنه^(٤): «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب: كيف المسح؟ (٤٢/١) رقم (١٦٢)، وصححه الألباني برقم (١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة (١/٣٦) رقم (٨).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، سياق ما روي عن النبي ﷺ في ثواب من حفظ السنة ومن أحياها ودعا إليها (١/٦١) رقم (١٢).

(٤) هو رُفيع بالتصغير ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية، ثقة كثير الإرسال، من الثانية، مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين وقيل بعد ذلك ع. «تقريب التهذيب» (ص ٢١٠).

عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي عليها أصحابه، فإننا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقى بين الناس العداوة والبغضاء.

قال: فحدثت^(١) به الحسن^(٢) فقال: صدق ونصح، وحدثت به حفصة بنت سيرين^(٣)، فقالت: يا بني أحدثت بهذا محمدًا^(٤)؟ قلت: لا، قالت: فحدثه إذن^(٥).

(١) القائل هو عاصم الأحول: واسمه: عاصم بن سليمان الأحول، أبو عبد الرحمن البصري، ثقة من الرابعة، لم يتكلم فيه إلا القطان؛ فكانه بسبب دخوله في الولاية، مات بعد سنة أربعين ع. «تقريب التهذيب» (ص ٢٨٥).

(٢) هو الحسن البصري، واسمه: الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار بالتحانية والمهملة الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجاوز ويقول حدثنا وخطبنا؛ يعني قومه الذين حُدُّثُوا وخطبوا بالبصرة، هو رأس أهل الطبقة الثالثة مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين ع. «تقريب التهذيب» (ص ١٦٠).

(٣) وهي: حفصة بنت سيرين أم الهذيل الأنصارية البصرية، ثقة من الثالثة، ماتت بعد المائة ع. «تقريب التهذيب» (ص ٧٤٥).

(٤) هو: محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة ع. «تقريب التهذيب» (ص ٤٨٣).

(٥) «السنة» للمروزي (١٨/١) رقم (١٧)، «الشريعة» للأجري، باب: ذكر أمر النبي ﷺ أمته

٥- قال محمد بن الحسين^(١): «علامة من أراد الله به خيرًا: سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء»^(٢).

٦- عن أيوب السختياني^(٣)، قال: قال لي أبو قلابة^(٤): «يا أيوب، احفظ

بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفرقة (٢٢ / ١) رقم (١٩)، الاعتصام، الباب الثاني في ذم البدع وسوء منقلب أصحابها، فصل ما جاء عن السلف الصالح في ذم البدع وأهلها (١ / ١١٤).

(١) هو الإمام، المحدث، القدوة، شيخ الحرم الشريف، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، صاحب التواليف، منها: كتاب «الشرعة في السنة» كبير، وكتاب «الرؤية»، وكتاب «الغريب»، وكتاب «الأربعين»، وكتاب «الثمانين»، وكتاب «آداب العلماء»، وكتاب «مسألة الطائفين»، وكتاب «التهجد»، وغير ذلك... انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ١٣٣ - ١٣٦).

(٢) «الشرعة» للآجري، باب: ذكر أمر النبي ﷺ أمته بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفرقة (٢٢ / ١) رقم (١٩).

(٣) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني - بفتح المهملة بعدها معجمة ثم مثناة ثم تحتانية وبعد الألف نون -، أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد، من الخامسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون ع. «تقريب التهذيب» (ص ١١٧).

(٤) عبد الله بن زيد بن عمرو - أو عامر - الجرمي، أبو قلابة البصري، ثقة فاضل كثير

عني أربعاً: لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمد فأمسك، ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك، فينبذوا فيه ما شاءوا»^(١).

٧- وقال مصعب بن سعد^(٢): «لا تجالس مفتوناً، فإنه لن يخطئك منه إحدى اثنتين: إما أن يفتنك فتابعه، وإما أن يؤذك قبل أن تفارقه»^(٣).

٨- وعن مفضل بن مهلهل^(٤) رَحِمَهُ اللهُ، قال: «لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعته حذرتَه وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث

الإرسال، قال العجلي: «فيه نصب يسير»، من الثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة وقيل بعدها ع. «تقريب التهذيب» (ص ٣٠٤).

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، باب: سياق ما ذكر من رسم بالإمامة في السنة، سياق ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدالهم والمكالمة معهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثنة وآرائهم الخبيثة (١/ ١٥١) رقم (٢٤٥).
«الإبانة الكبرى»، باب: التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان (٢/ ٤٤٥) رقم (٣٩٧).

(٢) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري، أبو زرة المدني، ثقة من الثالثة، أرسل عن عكرمة ابن أبي جهل، مات سنة ثلاث ومائة ع. «تقريب التهذيب» (ص ٥٣٣).

(٣) «الإبانة الكبرى»، باب: التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان (٢/ ٤٤٢) رقم (٣٨٥)، «أصول السنة» لابن أبي زمنين، «النهى عن مجالسة أهل الأهواء» (١/ ٣٠٢) رقم (٢٣٥).

(٤) هو المفضل بن مهلهل السعدي، أبو عبد الرحمن الكوفي، ثقة ثبت نبيل عابد، من السابعة، مات سنة سبع وستين أي بعد المائة م س ق. «تقريب التهذيب» (ص ٥٤٤).

السنة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك، فمتى تخرج من قلبك»^(١).

٩- قال البربهاري^(٢): «واعلم أن الناس لم يتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها؛ فاحذر المحرمات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

واحذر صغار المحدثات من الأمور فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام.

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي ﷺ أو أحد من العلماء، فإن أصبت فيه أثراً عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ولا تختبر عليه شيئاً فتسقط في النار.

(١) «الإبانة الكبرى»، باب: التحذير من صحة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان (٢)/

(٤٤٤) رقم (٣٩٤).

(٢) هو شيخ الحنابلة، القدوة، الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه،

كان قوَّالاً بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم... «سير أعلام النبلاء»

(١٥/ ٩٠-٩٣).

اعلم أن الخروج عن الطريق على وجهين: أما أحدهما فرجل قد زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلله فإنه هالك، ورجل عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين فهو ضالٌّ مضلٌّ شيطان مرید في هذه الأمة حقيق على من عرفه أن يحذر الناس منه ويبين لهم قصته لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك»^(١).

١٠ - وقال رحمه الله: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رءوسهم وأبدانهم في التراب ويخرجون أذنانهم فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مخفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون»^(٢).

١١ - وقال الصابوني رحمه الله^(٣): «علامة أهل البدع: الوقعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية: تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل الأثر نابذة وناصبة، قلت: وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث»^(٤).

(١) «شرح السنة» للبريهاري (ص ٦٨-٧٠).

(٢) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤).

(٣) هو الإمام، العلامة، القدوة، المفسر، المذكر، المحدث، شيخ الإسلام، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر النيسابوري، الصابوني. ولد سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة. «سير أعلام النبلاء» (١٨ / ٤٠ - ٤٤).

(٤) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ١٠٥-١٠٦).

١٢- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتُمونه، ولا يَنهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم؛ بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذمًّا مطلقاً؛ لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وما يقوله أهل البدعة والفرقة، أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع.

وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة وبعض المتفقهة والمتصوفة والمتفلسفة كما تغلب الأولى على كثير من أهل الأهواء والكلام، وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة.

وإنما الواجب بيان ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وتبليغ ما جاءت به الرسل عن الله والوفاء بميثاق الله الذي أخذه على العلماء، فيجب أن يعلم ما جاءت به الرسل ويؤمن به ويبلغه ويدعو إليه ويجاهد عليه ويؤن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال في الأصول والفروع الباطنة والظاهرة بكتاب الله وسنة رسوله غير متبعين لهوى: من عادة أو مذهب أو طريقة أو رئاسة أو سلف؛ ولا متبعين لظن: من حديث ضعيف أو قياس فاسد»^(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٤٦٧).

١٣- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «كل من أثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي على خلاف أغراض الناس ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق ولا سيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة!

وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾^(١).

وقال تعالى فيهم أيضًا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخْذُوا أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم،

(١) [مريم: ٥٩].

(٢) [الأعراف: ١٦٩].

وقالوا سيغفر لنا، وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه، فهم مُصِرُّون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا، فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة.

وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة ويستعينوا بالصبر والصلاة ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها، والآخرة وإقبالها ودوامها، وهؤلاء لا بد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل فيجتمع لهم الأمران؛ فإن اتباع الهوى يعمي عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة، فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات^(١).

١٤ - قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وليعلم أن من ابتدع في دين الله ما ليس منه فإنه يقع في عدة محاذير؛ منها:

المحذور الأول: أن فعله يتضمن تكذيب ما دل عليه قول الله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ

(١) «الفوائد» (ص ١٠٠).

أَضْطَرَّ فِي مَحَبَّةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾، لأن هذا الذي أحدثه واعتقده ديناً لم يكن من الدين حين نزول الآية، فيكون الدين لم يكمل على مقتضى بدعته.

المحذور الثاني: أن ابتداعه يتضمن التقدم بين يدي الله ورسوله، حيث أدخل في دين الله تعالى ما ليس منه.

والله سبحانه قد شرع الشرائع وحد الحدود وحذر من تعديها، ولا ريب أن من أحدث في الشريعة ما ليس منها فقد تقدم بين يدي الله ورسوله، وتعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون.

المحذور الثالث: أن ابتداعه يستلزم جعل نفسه شريكاً مع الله تعالى في الحكم بين عباده، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢).

المحذور الرابع: إن ابتداعه يستلزم واحداً من أمرين، وهما: إما أن يكون النبي ﷺ جاهلاً بكون هذا العمل من الدين، وإما أن يكون عالماً بذلك ولكن كتمه، وكلاهما قدح في النبي ﷺ، أما الأول فقد رماه بالجهل بأحكام الشريعة، وأما الثاني فقد رماه بكتمان ما يعلمه من دين الله تعالى.

(١) [المائدة: ٣].

(٢) [الشورى: ٢١].

المحذور الخامس: أن ابتداعه يؤدي إلى تطاول الناس على شريعة الله تعالى وإدخالهم فيها ما ليس منها، في العقيدة والقول والعمل، وهذا من أعظم العدوان الذي نهى الله عنه.

المحذور السادس: أن ابتداعه يؤدي إلى تفريق الأمة وتشيتها واتخاذ كل واحد أو طائفة منهمجاً يسلكه ويتهم غيره بالقصور أو التقصير، فتقع الأمة فيما نهى الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، وفيما حذر منه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢).

المحذور السابع: أن ابتداعه يؤدي إلى انشغاله ببدعته عما هو مشروع، فإنه ما ابتدع قوم بدعة إلا هدموا من الشرع ما يقابلها.

وإن فيما جاء في كتاب الله تعالى أو صحَّ عن رسوله ﷺ من الشريعة لكفاية لمن هداه الله تعالى إليه واستغنى به عن غيره.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣).

(١) [آل عمران: ١٠٥].

(٢) [الأنعام: ١٥٩].

(٣) [يونس: ٥٧-٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾^(١) «^(٢)».

ش/ قال مقبده: فهذه أربع عشرة نصيحة نقلناها لك عن جملة من العلماء الأعلام أئمة العلم والدين والإيمان، وكلها متضمنة الحض على التمسك بالسنة والحذر من أهل البدع، فالزمها، ولا تحد عنها ذات اليمين وذات الشمال من بنيات الطريق، والشواذ، والمفاريد، والغرائب، فترد العطب، فتقع في المهالك فبئس الورد المورد.

فاقدر يا طالب الحق لهذه النصائح قدرها، وافهمها حق الفهم، واسلك سبيل أهلها وأمثالهم من الأئمة فيقوى ساعدك في الحق ويشدد أزرک.

هدانا الله وإياک مرشد أمورنا، وثبتنا جميعاً بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه سميع مجيب.

هذا ما يسر الله لنا جمعه وتحريره في شرح هذا الكتاب المبارك النفيس النافع وهو «كتاب الاعتصام» من صحيح البخاري، والذي وسمناه بـ:

«إنعام الباري بشرح كتاب الاعتصام من صحيح البخاري»

(١) [طه: ١٢٣].

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢٠ / ٣١).

ولستُ مدعيًا أنَّي وفيت مقام هذا الكتاب حقه، ولكن حسبي أني بذلت جهدي واستفرغت وسعي حتى تمَّ - والله الحمد والمنة - ما قصدته من هذا الشرح؛ الذي أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبله وينفع به أهل الإسلام.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكان الفراغ منه: ضحى يوم السبت السابع من جمادى الأولى عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة محمد ﷺ.



فهرس الآيات القرآنية المذكورة في التراجم

- ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ١٧
- ﴿أَوْ يَلِسَ لَكُمْ شَيْعًا﴾ ٢٢٢
- ﴿بِمَا أَرْثَكَ اللَّهُ﴾ ٢٠٢
- ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ٤١٠
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٣٥٥
- ﴿لَا تَشْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ ١١١
- ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ٣١٤
- ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ ٤١٠
- ﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ٥١
- ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ٤١٠
- ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَقْوٍ جَدَلًا﴾ ٣١٨
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ٣٢٨

- ﴿وَلَا تُقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ١٨٨
- ﴿وَمِنَ أَوْرَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ٢٤٨
- ﴿وَمَنْ لَّمْ يُحَكِّم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٢٣٣
- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ ١٤٨



فهرس أحاديث الكتاب

الرقم	الحديث	الصفحة
٢٦	«أبوك فلان»	١٣٣
٧٢	«أتاني الليلة آت من ربي»	٣٠٨
٩٥	«أحلوا وأصيبوا من النساء»	٤٠٦
٨٠	«إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب»	٣٤١
٤٤	«أعوذ بوجهك»	٢٢٥
٧٦	«ألا تصلون؟»	٣٢٣
٢	«أما بعد، فاختار الله لرسوله ﷺ الذي عنده»	٢٦
١٦	«أمرت أن أقاتل الناس»	٩٤
١٠	«إن أحسن الحديث كتاب الله»	٦٣
٢٠	«إن أعظم المسلمين جرماً»	١١٤
٨٦	«أن أم حفيد بنت الحارث بن حزن أهدت إلى النبي ﷺ»	٣٦٤
٩	«إن الأمانة نزلت»	٥٩
٣٨	«إن الله لا يترع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً»	١٩٢
٤	«إن الله يغنيكم»	٣٥
٥٦	«أن النبي ﷺ كان يأتي قباء»	٢٦٩

الرقم	الحديث	الصفحة
٦٢	«أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل وامرأة زنيا»	٢٨٢
٥٩	«أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر»	٢٧٥
٨٩	«إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين»	٣٧٤
٨٨	«إن لم تجدني، فأني أبا بكر»	٣٧١
٥٢	«إنما المدينة كالكير»	٢٥٩
١٥	«إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به»	٩٠
٧٤	«أنه أري وهو في معرسه»	٣١٢
٦٤	«أنه كان بين جدار المسجد»	٢٨٧
٢٩	«إني اتخذت خاتماً من ذهب»	١٤٤
٨٣	«إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ»	٣٥٣
١	«إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية»	١٧
٥٨	«أئذني لي أن أدفن مع صاحبي»	٢٧٣
٥٧	«أدفي مع صواحيبي»	٢٧١
٨١	«استأذن أبو موسى على عمر»	٣٤٥
٩٣-٩٢	«اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم»	٣٩٤-٣٩١
٨٤	«الخيول لثلاثة»	٣٥٨
٦١	«اللهم بارك لهم في مكيالهم»	٢٨٠

الرقم	الحديث	الصفحة
٧٥	«اللهم ربنا، ولك الحمد»	٣١٦
٣	«اللهم علمه الكتاب»	٣١
٧١	«انطلق إلى المنزل، فأسقيك»	٣٠٦
٧٧	«انطلقوا إلى يهود»	٣٢٥
٥٤	«بخ بخ، أبو هريرة يتمخط»	٢٦٥
٦	«بعثت بجوامع الكلم»	٤٢
٨٥	«تأخذين فرصة ممسكة»	٣٦١
١٣	«جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم»	٧٦
٧٠	«حالف النبي ﷺ بين الأنصار وقريش»	٣٠١
١٩	«دعوني ما تركتكم»	١٠٦
٦٦	«سابق النبي ﷺ بين الخيل»	٢٩١
٢٢	«سلوني»	١٢١
٦٨	«سمع عثمان بن عفان خطبنا على منبر النبي ﷺ»	٢٩٧
٦٧	«سمعت عمر على منبر النبي ﷺ»	٢٩٥
٩٦	«صلوا قبل صلاة المغرب»	٤٠٨
٤٨	«فيه غرة، عبد أو أمة»	٢٣٨
٣٥	«قد أنزل الله فيكم قرآنًا»	١٧٨

الرقم	الحديث	الصفحة
٣٣	«كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر»	١٧٠
٦٠	«كان الصاع على عهد النبي ﷺ مدًّا وثلاثًا»	٢٧٧
٦٩	«كان يوضع لي ولرسول الله ﷺ هذا المركن»	٢٩٩
١٢	«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»	٧٣
٢٨	«كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة»	١٣٨
٩١	«كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء»	٣٨٠
١١	«لأقضين بينكما بكتاب الله»	٦٧
٥٣	«لأقومن العشية، فأحذر هؤلاء الرهط»	٢٦١
٢٣	«لا إله إلا الله وحده لا شريك له»	١٢٤
٩٠	«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»	٣٧٨
٧٩	«لا تفعلوا، ولكن مثلًا بمثل»	٣٣٧
٤٩	«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها»	٢٤٣
٣٠	«لا تواصلوا»	١٥٧
٤٧	«لا حسد إلا في اثنتين»	٢٣٥
٣٦	«لا نورث ما تركنا صدقة»	١٨٠
٤٢	«لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين»	٢١٦
٥٠	«لتبعن سنن من كان قبلكم»	٢٤٥

الرقم	الحديث	الصفحة
٢٧	«لن يبرح الناس يتساءلون»	١٣٤
٥١	«ليس من نفس تقتل ظلمًا»	٢٥١
٣٢	«ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه»	١٦٥
٦٥	«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»	٢٨٩
٩٨	«ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي»	٤٢٨
٢١	«ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم»	١١٨
٧	«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أو من»	٤٧
١٨	«ما من شيء لم أره إلا وقد رأيته في مقامي هذا»	١٠١
٤١	«ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة»	٢١١
٤٠	«مرضت فجاءني رسول الله ﷺ يعودني»	٢٠٦
٣٤	«مروا أبا بكر يصلي بالناس»	١٧٤
٢٥	«من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه»	١٣٠
٨٧	«من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا»	٣٦٨
٨٢	«من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي»	٣٤٨
٤٣	«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»	٢١٨
٤٦	«نعم، حجي عنها»	٢٣١
٣٧	«نعم، ما بين كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها»	١٨٦

الرقم	الحديث	الصفحة
٥٥	«نعم، ولولا منزلتي منه، ما شهدته من الصغر»	٢٦٧
٦٣	«هذا جبل يحبنا ونحبه»	٢٨٥
٤٥	«هل لك من إبل؟»	٢٢٨
٩٤	«هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده»	٣٩٨
٨	«هما المرءان يقتدى بهما»	٥٥
٥	«وأقر لك بذلك بالسمع والطاعة»	٣٧
٣١	«والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله»	١٦١
٧٣	«وقت النبي ﷺ قرناً لأهل نجد»	٣١٠
٣٩	«يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم»	١٩٧
١٤	«يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتكم سبقاً بعيداً»	٨٦
٩٧	«يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل بلغني أذاه»	٤٢٥
٧٨	«يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟»	٣٣٣

فهرس الآثار والنصائح

- «أن تعمل بطاعة الله على نور من نور الله» ٦٥
- «إن هذا العلم دين» ١٩٤
- «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع» ٢٤٦-٢٤٧
- «إياكم والمقايسة» ١٨٩
- «إياكم وأصحاب الرأي» ١٨٨-١٨٩
- «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني» ١٨٨
- «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه» ٤٣٥-٤٣٦
- «علامة أهل البدع الواقعة في أهل الأثر» ٤٤٠
- «علامة من أراد الله به خيرًا» ٤٣٧
- «فاصبر نفسك على السنة» ١٩٦
- «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم» ٤٣٥
- «فعليك بلزوم السنة» ١٩٥-١٩٦

- «كل من أثر الدنيا من أهل العلم واستحبها» ٤٤٢
- «لا تجالس مفتونا» ٤٣٨
- «لا يزال الناس صالحين متماسكين» ١٩٣
- «لو أن ابن عباس أدرك أسناننا» ٣٤
- «لو كان الدين بالرأي» ٤٣٥-٤٣٤
- «لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه» ٤٣٩-٤٣٨
- «مثل أصحاب البدع» ٤٤٠
- «نقل عن إمامنا أشياء» ٣٧٧
- «هو الرجل تصيبه المصيبة» ٤٣٠
- «واحذر صغار المحدثات من الأمور» ٦٥
- «واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط» ٤٣٩
- «والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم» ٤٣٥
- «وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام» ٤٤١
- «ولا يحل لرجل أن يقول فلان صاحب سنة حتى...» ٥٢
- «وليعلم أن من ابتدع في دين الله» ٤٤٣

«ومن السنة اللازمة» ٥٢

«يا أيوب احفظ عني أربعاً» ٤٣٧-٤٣٨



فهرس المراجع

* القرآن الكريم.

١ - «الإبانة الكبرى»، لابن بطة العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، ط: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢ - «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبو زيد، ط: دار العاصمة، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ.

٣ - «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»، ترتيب: الأمير علاء الدين علي ابن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤ - «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»، لابن دقيق العيد، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٥ - «أحكام الصلاة وتاركها»، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عدنان بن صفاخان البخاري، ط: مجمع الفقه الإسلامي بجدة.

- ٦- «أسباب نزول القرآن»، للواحدى، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: دار الإصلاح، الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٧- «أصول السنة»، لابن أبي زمين، تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري، ط: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٨- «الاعتصام»، للشاطبي، تحقيق: سليم بن عبد الهاللي، ط: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٩- «إكمال المعلم»، للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط: دار الوفاء، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١٠- «إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري»، لعبيد بن عبد الله الجابري، ط: مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١١- «إمداد المسلم بشرح مختصر المنذري لصحيح مسلم» - يسر الله إتمامه -، لعبيد بن عبد الله الجابري.
- ١٢- «بدائع الفوائد»، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط: مجمع الفقه الإسلامي - جدة.
- ١٣- «تحذير أولي الألباب من المقالات المخالفة للصواب»، لعبيد بن عبد الله الجابري، ط: دار الميراث النبوي - الجزائر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

- ١٤ - «الترغيب والترهيب»، للمنزري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٥ - «التعليقات على صحيح ابن حبان»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٦ - «تغليق التعليق»، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن القرظي، ط: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ١٧ - «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٨ - «تقريب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٩ - «التقرير الأحمد بشرح أصول السنة للإمام أحمد»، لعبيد بن عبد الله الجابري، ط: دار الميراث النبوي بالجزائر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٢٠ - «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- ٢١- «جامع البيان في تأويل القرآن»، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٢٢- «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، لابن تيمية، ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢٣- «زاد المعاد في هدي خير العباد»، لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت - الكويت، الطبعة: الرابعة عشرة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢٤- «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف-الرياض، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف.
- ٢٥- «سنن أبي داود»، لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ٢٦- «سنن ابن ماجه»، لابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ٢٧- «سنن الترمذي»، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٨- «سنن الدارمي»، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط: دار المغني، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٩- «سنن النسائي الصغرى»، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٠- «السنة للمروزي»، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: سالم أحمد السلفي، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣١- «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، لابن تيمية، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٢- «سير أعلام النبلاء»، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٣٣- «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، لأبي القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٤- «شرح السنة للبغوي»، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي-دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٥- «شرح السنة للبربهاري»، للحسين بن علي البربهاري، تحقيق: خالد الرادادي، ط: مكتبة الغراء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٦- «الشرح الممتع على زاد المستقنع»، لمحمد بن صالح العثيمين، ط: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢-١٤٢٨هـ.

٣٧- «شرح النووي على مسلم»، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٨- «الشریعة»، لمحمد بن الحسين الأجرى، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، ط: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣٩- «صحيح ابن ماجه»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٠- «صحيح أبي داود»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤١- «صحيح البخاري مع مقدمة الحافظ شرف الدين اليونيني»، تحقيق:

أبي قتيبة نظر بن محمد الفاريابي، ط: دار الفاريابي، الطبعة الأولى،
١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٤٢- «صحيح البخاري»، لمحمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد
زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٣- «صحيح الترغيب والترهيب»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط:
مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٤- «صحيح وضعيف أبي داود»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة
المعارف، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٥- «صحيح وضعيف الترمذي»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة
المعارف، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٦- «صحيح وضعيف النسائي»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة
المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٧- «صحيح مسلم»، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد
عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٨- «طبقات الحنابلة»، لأبي الحسين بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد
الفاقي، ط: دار المعرفة، بيروت.

٤٩- «ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم»، لمحمد ناصر الدين

الألباني، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥٠ - «عمدة الفقه»، لموفق الدين ابن قدامة، تحقيق: أحمد محمد عزوز، الناشر: المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥١ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، لإسماعيل الصابوني، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٢ - «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني، وعليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٣ - «فتح القدير»، لمحمد بن علي الشوكاني، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٥٤ - «كتاب الأموال»، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد خليل هراس، ط: دار الفكر، بيروت.

٥٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، ط: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٧- «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين»، لمحمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ط: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣ هـ.

٥٨- «مختار الصحاح»، لزين الدين أبي محمد الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٥٩- «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة»، تحقيق: سيد إبراهيم، ط: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٠- «مراتب الإجماع»، لابن حزم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦١- «المستدرک علی الصحیحین»، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٦٢- «مسند الإمام أحمد»، لأحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٣- «مسند البزار»، لأبي بكر البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله،

وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨-٢٠٠٩ م.

٦٤- «مصنف ابن أبي شيبة»، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٦٥- «مصنف عبد الرزاق»، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٦٦- «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٦٧- «معجم البلدان»، لياقوت الحموي، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٦٨- «المعجم الكبير»، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٦٩- «المفردات في غريب القرآن»، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٧٠- «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو، ويوسف بن علي بديوي وآخرون، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧١- «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط: مؤسسة قرطبة الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٧٢- «منظومة القواعد الفقهية»، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط: دار مدار الوطن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٧٣- «ناسخ القرآن ومنسوخه»، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، ط: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٧٤- «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لأبي السعادات بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٧٥- «نواقض الإسلام»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، مراجعة: أحمد الطويان، ط: دار طويق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.



فهرس الموضوعات

٥.....	مقدمة الشارح
٨.....	منهج التأليف
١٧.....	الحديث الأول
٢٦.....	الحديث الثاني
٣١.....	الحديث الثالث
٣٥.....	الحديث الرابع
٣٧.....	الحديث الخامس
٤١.....	الباب الأول: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»
٤٢.....	الحديث السادس
٤٧.....	الحديث السابع
٥١.....	الباب الثاني: بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
٥٥.....	الحديث الثامن
٥٩.....	الحديث التاسع

- الحديث العاشر ٦٣
- الحديث الحادي عشر ٦٧
- الحديث الثاني عشر ٧٣
- الحديث الثالث عشر ٧٦
- الحديث الرابع عشر ٨٦
- الحديث الخامس عشر ٩٠
- الحديث السادس عشر ٩٤
- الحديث السابع عشر ٩٩
- الحديث الثامن عشر ١٠١
- الحديث التاسع عشر ١٠٦
- الباب الثالث: بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلُفِ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ فَسْأَلُكُمْ﴾ ١١١
- الحديث العشرون ١١٤
- الحديث الحادي والعشرون ١١٨
- الحديث الثاني والعشرون ١٢١
- الحديث الثالث والعشرون ١٢٤

- الحديث الرابع والعشرون ١٢٧
- الحديث الخامس والعشرون ١٣٠
- الحديث السادس والعشرون ١٣٣
- الحديث السابع والعشرون ١٣٤
- الحديث الثامن والعشرون ١٣٨
- الباب الرابع: بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ ١٤٣
- الحديث التاسع والعشرون ١٤٤
- الباب الخامس: بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ، وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدْعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ ١٤٨
- الحديث الثلاثون ١٥٧
- الحديث الحادي والثلاثون ١٦١
- الحديث الثاني والثلاثون ١٦٥
- الحديث الثالث والثلاثون ١٧٠
- الحديث الرابع والثلاثون ١٧٤
- الحديث الخامس والثلاثون ١٧٨

- الحديث السادس والثلاثون ١٨٠
- الباب السادس: بَابُ إِثْمِ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا رَوَاهُ عَلِيٌّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ١٨٤
- الحديث السابع والثلاثون ١٨٦
- الحديث الثامن والثلاثون ١٩٢
- الحديث التاسع والثلاثون ١٩٧
- الباب الثامن: بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْأَلُ مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ الْوَحْيُ،
فَيَقُولُ: «لَا أَدْرِي»، أَوْ لَمْ يُجِبْ حَتَّى يُنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَلَمْ يَقُلْ
بِرَأْيٍ وَلَا بِقِيَاسٍ ٢٠٢
- الحديث الأربعون ٢٠٦
- الباب التاسع: بَابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْسَ
بِرَأْيٍ وَلَا تَمَثِيلٍ ٢٠٩
- الحديث الحادي والأربعون ٢١١
- الباب العاشر: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ
عَلَى الْحَقِّ» يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ ٢١٥
- الحديث الثاني والأربعون ٢١٦
- الحديث الثالث والأربعون ٢١٨
- الباب الحادي عشر: بَابُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَيْسَ كُمْ شِعْرًا﴾ ٢٢٢

الحديث الرابع والأربعون ٢٢٥

الباب الثاني عشر: بَابُ مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍّ قَدْ بَيَّنَّ

اللَّهُ حُكْمَهُمَا لِيَفْهَمَ السَّائِلُ ٢٢٧

الحديث الخامس والأربعون ٢٢٨

الحديث السادس والأربعون ٢٣١

الباب الثالث عشر: بَابُ مَا جَاءَ فِي اجْتِهَادِ الْقَضَاةِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى؛

لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٢٣٣

الحديث السابع والأربعون ٢٣٥

الحديث الثامن والأربعون ٢٣٨

الباب الرابع عشر: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ... ٢٤٢

الحديث التاسع والأربعون ٢٤٣

الحديث الخمسون ٢٤٥

الباب الخامس عشر: بَابُ إِثْمٍ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً ٢٤٨

الحديث الحادي والخمسون ٢٥١

الباب السادس عشر: بَابُ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَحَضَّ عَلَى اتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ،

وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْحَرَمَانِ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ، وَمَا كَانَ بِهَا مِنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمُصَلَّى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمِنْبَرِ وَالْقَبْرِ ٢٥٤

- الحديث الثاني والخمسون ٢٥٩
- الحديث الثالث والخمسون ٢٦١
- الحديث الرابع والخمسون ٢٦٥
- الحديث الخامس والخمسون ٢٦٧
- الحديث السادس والخمسون ٢٦٩
- الحديث السابع والخمسون ٢٧١
- الحديث الثامن والخمسون ٢٧٣
- الحديث التاسع والخمسون ٢٧٥
- الحديث الستون ٢٧٧
- الحديث الحادي والستون ٢٨٠
- الحديث الثاني والستون ٢٨٢
- الحديث الثالث والستون ٢٨٥
- الحديث الرابع والستون ٢٨٧
- الحديث الخامس والستون ٢٨٩
- الحديث السادس والستون ٢٩١
- الحديث السابع والستون ٢٩٥

الحديث الثامن والستون..... ٢٩٧

الحديث التاسع والستون..... ٢٩٩

الحديث السبعون..... ٣٠١

الحديث الحادي والسبعون..... ٣٠٦

الحديث الثاني والسبعون..... ٣٠٨

الحديث الثالث والسبعون..... ٣١٠

الحديث الرابع والسبعون..... ٣١٢

الباب السابع عشر: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ٣١٤

الحديث الخامس والسبعون..... ٣١٦

الباب الثامن عشر: بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا﴾

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ٣١٨

الحديث السادس والسبعون..... ٣٢٣

الحديث السابع والسبعون..... ٣٢٥

الباب التاسع عشر: بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ .. ٣٢٨

الحديث الثامن والسبعون..... ٣٣٣

الباب العشرون: بَابُ إِذَا اجْتَهِدَ الْعَامِلُ أَوْ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ خِلَافَ الرَّسُولِ

مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ فَحُكْمُهُ مَرْدُودٌ..... ٣٣٥

- الحديث التاسع والسبعون ٣٣٧
- الباب الحادي والعشرون: بَابُ أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ
أَخْطَأَ ٣٤٠
- الحديث الثمانون ٣٤١
- الباب الثاني والعشرون: بَابُ الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ أَحْكَامَ النَّبِيِّ ﷺ
كَانَتْ ظَاهِرَةً وَمَا كَانَ يَغِيبُ بَعْضُهُمْ مِنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمُورِ
الإسلام ٣٤٣
- الحديث الحادي والثمانون ٣٤٥
- الحديث الثاني والثمانون ٣٤٨
- الباب الثالث والعشرون: بَابُ مَنْ رَأَى تَرْكَ النَّكِيرِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حُجَّةً،
لَا مِنْ غَيْرِ الرَّسُولِ ٣٥١
- الحديث الثالث والثمانون ٣٥٣
- الباب الرابع والعشرون: بَابُ الْأَحْكَامِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالذَّلَائِلِ وَكَيْفَ مَعْنَى
الدَّلَالَةِ وَتَفْسِيرُهَا ٣٥٥
- الحديث الرابع والثمانون ٣٥٨
- الحديث الخامس والثمانون ٣٦١

- الحديث السادس والثمانون ٣٦٤
- الحديث السابع والثمانون ٣٦٨
- الحديث الثامن والثمانون ٣٧١
- الباب الخامس والعشرون: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ» ٣٧٣
- الحديث التاسع والثمانون ٣٧٤
- الحديث التسعون ٣٧٨
- الحديث الحادي والتسعون ٣٨٠
- الباب السادس والعشرون: بَابُ كَرَاهِيَةِ الْخِلَافِ ٣٨٥
- الحديث الثاني والتسعون ٣٩١
- الحديث الثالث والتسعون ٣٩٤
- الحديث الرابع والتسعون ٣٩٨
- الباب السابع والعشرون: بَابُ نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى التَّحْرِيمِ إِلَّا مَا تُعْرِفُ إِبَاحَتَهُ، وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ ٤٠٢
- الحديث الخامس والتسعون ٤٠٦
- الحديث السادس والتسعون ٤٠٨

- الباب الثامن والعشرون: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ٤١٠
- الحديث السابع والتسعون ٤٢٥
- الحديث الثامن والتسعون ٤٢٨
- الخاتمة ٤٣٤
- فهرس الآيات القرآنية المذكورة في التراجم ٤٤٩
- فهرس أحاديث الكتاب ٤٥١
- فهرس الآثار والنصائح ٤٥٧
- فهرس المراجع ٤٦٠
- فهرس الموضوعات ٤٧١

